وزارة التعليـــم العالـــي والبحـث العلمـــي
جامعـــة احمـــــد دراية – أدرار-
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية
قسم: العلوم الإنسانية

العائلة الفودية ودورها الإصلاحي في السودان الأوسط خلال القرن: 13هـ-19م

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ

إعداد الطالب:
- مُحَمَّد هداجي

إشراف أ.الدكتور:
- مبارك جعفري

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة	الجامعة الاصلية
د.عبدالكريم بلبالي	أستاذ محاضر أ	رئيسا	جامعة أدرار
أ.د مبارك جعفري	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة أدرار
د.الطاهر عبو	أستاذ محاضر أ	مناقشا	جامعة أدرار
أ.د نورالدين شعباني	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	جامعة خميس مليانة
د. مُحَمَّد مبارك كديدة	أستاذ محاضر أ	مناقشا	جامعة تمنراست
د. مُحَمَّد هقاري	أستاذ محاضر أ	مناقشا	جامعة تمنراست

السنة الجامعية :1442هـ/2020م-2021م

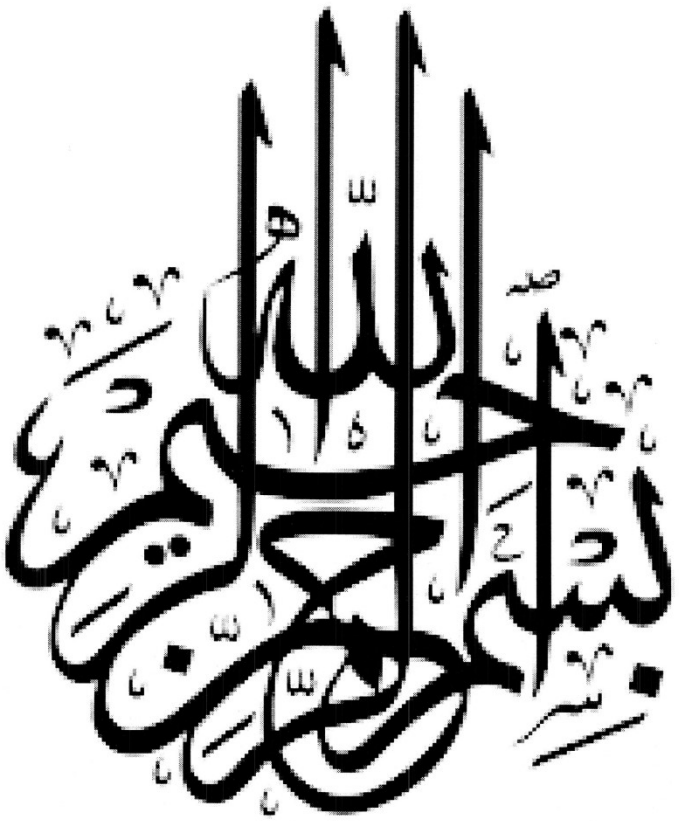
بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

(

من المؤمنين رجال صدقوا ما عهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا)

صدق الله العظيم

"سورة الأحزاب"

الإهــداء

ـ الى روح والدينا تغمدهما الله برحمته الواسعة وجعل قبريهما روضة من رياض الجنة.

ـ الى شركاء الرحم إخوتي أدام الله ودهم .

ـ الى روح أخي نور الدين طيب الله ثراه.

ـ الى من تقاسمني متاعب الحياة الزوجة الكريمة.

ـ الى أساتذتي ومشايخي وعلى رأسهم أستاذي أ.د مبارك جعفري.

ـ الى أبنائي سمية، ياسر، فاطمة الزهراء.

ـ الى كل منتسبي قطاع التربية ومنهم زملائي بإكمالية الشهيد تشنة أمحمد فنوغيل.

ـ الى كل شهيد ومخلص ضحى من أجل الوطن .

ـ الى جميع من يعرفني أو أسدى لي معروف ما حييت .

ـ الى كل هؤلاء جميعا وغيرهم أهدي هذا العمل المتواضع.

مــحمــد

كلمــة شكــر

الشكر دائما وأبدا لله سبحانه وتعالى على أنعمه علينا التي لا تعد ولا تحصى.
الشكر موصولا الى جميع من ساندني ولو بكلمة في إنجاز هذا العمل المتواضع، سواء من قريب أو بعيد وما أكثرهم ولا يفي لا المكان والزمان لذكر مقامهم هنا وعلى رأسهم المشرف البروفيسور مبارك جعفري والى الدكتور الطاهر عبو والدكتور عبد الكريم بلبالي والدكتور عبدالله خيي ومن ورائهم جميع أساتذة قسم التاريخ بجامعة أحمد دراية بأدرار وأساتذتي بجامعة الجزائر02 أبو القاسم سعد الله، على كل ما قدموه لي من نصائح وتوجيهات.
والى جميع أعضاء اللجنة على صبرها وإخلاصها من أجل تصويب هذا العمل .
ومن هنا لا يمكن أن أنسى جميع عمال المكتبات التي قمت بزيارتها داخل أو خارج الوطن .

محمــد

المختصرات

مختصرات بالعربية	
المختصرات بالعربية	شرح المختصر
ط	طبعة
ص	صفحة
ج	جزء
تج	تحقيق
تق	تقديم
مج	مجلد
تر	ترجمة
ع	العدد
ب تا	بدون تاريخ
تع	تعليق
حق	حققه
مر	مراجعة
مش	المشرف
المختصرات بالفرنسية و الانجليزية	
Op.cit	المرجع السابق
P	Page
Ibid	نفسه
نفس المصطلح	Means Ididem
نفس المكان	The seme place

مقدمة الأطروحة

مقدمة:

تحتل قارة إفريقيا بفضل موقعها الجغرافي موقعا وسطا بين قارات العالم القديم، وقد مكنها من أن تلعب دورا محوريا في الأحداث العالمية منذ القدم، وبالتالي أصبحت محطة لقاء للهجرات البشرية من مناطق مختلفة، وقد أدى هذا الى حدوث تفاعل حضاري بين الشعوب، مما جعل المسلمون في بداية عهدهم يتعرضون لمضايقات شتى في عقر دارهم، فأدى هذا الى حتمية البحث عن مكان آمن لهم وهو ما تسنى لهم في قارة إفريقيا إثر هجرتهم نحو الحبشة وهو الأمر الذي أدى بالقارة أن تكون حامية للإسلام والمسلمين عبر العصور.

ومنذ أن دخل الاسلام الى شمال افريقيا شق طريقه بفضل التجارة والمرابطين نحو السودان الغربي ثم باقي افريقيا جنوب الصحراء، ولعل مرد ذلك الى الدور الكبير الذي كانت تلعبه القبائل الإفريقية التي تبنت الرسالة المحمدية ودافعت عنها بالنفس والنفيس قصد الوصول بها الى مختلف المناطق .

والحديث هنا يجرنا الى أبرز تلك القبائل الإفريقية التي تحملت مشقة الدفاع عن الاسلام ونشره، على قبائل الهوسا والفولاني هاته الأخيرة التي كان لها تواجد في مختلف مناطق افريقيا بحكم مهنتهم الرعوية التي تتطلب الحل والرحال بحثا عن الكلأ وهو ما يفسر انتشارهم حاليا في أزيد من خمسة وعشرون دولة إفريقية.وقد ظهرت منهم العائلة الفودية التي خلفت العديد من الاعلام خلد التاريخ منجزاتهم وأعمالهم، ومن هنا كان لزاما علينا البحث والتقصي عن جذورهم وأهم إنجازاتهم .

يعتبر الشيخ عثمان بن فودي الفولاني، ذلك العالم الديني المجدد المالكي المذهب، الأشعري العقيدة، الذي نشأ وترعرع بين أحضان أسرة متشبعة بالروح الاسلامية، مما جعله ينهل منها مبادئ الدين الاسلامي، انطلاقا من جده مرورا بوالديه وأخواله ليصبح مجدد عصره، ساعيا نحو إحياء علوم الدين ونبذ البدع والخرافات التي كانت منتشرة في عصره بين أفراد المجتمع، مستعملا في ذلك وسائل شتى، متأثرا بحركة الإصلاح التي بدأها الشيخ مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي في القرن التاسع الهجري، مما جعل الناس يلتفون حوله أفرادا وجماعات من أجل محاولة إقامة دولة إسلامية قوية .

وقد ترك الشيخ عثمان بن فودي بعد وفاته ما يربو عن مئة وخمسين مؤلفا في مختلف الميادين، منها ما طبع ومنها ما يزال مخطوطا في الخزائن والمكتبات، على أن حركته الإصلاحية لم تتوقف عند وفاته بل واصل السلف من بعده المسيرة على غرار المجدد أخاه عبد الله بن فودي والثائر مُحَمَّد بيلو وغيرهم لتبقى دولتهم صامدة لأزيد من قرن من الزمن محدثة تغييرا جذريا في مختلف الجوانب الحضارية لمجتمعات إفريقيا جنوب الصحراء بصفة عامة.

ومع كثرة المؤلفات خاصة باللغة الأجنبية حول هاته الشخصيات السابقة وقلة الدراسات الأكاديمية باللغة العربية في هذا المجال، مع وجود الكم الهائل من المخطوطات والتآليف التي تركتها العائلة الفودية في مختلف المجالات وبقاء معظمها حبيسة الخزائن، لذلك ارتأيت أن أضع دراسة علمية منهجية تساهم في إبراز الدور الحضاري للعائلة الفودية تحت عنوان: **"العائلة الفودية ودورها الإصلاحي في السودان الأوسط خلال القرن 13هـ / 19م "** على أن يكون الموضوع محاولة لإبراز الدور الفعال الذي لعبه الفوديون بالمنطقة ومعرفة النتائج التي خلفها ولا تزال آثارها بارزة الى يومنا هذا على سلوكيات أفراد المجتمع بالمنطقة.

يتضمن موضوع الأطروحة دراسة تفصيلية للعائلة الفودية من خلال الوقوف على أصول هاته العائلة وإبراز الإصلاحات التي قامت بها في مختلف المجالات والنتائج التي أفرزتها على المستوى الإفريقي بصفة عامة ومنطقة بلاد السودان الأوسط بصفة خاصة.

أما **إطار البحث الزماني والمكاني** فقد حصرت الإطار الزمني لدراسة موضوع الأطروحة خلال فترة القرن التاسع عشر ميلادي وهي الفترة التي عاش فيها مؤسس الحركة الإصلاحية الفودية ونعني به الشيخ عثمان بن فودي، بالإضافة الى أنها متزامنة مع فترة حياة كل من أخاه عبد الله بن فودي وابنه مُحَمَّد بيلو كما أن هاته الفترة كانت قد عرفت ظهور بعض الحركات الإصلاحية في العالم ومن جهة أخرى نجد أن هاته الفترة تتزامن مع ظهور النزعة الاستعمارية الأوربية التي خلفتها الثورة الصناعية والحروب الصليبية على العالم الاسلامي في وقت كانت تعيش فيه آخر خلافة إسلامية في العالم متمثلة في الدولة العثمانية آخر عهدها في ظل التكالب الاستعماري على تركتها.

ولا شك أن هاته الفترة عرفت تطورات عديدة على مستوى العالم بصفة عامة ومنطقة بلاد السودان بصفة خاصة استطاعت أن تؤثر على مجرى أحداث المنطقة التي كانت قد عرفت انتشار واسع للإسلام في المنطقة منذ وقت مبكر لكنه لم يكن يخلوا من تلك الشوائب والمعتقدات الوثنية التي لازمته، الأمر الذي أدى الى ظهور هاته الحركة الإصلاحية.

أما **دواعي اختيار الموضوع الذاتية والموضوعية** التي دفعتني الى البحث واختيار هذا الموضوع هي عديدة منها :

ـ الرغبة الذاتية في الإلمام بتاريخ المنطقة الحضاري ومحاولة النبش في حيثياته والإسهام في نشره بحلة جديدة من خلال الرجوع الى المصادر والمراجع المتعددة.

ـ مواصلة البحث التاريخي حول الشخصيات الإفريقية التي كان لها دورا فعالا على شعوبها وإفريقيا بصفة عامة حيث كان موضوع رسالتي في الماجستير متعلق حول شخصية مُحَمَّد بن عبد الله الحسن الصومالي وتأثيرها في افريقيا وهو ما دفعني أخوض غمار البحث والتحري حول باقي الشخصيات الإفريقية الاخرى التي كان لها إسهاما كبيرا على الاسلام والمسلمين.

ـ قلة البحوث والدراسات الأكاديمية باللغة العربية المهتمة بتاريخ منطقة السودان الأوسط عكس ما كتب عن السودان الشرقي والغربي.

ـ توجيهات أساتذتي لدراسة تاريخ المنطقة والذي يعتبر جزء من التاريخ الإفريقي والإسلامي الهام وأخص بالذكر الأستاذ المشرف على هذا العمل المتواضع.

ـ محاولة معرفة تلك التغيرات الإصلاحية التي قام بها عثمان بن فودي بصفة عامة وعائلته بصفة خاصة.

ـ محاولة إبراز الأهمية الحضارية لمنطقة السودان الأوسط على المستوين الإفريقي والإسلامي.

ـ البحث عن وشائج الاتصال الحضاري بين الجزائر وإفريقيا خاصة منطقة الهوسا(شمال نيجيريا حاليا).

ـ نفض الغبار وتقصي الحقائق المعرفية من خلال المصادر التاريخية عن تراث العائلة الفودية ومؤلفاتها.

ـ دعم المكتبة الوطنية ببحث أكاديمي نحاول من خلاله التعريف بتراث العائلة الفودية وإبراز إسهاماتها الحضارية في افريقيا.

ـ فتح آفاق جديدة أمام الباحثين والمهتمين بتاريخ المنطقة لتكون بذلك لبنة أساسية لدراسات مستقبلية أخرى.

ـ إشباع الفضول الشخصي بزيادة الاطلاع على تاريخ افريقيا بصفة عامة والسودان الأوسط بصفة خاصة الذي يبقى مجهولا في كثير من الحقب التاريخية.

أهمية وأهداف الدراسة:

تكمن **أهمية** الموضوع في كونه يسلط الضوء على عائلة افريقية قدمت خدمات جليلة للإسلام والمسلمين وأنجبت الكثير من العلماء لا زالت آثارهم باقية الى اليوم .

كما أن هاته المنطقة تعتبر امتداد طبيعيا وحضاريا للشمال الإفريقي بحكم وسائل الاتصال والتواصل الفكري التي بدأها المغيلي أثناء زيارته لإمارة كانو وتأثر السكان به هناك.

أما أهداف الدراسة فتتمثل فيما يلي :

. التعريف بتراث العائلة الفودية.

. إبراز مدى خدمة هذه العائلة للإسلام.

ـ محاولة محو الصورة السلبية التي حاول الأوربيون رسمها عن الاسلام في افريقيا من خلال مقولة (الاسلام الإفريقي) أو الإسلام الأسود.

ـ محاولة إبراز الروابط الحضارية للمنطقة من خلال انتمائها الحضاري المتمثل في الاسلام والعربية كون هذه العائلة قد خدمت هذين العنصرين خدمة جليلة.

. محاولة الوصول ودراسة مختلف مؤلفات العائلة الفودية دراسة أكاديمية.

ـ التركيز على إبراز جانب مهم من حركات المقاومة والتجديد في افريقيا خلال القرن التاسع عشر.

ـ محاولة دراسة وفهم الحركة الإصلاحية بالسودان الأوسط بعيون المؤرخين الغربين والمسلمون.

ومن هنا تبرز مدى أهمية الموضوع الذي يجعلنا نقف أمام الإشكالية الأساسية التي تندرج تحتها بعض التساؤلات الفرعية وهي كالتالي:

الإشكالية:

ما هو الدور الذي قامت به العائلة الفودية في السودان الأوسط خلال القرن التاسع عشر ميلادي؟ أي ما مدى إسهامات العائلة الفودية الاصلاحية؟

وقد استعنت بمجموعة من الأسئلة الفرعية التي سهلت عليا تفكيك الإشكالية الأساسية للدراسة ومنها:

.كيف استطاع الاسلام الوصول الى منطقة السودان الأوسط؟

ـ ما هي الظروف والأوضاع العامة في السودان الأوسط قبل ظهور عثمان بن فودي وعائلته؟

ـ كيف نشأ الشيخ عثمان بن فودي ؟ وما العوامل التي ساعدت في تكوين شخصيته؟

ـ هل كان للعائلة الفودية دورا في مجال الحركة الإصلاحية؟ وإلى أي مدى تجسد ذلك؟

. ما الدوافع التي أدت إلى ظهور الحركة الإصلاحية بالمنطقة؟

. الى أي مدى استطاعت الحركة الإصلاحية الفودية أن تحقق أهدافها؟

. هل كان قيام الدولة الفودية على أسس وأهداف أسرية أم دينية؟

ـ ما هي المجالات التي ألفت فيها العائلة الفودية رصيدها المعرفي؟ وما الهدف من ورائها؟

. الى أي مدى استطاع مُحَمَّد بيلو وعمه عبد الله أن يواصلوا دعم الحركة الإصلاحية؟

. ما الأخطار والصعوبات التي واجهت الفوديون أثناء سير مسيرتهم الإصلاحية؟

. ما مدى تأثير الإصلاحات الفودية على المظاهر الحضارية بالسودان الأوسط؟

ـ إلى أي مدى استطاعت الدولة الفودية وإصلاحاتها أن تقوم في وجه الامبريالية الأوربية؟

تلك هي بعض الإشكاليات التي يمكن أن تقف أمام أي باحث لحركة الإصلاح الفودية خلال القرن التاسع عشر ميلادي بالسودان الأوسط وللإجابة عنها سوف نحاول إتباع المنهج **التاريخي** من خلال الوقوف على أهم الأحداث التاريخية وتطورها، إضافة الى المنهج **التحليلي** الذي نحاول من خلاله تحليل الأحداث التاريخية واستخلاص النتائج

والحقائق التاريخية التي تبرز أهمية ودور الإصلاحات في مختلف المجالات، مستعينين في ذلك على أمهات الكتب والمصادر التاريخية لإفريقيا والتركيز على مخطوطات العائلة الفودية وإسهاماتها الفكرية.

للإجابة على الإشكالية المقدمة والتساؤلات الجزئية قسمت هذه الدراسة الى مدخل وبابين يحتوي كل منهما على مجموعة من الفصول، بالإضافة الى خاتمة وملاحق وفهارس وفق النمط التالي:

ـ **المدخل** جاء تحت عنوان "**السودان الأوسط المفاهيم والدلالة**"وقسمته الى ثلاثة فصول خصصت **الفصل الأول** لدراسة المجال الطبيعي والبشري للسودان الأوسط انطلاقا من تحديد المصطلح لغويا وجغرافيا ثم تناول أبرز الاختلافات حول ماهية المصطلح وتتبعه تاريخيا من مؤلفات الرحالة الأوائل والمؤرخون مع تحديد الإطار المكاني للمنطقة ثم نعرج الى الدراسة الطبيعية للمنطقة من خلال معرفة تضاريسها ومناخها وبالتالي الغطاء النباتي السائد بالمنطقة ومدى تأثيره على استقرار واستقطاب السكان، ومن الناحية البشرية حاولنا أن نبرز أهم الأجناس البشرية المتواجد بالمنطقة والتعرف على أصولهم وأبرز النشاطات التي تقوم عليها حياتهم اليومية.

الفصل الثاني للمدخل فقد خصصناه الاسلام في المنطقة ومعرفة الطرق التي استطاع بواسطتها الاسلام الولوج الى المنطقة سواء بواسطة القوافل التجارية أو الهجرات القبلية التي وصلت الى المنطقة في إطار التفاعل الحضاري، والعوامل التي ساعدت على اعتناق السكان له.

الفصل الثالث حاولنا أن نبرز ذلك الدور الفعال الذي لعبه وصول الاسلام الى المنطقة ثم معرفة التغيرات المختلفة التي أحدثها داخل المجتمع السوداني، كما أبرزنا أهم الأوضاع العامة في السودان الأوسط قبل ظهور الحركة الإصلاحية خاصة ما تعلق بالأوضاع الاجتماعية التي كانت سائدة .

و**الفصل الثالث** خصصناه للنتائج التي أحدثها وصول الإسلام وانتشاره بالمنطقة على المستوى الاجتماعي والسياسي والثقافي لشعوب منطقة السودان الأوسط قبل ظهور الشيخ عثمان بن فودي كمؤسس للحركة الاصلاحية الفودية.

البـاب الأول: تحـت بعنـوان "**العائلـة الفوديـة النشـأة والأثـر**" وقسـمناه الى ثلاثـة فصـول، فتحـدثنا في **الفصـل الاول** علـى الركيـزة الأساسـية للعائلـة الفوديـة والمتمثـل في شخصـية الشـيخ عثمـان بـن فـودي مـن خـلال التعـرف علـى ترجمتـه الخاصـة بمولـده ونسـبه وأصـول قبيلتـه، ثم التعـرف علـى العوامـل الـتي سـاعدت علـى بـروز شخصـيته ومـدى تأثـير شـيوخه عليـه، كمـا تعرفنا على المراحل الأساسية التي مرت بها دعوته الإصلاحية.

الفصـل الثـاني مـن هـذا البـاب خصصـناه للتعـرف علـى ثاني رجـل في الحركـة الفوديـة بعـد عثمـان بـن فـودي حيـث يعتـبر سـاعده الأيمـن، متمـثلا في الشـيخ عبـد الله بـن فـودي حيـث تعرفنـا علـى سـيرته الذاتيـة والعوامـل الـتي سـاعدت في نبوغـه والحـديث عـن أقـوال مـن عاصـروه وأهم منجزاته المعرفية والمجالات التي أبدع فيها.

الفصـل الثالـث مـن هـذا البـاب فخصصـته للرجـل الثالـث في مسـيرة هاتـه العائلـة متمـثلا في مُحَمَّد بيلـو بـن عثمـان بـن فـودي وتكلمـت علـى سـيرته الشخصـية والمهـام الـتي تقلـدها ثم أهم الأعمال والمنجزات التي خلفها.

البـاب الثـاني خصصـناه لمظـاهر إصـلاحات العائلـة الفوديـة، جـاء في ثلاثـة فصـول، تناولنـا في **الفصـل الاول** أسـباب الحركـة وأسـس الحركـة الإصـلاحية وركـزنا علـى اسـباب هاتـه الحركـة مـن خـلال الحـديث علـى الأسـباب الاجتماعيـة والسياسـية والثقافيـة بالوقـوف علـى الأوضـاع الـتي كانـت سـائدة قبـل بدايـة الحركـة، ثم الحـديث الأسـس الـتي أقيمـت عليهـا الحركـة والثوابت التي من خلالها استطاعت تحقيق أهدافها.

والفصـل الثـاني تكلمنـا فيـه علـى مظـاهر الحركـة الإصـلاحية،قمنـا بالتفصـيل في ذكـر نتـائج الإصـلاحات السياسـية ومـدى تأثيرهـا علـى نظـام الحكـم ثم الحـديث عـن التنظـيم الإداري الذي شهدته المنطقة مع ذكر الدواوين واختصاصاتها.

الفصـل الثالـث فخصصـناه لجانـب الإصـلاحات الثقافيـة والاجتماعيـة والدينيـة وختمنهـا بالإصـلاحات الـتي قـاموا بهـا في مجـال الاقتصـاد مـن خـلال تنميـة الزراعـة والصـناعة وحتى الميادين التجارية وما يصاحبها من متغيرات .

وأنهيـت دراسـتي لهـذا الموضـوع بخاتمـة جـاءت علـى شـكل حوصـلة لأهـم النتـائج المتوصـل إليهـا خـلال مراحـل البحـث المختلفـة مـع شـفعها بمجموعـة مـن التوصـيات، كمـا غـذيت ذيـل هذا البحث بمجموعة من الملاحق والفهارس.

أما **الدراسات السابقة** للموضوع ومن خلال ما اطلعت عليه في هذا المجال فقد تبين لي بأن أغلب الدراسات الخاصة بهذا الموضوع اشتملت على دراسة بعض شخصيات العائلة الفودية كتراجم كل على حدا، مع التطرق لبعض إنجازاتها العلمية ومن بين تلك الدراسات نجد الدراسة التي أعدها أحمد بوعتروس تحت عنوان الحركات الإصلاحية في غرب إفريقيا جنوب الصحراء إبان القرن الثالث عشر هجري التاسع عشر ميلادي حيث كتب فيها بصورة عامة عن الحركات الإصلاحية في غرب افريقيا ومنها حركة الشيخ عثمان بن فودي، وأيضا دراسة أحمد مُحَّد لواء : الاسلام في نيجيريا ودور الشيخ عثمان بن فودي في ترسيخه، ودراسة المقارنة التي قام بها مُحَّد بن علي السكاكر بعنوان: دعوة الشيخ مُحَّد بن عبد الوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن فودي،ودراسةمصباح الدين جنيد تحت عنوان: الشيخ عثمان بن فودي وعقيدته على ضوء الكتاب والسنةحيث تناول فيها السيرة الذاتية وابرز دوره الديني والإصلاحي كما نجد رسالة الماجستير لبوبكي سكينة: الحركة العلمية بالهوسا في السودان الغربي خلال القرن19م، أبرزت فيها المنجزات العلمية للعائلة الفودية، ورسالة الماجستير لبوسكين ناهد بعنوان الحركة العلمية في بلاد السودان الأوسط وأثرها في الحياة الاجتماعية من القرن 5هـ-10هـ/11م-16م،حيث توضح بعض الأسس التي ساهمت في ازدهار الحركة الفكرية بهاته المنطقة وأطروحة دكتوراه لمحمد المنصور ابراهيم التي هي عبارة عن دراسة وتحقيق لكتاب الجامع الحاوي لعثمان بن فودي، ورسالة ماجستير لمختار عبد الرحمن تحت عنوان أثر عثمان بن فودي في انتشار الاسلام في نيجيريا، ورسالة ماجستير لأدم أبو البشر علي تحت عنوان عبد الله بن فودي النيجيري النحوي في ضوء كتابه البحر المحيط في النحو.

أما **المصادر الأساسية** المعتمدة في موضعنا هذا قصد الإجابة على التساؤلات المدرجة فإننا اعتمدنا بالدرجة الأولى على مخطوطات العائلة الفودية بالدرجة الاولى التي خدمت الموضوع بشكل هام حيث أمدتنا بمعلومات قيمة حول الموضوع بالإضافة الى جملة من المصادر والمراجع الأجنبية والعربية ومن أبرزها ما يلي:

مخطوط تبشير الأمة الأحمدية لعثمان بن فودي، الأرشيف الوطني كادونا المادة رقم 2 المرجع OR6 وهو مخطوط يوضح معالم وأسس المجتمع على ضوء الكتاب والسنة مع أبرز سبل الهداية والتمسك بالدين الإسلامي.

ومخطوط كتاب النسب لعبد الله بن فودي، الأرشيف الوطني كادونا المادة رقم 1 المرجع O/R 27 وهو مخطوط يوضح أصل العائلة الفودية وبطونها وأهم أعلامها والشيوخ الذين تتلمذوا عليهم.

كتاب إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور لمحمد بيلو بن عثمان بن فودي يعتبر من أهم المصادر التي تحدثت عن العائلة الفودية بأدق التفاصيل خاصة وأن مؤلفه معاصر لمعظم أحداث التي ذكرت في هذا الكتاب، انطلاقا من أصول هاته العائلة الى غاية ظهور الشيخ عثمان بن فودي ومنجزاته الحضارية، إضافة الى وصفه لتلك المناظرات العلمية التي كانت تقام في عهده ثم الوصف الدقيق لأبرز المعارك التي خاضها عثمان بن فودي، وأسهب بشكل كبير في ذكر يوميات والده ومناقبه باعتبار أحد أبرز أعلام العائلة الفودية.

إضافة الى كتاب إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور لمحمد بيلو نجد كتاب إحياء السنة وإخماد البدعة لعثمان بن فودي الذي يعتبر مصدرا مهما لكون صاحبه يبن لقارئه مفهوم السنة الحقيقية التي يجب على المرء إتباعها ووضعها كمنهج صحيح في حياته اليومية، ومن ناحية أخرى يوضح ماهية البدع والخزعبلات التي يجب على المرء اجتنابها، موضحا كل مسألة مفصلة بالدليل وما يصاحبها من شوائب وبدع، كما تحدث الكتاب على أصول الدين كالفقه والتوحيد مشيرا الى البدع المستحدثة عند المسلمين.

إضافة الى ما سبق فقد أفادني كثيرا كتاب ضياء السياسات وفتاوى النوازل مما هو من فروع الدين من المسائل لمؤلفه عبد الله بن فودي الذي ذكر صاحبه حياته ومؤلفاته في شتى المجالات وذكر حواره مع شيخه وأخاه عثمان بن فودي، أما الجزء الثاني فتناول فيه السياسات الشرعية والمعاملات، والجهاد وتحدث أيضا عن الايمان والنذر كما تكلم عن القبائل التي استوطنت بلاد الهوسا وأصولها الضاربة في القدم، لكن على العموم هذا الكتب يغلب عليه الجانب الديني الفقهي أكثر من الجانب التاريخي .

إضافة الى مجموعة أخرى من المخطوطات التي كتبها الشيخ عثمان بن فودي منها ما هو محقق وبعضها لازال لم ينفض عليه الغبار وتحرك جنابته أيادي المحققون والمؤرخون، والتي منها:

. عثمان بن فودي: أصول الولاية وشروطها، تحقيق عمر بلوم الم سراج، مختارات من مؤلفات عثمان بن فودي.

عثمان بن فودي :أصول العدل لولاة الأمور وأهل الفضل، تحقيق ثاني يوسف برنن تد.

. عثمان بن فودي: الفرق بين ولايات أهل الاسلام وولايات أهل الكفر،مخطوط.

. عثمان بن فودي:نجم الإخوان يستعينون به في أمور الزمان، تقديم وتعليق أحمد مصطفى أبو الخير.

. عثمان ابن فودي: كتاب أصول الدين ،تحقيق نجف علي ميرزائي .

. عثمان بن فودي: إحياء السنة وإخماد البدعة.

. عثمان بن فودي: بيان وجوب الهجرة على العباد وبيان نصب الإمام وإقامة الجهاد، تحقيق، فتحي حسن المصري.

. عثمان بن فودي: الوصية الرضية من الراعي الى الرعية،تقديم وتعليق أحمد مصطفى أبو الخير.

. عثمان بن فودي:بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في أبواب الملة المحمدية، تحقيق الم أنس مُحَّد يعقوب.

حيث أن كل واحد منها أفادني على حسب المعلومة والإفادة التي تدعو إليها الكتابة التاريخية.

على أنني استعنت أيضا بكتب **الجغرافيين والرحالة** في تحديد منطقة بلاد السودان والشعوب التي استوطنتها ومنها كتاب المغرب في ذكر بلاد المغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك لأبي عبد الله البكري الأندلسي الذي أورد معلومات عن بلاد السودان والممالك التي ظهرت فيه، متحدثا عن المظاهر السياسية والاجتماعية للمنطقة .

وكتاب تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار،لأبي عبد الله مُحَّد بن عبد الله اللواتي الطنجي وهو من بين الرحالة الذين عايشو جزء من تاريخ بلاد السودان حيث وصف شعوبها والقبائل والمدن بشكل دقيق كما ذكر عاداتهم وتقاليدهم وقد أفادني في معرفة الجوانب الاجتماعية بالمنطقة .

كتاب وصف إفريقيا لأبي الحسن الوزان المعروف بليون الإفريقي حيث يعتبر من بين المصادر التي عايش صاحبها وزار العديد من المدن الإفريقية وقام بوصفها كما حدد بعض الأماكن خاصة تلك التي تقع على مسالك طرق القوافل التجارية منها ولاته وجني، غوبير،كانو،كاتسيينا،بورنو... وغيرها من المدن والمناطق التي لم يذكرها قبله البكري أو الإدريسي.

كما قمنا بالاستعانة بكتب **التاريخ العام** مثل كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، وهذا الكتاب هو لابن خلدون عبد الرحمن الذي يعتبر من أهم كتب التاريخ العام، لما اشتمل عليه من وصف دقيق وتحليل للحوادث التاريخية، حيث تناول فيه الحديث عن بلاد السودان وممالكه ناقلا أخبارهم عن من سبقوه كالبكري والإدريسي وعلى من التقى بهم من التجار والمسافرين الذين كانوا يترددون على تلك المناطق.

كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشا لمؤلفه أبي العباس أحمد بن مُحَّد القلقشندي والذي يعد من الموسوعات العربية والإسلامية الكبيرة التي احتوت على معارف ومعلومات في جميع ميادين الحضارة.

كتاب الحاوي للفتاوى لجلال الدين السيوطي ويعد هذا الكتاب من المصادر التي رسمت صورة على المجتمع السوداني في عصره وأوضاعه الاجتماعية التي ذكرها من خلال تلك الأسئلة والفتاوى التي كانت تصله ويرد عليها فيشكل مسائل فقهية .

بالإضافة الى ما سبق فقد استعنت بمجموعة أخرى من المراجع العربية مثل: كتاب الجهاد الاسلامي في غرب إفريقيا لأحمد مُحَّد كاني الذي يتحدث فيه عن تاريخ الاسلام في منطقة السودان الغربي وقبائل السودان الغربي والأوسط، وأبرز الحياة السياسية والاجتماعية بها، مثلما تحدث عن حياة الشيخ عثمان بن فودي، واعتمدت كذلك على كتاب لمحات عن الاسلام في نيجيريا بين الأمس واليوم، لصاحبه علي أيوب ناجي، حيث تناول المؤلف تاريخ نيجيريا وطريقة دخول الاسلام إليها، كما تحدث عن أبرز القبائل والممالك المتواجدة بها وعرج على الحياة السياسية والاجتماعية في ظل انتشار الاسلام بين هاته القبائل.

وكتاب جذور الحضارة الاسلامية في الغرب الإفريقي لعثمان برايماباري: حيث ذكر فيه المؤلف الطرق التي أدت الى دخول الاسلام في غرب إفريقيا وذكر الممالك الاسلامية التي قامت في الغرب كما تحدث عن العلماء الذين ظهروا في المنطقة أو قاموا بزيارتها على غرار الشيخ عثمان بن فودي الذي ترجم له في هذا الكتاب.

كما استعنت بكتاب الفلاته في إفريقيا للطيب عبد الرحيم مُحَّد الفلاتي: حيث أن المؤلف في هذا الكتاب أعطى بشكل كبير أهمية بالغة لأصول القبائل الفلانية وتاريخها التي تنتمي له العائلة الفودية، حيث أفادني بشكل كبير في معرفة ماضي هاته القبيلة وتأثيره على نشأة الحركة الفودية الإصلاحية.

بالإضافة الى ما سبق فقد استعنت ببعض المراجع المعربة، مثل كتاب الدعوة الى الاسلام لمؤلفه توماس أرنولد، ترجمة حسن ابراهيم حسن، حيث تناول فيه انتشار الاسلام واللغة العربية في افريقيا، وكتاب بانيكارمادهو تحت عنوان الوثنية والإسلام تاريخ الإمبراطورية الزنجية في غرب افريقيا الذي يتحدث فيه عن العادات والتقاليد المنتشرة في افريقيا وكذا تاريخ انتشار الاسلام.

وحتى تتوازن أفكار البحث بين العرب والمستشرقين فقد اعتمدت على بعض المصادر الاجنبية مثل كتاب هنري بارث تحت عنوان:

Travels and Discoveries of North and Central Africa ,vol.1 , N ew york ,1857.

حيث دون فيه المؤلف تفاصيل الرحلة التي قام بها الى المنطقة، وهو نفس المنهج الذي قام به الرحالة كلابارتون الذي هو أيضا زار المنطقة ودونها في كتابه تحت عنوان:

Narrative of Travels and Discoveries in Northern and Central Africa.

بالإضافة الى بعض المراجع الأجنبية مثل ،كتاب ترمنجهام بعنوان:Islam in West Africa

واستفدت من بعض المقالات التي أفادتنا في خدمة موضوعنا مثل: مقال مصطفى أنجاي بعنوان: من كانم الى صوكتو موجز التاريخ السياسي للسودان الأوسط حيث تناول فيه الكاتب المراحل التي مرت بها حركة عثمان بن فودي الاصلاحية، ثم مقال منيرة أبو منقة مُحَمَّد تحت عنوان الشيخ عبد الله بن فودي ووصفه لمعارك الجهاد في بلاد الهوسا، تحدث فيه المؤلف على بعض جوانب الجهاد والمعارك التي شارك فيها الشيخ.

كل هاته المؤلفات وغيرها والتي تصب في الموضوع أو تشير إليه في إحدى جوانب البحث المختلفة استعنت بها وأمدتنا بأفكار ومعارف متنوعة حول موضوع الدراسة.

صعوبات البحث:

لا شك في أن أي عمل لا يخلو من عوائق وصعوبات منها :

. قلة البحوث الأكاديميةباللغة العربية التي تناولت هذا الموضوع بشكل موسع.

. نقص المادة المعرفية المتعلقة بهاته العائلة التي تناولناها في بحثنا على مستوى الوطن رغم التنقل المستمر بين مكاتب كبريات الجامعات.

. صعوبة الوصول الى المصادر والمراجع المتخصصة في أماكن تواجدها بموطنها الأصلي.

.كون الموضوع شاسع وواسع يحمل عدة جوانب حضارية أدى بنا الى الوقوع أحياننا في عدم التوفيق بين عناصر وجزئيات الموضوع.

. قلة الكتب باللغة العربية مما يجعلنا أمام حتمية اللجوء الى ترجمة المصادر والمراجع الأجنبية وأحيان الترجمة لا تؤدى المعنى المراد من الدراسة.

.كثرة تضارب الآراء بين المؤرخين والباحثين وتصادم بعض المعلومات مع بعضها البعض.

. صعوبة التنقل الى عين المكان في الوقت الحالي بسبب الأوضاع المختلفة هنالك .

. تشعب جوانب البحث اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وثقافيا وكل جانب من الجوانب يضم بين طياته عناصر جزئية فالاجتماعي به العادات والتقاليد والخرافات كيف كانت قبل الحركة وتغيرها بعد الحركة الإصلاحية ونفس الشيء بالنسبة لباقي الجوانب الحضارية التي تتطلب دراسة مستقلة مستفيضة حتى يتسنى للباحث الإلمام بجميع جوانب البحث.

. إن الحقبة الزمنية المتناولة في هاته الدراسة وهي القرن 19م تعتبر مرحلة حساسة وانتقالية كونها تسبق فترة تزامن وجود الاستعمار الامبريالي بالمنطقة.

. عدم الاستفادة من أي منحة خارجية نحو المنطقة المعنية ببحثنا هذا.

. صعوبة التوفيق بين العمل في مجال التربية وبين البحث العلمي مما يحتم عليك التفرغ للبحث العلمي في العطل.

ورغم هذه الصعوبات والعوائق إلا أنني تسلحت بروح الإرادة والعزيمة من أجل إتمام هذا العمل ولا أدعي أنني ألممت بجميع جوانب البحث، بقدر ما أكون قد أسهمت بشكل عام في وضع دراسة، وأتمنى أن أكون قد وفقت في بعض جزئياته على أمل أن أتداركه مستقبلا حين تحين الفرص.

وفي الأخير أجدد شكري وامتناني لله سبحانه وتعالى على حسن توفيقه، والى جميع من ساندني في إتمام هذا الموضوع وعلى رأسهم الأستاذ المشرف "مبارك جعفري " الذي كان سندي ومرشدي في هذا البحث منذ تحضيري لرسالة الماجستير، وأعضاء اللجنة المناقشة التي تجشمت عناء قراءة هذه الدراسة وعلى ملاحظاتهم وتوجيهاتهم التي حتما ستساعدنا في استكمال جوانب النقص داخل الأطروحة.

المدخل

مدخل : السودان الأوسط المفاهيم والدلالة

- **الفصل الاول**: السودان الأوسط طبيعيا وبشريا
- **الفصل الثاني**: الاسلام في السودان الأوسط
- **الفصل الثالث**: نتائج انتشار الاسلام في السودان الأوسط

مدخل : السودان الأوسط المفاهيم والدلالة

الفصل الأول: السودان الأوسط طبيعيا وبشريا

01/ مصطلح السودان:الدلالة والأثر

لدراسة الحركة الإصلاحية للشيخ عثمان بن فودي ببلاد السودان الأوسط لا بد لنا أن نعرج بمفهوم المكان ومواصفاته البيئية والبشرية وتداعياتها على سير الحركة الإصلاحية، حيث يجرنا الحديث هنا إلى الخوض في المعنى الاصطلاحي للسودان في مراحل مختلفة، وكذلك الأجناس البشرية التي استوطنت به على مر العصور.

فنجد أن بعض الأدباء والمؤرخين المسلمين المتقدمون تناولوا مصطلح السودان من الناحية الإثنية ليشمل على أفرد وأقوام بشرتهم داكنة تميل نحو السواد، ولم يتعاملوا مع المصطلح كحيز جغرافي فالعرب قديما كانوا يضيفون ألفا ونونا للبيض والحمر والسود لتصبح البيضان، الحمران والسودان [1] حيث أطلق الجاحظ لفظ السودان على كل الشعوب التي تميل بشرتهم نحو السواد سواء بالهند أو السند والحبش والزنج[2] وهو نفس التوجه والوصف الذي ذكره الطبري في قوله "إن في بلاد السند صنف من السودان" [3].

أما ابن خلدون فيرجع السواد والبياض والملامح الفيزيولوجية للإنسان تتغير وفقا لبيئته، وبالتالي تتأثر بالمناخ والعوامل المرتبطة به فكلما اشتدت درجة الحرارة بمنطقة معينة ازداد سودا وكلما ارتفعت درجة البرودة ابيض صاحبها[4]. بينما المسعودي الذي صال وجال في مختلف مناطق العالم فإنه استطاع أن يفرق بين سودان أهل الهند وسودان أرض البجة والحبشة[5]، ويظهر ذلك في قوله (...والهند في عقولهم وسياستهم وحكمتهم و ألوانهم وصفاتهم وصحة أمزجتهم وصفاء أذهانهم بخلاف سائر السودان من الزنج والدمادم وسائر الأحباش ...)[6].

---

[1] ابن الجوزي: تنوير الغبش في فضل السودان والحبش ، تحقيق محمد بركات ،ط1،دار جامعة أم درمان الاسلامية، 1993 ص11.

[2] الجاحظ عمر بن بحر: رسائل الجاحظ ،تحقيق عبد السلام محمد هارون،ج1،مصر،1984،ص210.

[3] الطبري محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك،ج2،طبعة3 ،القاهرة،1979،ص80.

[4] ابن خلدون عبد الرحمن: مقدمة ابن خلدون، تحقيق حامد أحمد الطاهر،ط2، القاهرة210-116.

[5] المسعودي أبو الحسن بن الحسن: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق سيد محمد اللحام،دار الفكر، بيروت،2005،ج1،ص94.

[6] ابن حوقل أبو القاسم النصيبي : صورة الأرض ، بيروت ،ط2 بدون تاريخ، ص19.

وعكس المسعودي نجدّ أن الرحالة والجغرافي ابن حوقل رغم وصوله إلى الهند لم يذكر شيء يقال له السودان، بل قدم وصفا دقيقا لبلاد الحبشة وما جاورها وقال عنها أنها أصول أرض السودان،[1]كما استخدم مصطلح السودان والزنوج الرحالة ابن بطوطة كذلك على السكان الأفارقة نسبة إلى سواد بشرتهم.[2]

بينما القلقشندى نجده يحدد منطقة بلاد السودان جغرافيا في كتابة صبح الأعشى بأن لها حدود من جهة والغرب مع المحيط وجنوبا الخراب، أما شرقا بحر القلزم وشمالا أراضي تمتد بين مصر وبرقة وبلاد المغاربة.[3]

من خلال ما سبق ذكره نستنتج أن العرب هم أول من أطلق لفظ سودان على تلك الشعوب التي تقطن في المنطقة الممتدة من المحيط الأطلسي غربا والمحيط الهندي والبحر الأحمر شرقا ثم الصحراء الإفريقية الكبرى شمالا، وخط عرض 10 جنوبا وشمال خط الاستواء ورغم التباين في تحديد مفهوم اللفظ للسودان، إلا أنها اتفقت في معظمها على أن كلمة السودان تطلق على جميع السكان، التي استوطنت المناطق السابقة الذكر، وعليه نصل إلى أن اللفظ الصحيح لبلاد السودان هو بلاد السود نسبة إلى لون البشرة وسمة الوجه، والسودان هي جمع لكلمة سود وهم ذوي البشرة السوداء الذين يقال عنهم الأساود[4] وعلى نفس النمط يستعمل العرب كلمة البيضان نسبة إلى ذوي البشرة البيضاء .[5]

وكان المحدثين والرحالة العرب القديم يطلقون على سكان ومنطقة بلاد السودان اسم بلاد التكرور، في اختلافا ظاهر حول تحديد هذا الإقليم جغرافيا، فالبكري اعتبر التكرور إحدى مدن بلاد السودان التي كان أهلها على وثنية ثم أسلموا وأتموا حدود الله[6]، وهو ما ذهب إليه القزويني في وصفه لمدينة التكرور ووصفها أنها مدينة غير محصنة بالأسوار و أهلها خليط بين الكفار والمسلمين،[7] بينما

[1] ابن بطوطة أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبيد الله : رحلة ابن بطوطة ، بيروت ،دار التراث 1968 ص233.

[2] ابن خلدون :المقدمة ، مصدر سابق ص199.

[3]البرتلي مُحَمَّد ابن أبي بكر الصديق : فتح الشكور في معرفة أعيان التكرور،تح مُحَمَّد حيحي ومُحَمَّد ابراهيم الكتاني، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان1981ص26.

[4]نبيلة حسن مُحَمَّد :في تاريخ إفريقية الإسلامية انتشار في السودان الغربي ، دار المعرفة الجامعية 2007ص67.

[5] ابن منظور :لسان العرب ، ،دائرة المعارف ج4، د.ن، ص209.

[6] البكري أبو عبد الله :المعرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب،دار الكتاب الإسلامي بيروت لبنان ص268.

[7]القزويني مُحَمَّد بن زكريا : أثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت لبنان ،د.ط،د.س،ص26.

ياقوت الحموي يخرج التكرور عن منطقة السودان وينسبها إلى بلاد المغرب بالرغم من أن أهلها يشبهون في ملامحهم إلى الزنوج الأفارقة.[1]

أما ابن خلدون في كتابه ديوان العبر والمبتدأ والخبر فاستعمل مصطلح التكرور تارة للمناطق الموجودة شرق كوكو و أخرى لمناطق غرب كوكو دون تدقيق مفصل ومحدد[2] ليكون البرتلي من بين المتقدمين في تحديده لبلاد التكرور قائلا: أنها تلك الأراضي الممتد من أدغاغ شرقا وغربا نحو بحر بني الزناقية وجنوبا إلى بيط وشمالا إلى أدرار، وهو بذلك تعريفا مقبولا إلى حد بعيد ويرى بعض المشارقة في شبه الجزيرة العربية أن مصطلح التكرور مصدره ركب الحجيج الذي كان ينطلق من السودان الغربي في طريقة نحو أداء فريضة الحج ونظرا لتكراره نفس الطريق أصبحت يطلق عليها بلاد التكرور[3].

وعليه في هاته الحالات السابقة نجد أن مفهوم السودان هو مصطلح شكلي عام وشامل في توظيفه للتعبير عن منطقة بلاد السودان أو التكرور، وهما تحديد لحدود جغرافية واضحة ذات إجماع وتوافق لدى المؤرخين الرحالة السابقين[4] .

أما في العصر الحديث فقد جاء الأوربيون إلى قارة إفريقيا وتم تداول مصطلح السودان الذي استخدمه العرب قبل غيرهم، واستعمل بشكل جزئي فنجد أن الإنكليز أطلقوا كلمة السودان على مستعمراتهم في كل من مصر والسودان و أوغندا تحت ما يسمى بالسودان المصري، في مقابل ذلك أطلق الفرنسيون على مستعمراتهم في إفريقيا الغربية ما يسمى السودان[5] ومنه لجأ بعض المؤرخون الأوربيون إلى محاولة تقسيم منطقة السودان على غرار المؤرخ الانجليزي ترمنجهام إلى ثلاثة مناطق

---

[1] الحموي أبو عبد الله ياقوت: معجم البلدان ،تح فريد عبد العزيز الجندي،دار الكتاب العربية،بيروت لبنان ، ط،1،1990ص376.

[2] TRIMINGHAM.J.S :A HISTORY OF Islamic West Africa London public Oxford University Press , London,1970,p 03.

[3] حسن عبيد عبد الظاهر: الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفولاني من مطلع القرن التاسع عشر ميلادي ، جامعة الامام مُحَمَّد بن سعود الاسلامي ، المملكة العربية السعودية 1981ص37.

[4] عبد القادر زبادية : الحضارة العربية والتأثير الأروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر 1989ص11

[5] خالدي مسعود: الجاليات العربية والبربرية في إفريقيا جنوب الصحراء بين ق11م و16م أطروحة دكتوراه علوم، غير منشورة إشراف مسعود مزهودي، جامعة الأمير عبد القادرسنة2008-2009، ص32.

متباينة هي السودان الشرقي والسودان الأوسط والغربي[1] ويكون بذلك التقسيم الجغرافي لبلاد السودان كما يلي:

1. السودان الشرقي: ويشمل المنطقة الممتدة من البحر الأحمر شرقا حتى إقليم دارفور شرقا ليضم بذلك الحوض الأعلى والأوسط لنهر النيل .

2. السودان الأوسط : يشمل على حوض بحيرة تشاد والمناطق المحيطة بها.

3. السودان الغربي : يضم المناطق الواقعة بين حوض نهر السنغال ونهر غامبيا والمجرى الأعلى لنهر قولتا والحوض الأوسط لنهر النيجر[2].

وخلاصة القول لما سبق عرضه نستنتج أن مصطلح السودان الأوسط كمفهوم جغرافي هو مصطلح حديث ظهر نتيجة للتقسيمات التي قام بها بعض المؤرخون الأوروبيون لمنطقة بلاد السودان، باعتبار أن العرب القدامى لم يقوموا بهاته التقسيمات، وعليه يمكن أن نعرف إقليم السودان الأوسط جغرافيا على النحو التالي:

هو تلك النواحي المدارية الشاسعة الممتدة من الضفاف الشرقية لنهر النيجر حتى منطقة بحيرة تشاد ثم المناطق التي تلي ذلك شرقا دارفور و وداي وهي الجزء الغربي من السودان النيلي[3] ويشمل هذا الإقليم حوض تشاد ويضم حاليا الأقاليم السياسة التالية: جمهورية تشاد، شمال نيجريا شرق النيجر، الأجزاء الشمالية لجمهورية إفريقيا الوسطى وشرق جمهورية السودان، الأجزاء الجنوبية من ليبيا.[4] أما تاريخيا فقد ظهرت في هذه الأقاليم عدة ممالك إسلامية في العصور الوسطى منها مملكة السنغاي[5] وممالك الهوسا و كانم برنو حيث خلفت حضارة إسلامية راقية ظلت صامدة عبر العصور إلى يومنا هذا.

---

[1] السنغاي نسبة إلى قبيلة سنغاي التي كانت تسكن النيجر وتمتهن صيد الأسماك وزراعة الدخن، ينظر عبد القادر زبادية،المرجع السابق ص20

[2] عبد القادر زبادية: الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية، مرجع سابق،ص11.

[3] حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، القاهرة، 1957، ص378.

[4] يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16م الى مطلع القرن 20م الجزائر ، دار هومة ، سنة 2001، ص11.

[5] السنغاي نسبة إلى قبيلة سنغاي التي كانت تسكن النيجر وتمتهن صيد الأسماك وزراعة الدخن، ينظر عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص 20.

02/ الدراسة الطبيعية لإقليم السودان الأوسط

نظرا لتناولنا منطقة واسعة وهامة في السودان وهي منطقة السودان الأوسط، يستلزم علينا أن نضع لمحة جغرافية مختصرة لها حيث تميزت بتنوع التضاريس والمناخ وهو ما أثر على النبات مما جعلها منطقة جذب لاستقرار السكان وممارسة مختلف أنشطتهم اليومية، حيث يمكن أن نميز التضاريس التالية:

1. المرتفعات :

ويقصد بها الجبال والهضاب حيث أن السودان الأوسط يقع جنوب سلسلة جبال الأطلس الصحراوية، وهي قليلة المرتفعات الإلتوائية وهو ما جعلها تحتوي على مرتفعات تعود إلى حقبة جيولوجية قديمة[1] ومن أبرزها :

أ . جبال العير: وهي جبال تقع في الحدود الشمالية للصحراء أما جنوبها عبارة عن أراضي خصبة جعلتها بعض قبائل الطوارق والهوسا مساكن لها[2] بها جبال مرة التي يبلغ أعلى ارتفاع بها حوالي 3088م بإقليم دارفور.

ب . جبال التبيستي: وهي عبارة عن جبال متوسطة الارتفاع في حدود 2000 م متواجدة في الحدود الليبية التشادية، يبلغ أعلى ارتفاع لها حوالي 3390م استوطنها قبائل التيو[3] كما نجد جبل الكمرون الذي هو بمثابة مخروط بركاني وهو يعتبر أعلى جبل بمنطقة السودان الأوسط بارتفاع يقدر بحوالي 4100م، بالإضافة إلى جبال البرقو والأندي والسورو مع الحدود الجنوبية للصحراء[4].

2. الهضاب: ما يميز تضاريس إفريقيا بصفة عامة كثرة الهضاب الواسعة المتناسقة والمتباينة في الارتفاع، إلا أن تمركزها غالبا في شرق القارة بينما يقل تواجدها في الوسط والغرب، حيث لا يتعدى متوسط علوها 600 م ومن أشهر الهضاب في السودان الأوسط نجد هضبة حوس بشمال نيجيريا حيث تشبه السهل نظرا لاتساعها وقلة ارتفاعها[5] وتسمى أحيانا سهول الهوسا .

---

[1] مُحَمَّد أحمد عقلية عبد العالي الحقاف: جغرافية القارات، دار طارق للنشر، 1998، ص 87.

[2] عبد الرحمن عمر الماحي: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال، الهيئة المصرية العامة للكتب، ط1، القاهرة 1982، ص11.

[3] جودة حسن جودة: جغرافية إفريقيا الإقليمية، الإسكندرية، المكتب الجامعي، 1998، ص 48.

[4] أنور عبد العالي العقاد: الوجيز في القارة الإفريقية، الرياض، دار المريخ، (د.ت) ص 38.

[5] جودة حسن جودة: جغرافية إفريقيا الإقليمية ، المرجع السابق، ص 52.

3. السهول الصحراوية:

إذا ما قمنا باستثناء سهول الهوسا العليا بنيجيريا ووسط النيجر فإننا نجدها في الأراضي عبارة عن صحراء قاحلة ذات حدود واسعة (الصحراء الإفريقية الكبرى) التي تحتل جزء كبير من مناطق شمال السودان الأوسط، وتمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى حدود نهر النيل شرقا أما شمالا فتمتد من الهضبة الليبية وشط ملغيغ وسلسلة جبال الأطلس الصحراوي حتى مصب نهر السنغال وأعالي نهر النيجر وبحيرة تشاد جنوبا[1] ويصل امتدادها من الشمال إلى لجنوب حوالي 1500 كلم ومن الشرق نحو الغرب حوالي 4000 كلم[2] وما يميز هذه الصحراء عن باقي الصحاري الإفريقية هو طغيان الصخور والحصى عن الرمال شكلتها بعض الينابيع المائية التي تساعد على استقرار الإنسان بها،[3] وممارسة مختلف نشاطاته اليومية في إطار تنظيم محكم داخل مجتمع واحاتي يسعى من أجل البقاء في ظل الظروف الطبيعية والمناخية الصعبة، وبقدر ما كانت الصحراء الإفريقية منطقة طاردة للسكان استطاعت بفضل مجموعة من العوامل كوجود المياه والينابيع والمسالك والطرق التجارية أن تتحول إلى منطقة جغرافية جاذبة للسكان، مشكلة بذلك همزة وصل بين شمال القارة وباقي المناطق الإفريقية المتاخمة لها بل أن بعض القبائل استطاعت التأقلم مع المناخ الصحراوي وتستقر فيها لتكون النواة الأولى لظهور المدن التجارية والممالك المختلفة [4].

وبالتالي نستنتج أن الصحراء الإفريقية استطاعت أن تؤدي دورا كبيرا في تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء عبر العصور بدليل النقوش الصخرية والرسومات التي تم اكتشافها حيث أكدت وجود حضارات قديمة منذ العصور الحجرية[5].

4. الشبكة الهيدروغرافية:

تمتاز منطقة السودان الأوسط بكثرة المنخفضات التي تمتاز بخاصية الاحتفاظ بكميات من المياه مشكلة أحواض وبحيرات مختلفة ساعدت في استقرار الإنسان حول ضفافها ومن أبرزها:

---

[1] دافيد ليفنسكي : دور الصحراء الكبرى وأهل الصحراء في العلاقات بين الشمال والجنوب (موسوعة تاريخ افريقيا العالم اليونسكو، ج3، ص 309.

[2] إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها ، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب 1983، ص14.

[3] دونالدويدنر: تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، تر: راشد البراوي، مصر مكتبة الوعي العربي،2001، ص 3.

[4] نبيلة حسن مُحَمَّد: في تاريخ إفريقيا الإسلامية، مرجع سابق، ص63.

[5] مادهو بانيكار : الوثنية والإسلام، ترجمة وتعليق أحمد فؤاد سابع، المجلس الأعلى للثقافة (د.ط) القاهرة 1995، ص14.

أ- حوض سوكوتو: وهو يقع في منطقة شمال نيجيريا ويرجع أصله إلى أنه كان عبارة عن هضبة واسعة تعرضت لعمليات التعرية بسبب الرياح، مما جعل تربته خصبة صالحة للزراعة خاصة محاصيل الذرة والفول السوداني التي اشتهرت بها قبائل الفولاني[1] .

ب- بحيرة تشاد: سميت بهذا الاسم نسبة إلى نوع من الأسماك متواجد بها يدعى chad أو shad[2] وما يميز هاته البحيرة هو اتساعها وغزارة مياهها التي بدأت تجف حاليا بسبب الحرارة والجفاف والتبخر، تحولت إلى مستنقعات تتخللها بعض الجزر الصغيرة، أما عمقها فلا يتعدى 3 أمتار ومساحتها حوالي 150 ألف كلم وأحيانا تمتلئ مياهها لدرجة الفيضان[3] ويتوسط البحيرة لمنطقة السودان الأوسط، جعلها تحتل موقع استراتيجي هام منذ القدم لتكون محطة التقاء للقوافل التجارية القادمة من مختلف اتجاهات إفريقيا فيها[4] وبفضل وفرة مياهها وخصوبة تربتها فقد أقيمت حول ضفافها عدة محاصيل زراعية أشهرها زراعة الأرز التي كانت تمثل الزراعة المعاشية للسكان بالمنطقة[5].

ت- الأنهار: بطبيعة موقع السودان الأوسط الجغرافي جعله منطقة قليلة التساقطات التي يمكن لها أن تغذي الأنهار على قلتها ومنها نهر"لوقون" الذي يصل طوله إلى حوالي 965 كلم بالإضافة إلى نهر شاري الذي يقدر طوله 1180 كلم وينبع من أراضي منطقة " أوبانجي" في إفريقيا الوسطى وهذان النهران مصدر مياههما هو الأمطار الموسمية بالمنطقة، كما أنهما يتصلان مباشرة ببحيرة التشاد.

---

[1] جودة حسين جودة: جغرافية إفريقيا الإقليمية، مرجع سابق، ص 230.

[2] أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ط1، القاهرة، مطابع الرحيوي، 1990، ص608.

[3] أنور عبد العلي العقاد : الوجيز في القارة الإفريقية، مرجع سابق، 39 .

[4] Basil Dvidson : L afrique ancienne ,Français maspero , Paris,1978,P 55.

[5] عبد الجليل شاطر البصيلي : حضارات السودان الشرقي والأوسط، الهيئة المصرية للكتاب (ب،ط) القاهرة، 1972، ص 410.

4) **المناخ والنبات:** إذا ما قمنا بدراسة الحفريات القديمة والمستحثات لمنطقة بلاد السودان الأوسط، يمكن أن نستنتج أن مناخ المنطقة قد تغير منذ القدم وفق مراحل مختلفة حيث كان يمتاز بارتفاع درجة الرطوبة مقارنة بما هي الآن، ويرجع ذلك الى موقعها الفلكي حيث تقع بين 8 و 23 درجة شمالا وبين 14 و 24 درجة شرقا وبالتالي يمكن أن نحدد أبرز أقاليمها المناخية التالية (المناخ الموسمي ،المناخ الاستوائي ،المداري ،الصحراوي)[1] فنميز مثلا المناخ المداري بالجفاف خلال فترة الشتاء بسبب الرياح الجافة التي تهب من منطقة الضغط المرتفع الشبه مداري،[2] بينما صيفا يمتاز بكثرة الأمطار التي تتباين من منطقة لأخرى وتتجاوز أحياننا 125ملم قرب المناطق الإستوائية وتتناقص تدريجيا كلما اقتربنا إلى المناطق الصحراوية، وكلما توجهنا شمالا تزداد تساقطا[3] بينما المناطق الداخلية فتمتاز بدرجة الحرارة المرتفعة التى قد تتجاوز أحياننا في فصل الصيف 44 درجة ليصل معدلها صيفا حوالي 30 درجة وتزداد ارتفاعا قبيل سقوط الأمطار الصيفية التي تأتي عقب، ذلك و تلطفها. حيث يمكن تقسيم مناخ المنطقة إلى ثلاثة أقاليم مناخية [4]:

الإقليم الأول من 8 إلى 16درجة:وهو إقليم يدخل في هذه المنطقة السافانا المعروفة بحشائشها وأمطارها.

والإقليم الثاني من 18 إلى 16درجة ويشمل بحيرة تشاد وما جاورها حيث تقل فيه الأمطار، وتسود الأعشاب والشجيرات الصغيرة، ونجد ممارسة الزراعة فيه بشكل محدود ولذلك فهي منطقة رعوية تسكنها قبائل التوبر والعرب .

أما الإقليم الثالث من 23 الى 18درجة: ويشمل جبال تيبستي التي يغلب عليها الطابع الصحراوي ومن مميزاته الجفاف، وقلة الأمطار[5].

---

[1] زعتوت عبدالرحمان : الجغرافيا، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية ، ط1، الجزائر ،2003،ص 81 .

[2] جودة حسين جودة : جغرافية إفريقيا الإقليمية ،دار النهضة العربية ،بيروت ،1981، ص 230 .

[3] عمر عبدالرحمان الماحي : تشاد من الإستعمار حتى الاستقلال ،ط1،القاهرة ،الهيئة المصرية للكتاب ، 1982 ،ص 41 .

[4] علي موسى: جغرافية العالم الإقليمية ، دار الفكر، دمشق، 1971، من 181.

[5] عبد الجليل شاطر البصيلي: حضارات السودان الشرقي والأوسط ،المرجع السابق، ص 41 .

لقد انعكس الوضع المناخي السابق ذكره على الحياة النباتية، فنجد نباتات كثيفة ومتنوعة في كل إقليم، ففي الإقليم الأول تنمو حشائش السافانا الطويلة التي تلتقي بالغابات الكثيفة في الجزء الجنوبي منه، وبصفة عامة الإقليم فقير النباتات لموقعه المتميز بالجفاف وقلة الأمطار وعلى هذا الأساس يغلب على هذه المنطقة الطابع الرعوي، ومن ناحية أخرى تنتشر فيه بعض المزروعات المعاشية مثل الشعير والأرز[1].

وفي الإقليم الثاني (18-16درجة) تنمو أعشاب وشجيرات منها أشجار السبط التي تنتج الصمغ، تستوطن فيه مجموعة من القبائل الرعوية منهم التبو والشوا وهم قبائل يمارسون الرعي، ويملكون الجمال والبقر والخيل والماعز[2].

وأما الإقليم الثالث 23 الى 18 درجة) فإنه يتميز بنمو النباتات القصيرة والفقيرة مثل الأعشاب الشوكية والحشائش القصيرة خاصة على أطراف الصحراء مثل تيبتي، و يمارس سكانه الرعي وتربية الإبل والماعز.

وعليه مما سبق ذكره نستنتج أنت منطقة السودان الأوسط من ناحية دراستها الجغرافية يطغى على تضاريسه طابع الانبساط مما يسهل عملية التواصل والاحتكاك الحضاري مع باقي الشعوب، كما أن بحيرة تشاد التي تتوسطها شكلت نقطة جذب واستقرار الإنسان حول ضفافها على مر العصور التاريخية منذ القدم الى يومنا هذا.

[1] جودة حسين جودة : جغرافية إفريقيا الإقليمية ،المرجع السابق، ص 175

[2] عبدالجليل شاطر البصيلي: حضارات السودان الشرقي والأوسط ،المرجع السابق، ص 41.

ثالثا: الدراسة البشرية.

إن توسط السودان الأوسط بين السودانين الشرقي والغربي وبين شمال إفريقيا الذي يقطنه العرب والبربر وجنوبها الذي يقطنه السودان جعله همزة وصل واستقرار لمختلف الشعوب والقبائل، منذ القدم وبالرغم من افتقاره إلى عوامل جذب السكان مثل مناجم الذهب بالسودان الغربي، إلا أن بساطة تضاريسه وملائمة مناخه جعله محطة استقرار للعديد من الشعوب والقبائل ذات أصول عديدة (زنجية حامية، سامية) حيث وصلت الى المنطقة عن طريق الهجرات المتعددة. وبوفرة الواحات في الشمال وبحيرة تشاد في الجنوب واستقرار الأوضاع جعل هاته القبائل تستقر وتندمج فيما بينها مشكلة قبائل وممالك عديدة، ومع مرور الزمن تغيرت بعض ملامحها الأصلية نتيجة المصاهرات مما يصعب على الدارس حاليا التميز فيما بينها[1] وسنكتفي هنا بعرض موجز لأهم القبائل التي كان لها تأثير حضاري في المنطقة ومن أبرزها ما يلي:

أ . القبائل الأصلية: وتعني بذلك تلك القبائل الإفريقية الزنجية ذات الملامح السوداء الضاربة في قدم المنطقة والتي منها :

1) **قبائل الساو أو الصو:**

تعتبر من أقدم و أهم القبائل الإفريقية التي استوطنت منطقة السودان الأوسط حول ضفاف بحيرة تشاد[2]وهناك اختلاف كبير في أصولهم حيث يرجعهم البعض إلى سلالة الهكسوس بحكم التشابه الجسماني معهم وهو ما يذهب إليه العالم الفرنسي " لوبيف Lebeuf" الذي يقول أن قبائل الساو هاجروا من الشرق إلى المنطقة خلال القرن 4م، وعرفت ملامحهم الجسمانية بطول القامة كباقي سكان وادي النيل[3] أما المؤرخ "إرفوي Urvoy" فيؤكد بأنهم جاؤوا إلى المناطق الجنوبية الغربية لبحيرة تشاد ثم استمروا في الزحف إلى غاية شرق البحيرة حيث استقروا هناك ويعتقد أن قبائل " الساوة" هم أسلاف قبائل " كوتوكو" الموجودين حاليا في التشاد نظرا لكونهم يستخدمون كلمة "ساو" للدلالة

[1] محمد عوض محمد: الشعوب والسلالات الإفريقية، الدار المصرية للتأليف والترجمة(د.ط) القاهرة 1969ص130.

[2] Rebert Cornevin :Historie de lafrique Precoloniale du tournat du 16 siecle du tournat du20siecle, Presse de l'Impoumerie Bussiere,France 1966p231.

[3] Henri barth :Travel in North and Central Africa, vol.3,London,1965p 36.

على أسلافهم وحسب الروايات التاريخية فإن قبائل الساو كانوا منذ القرن 7 م يستقرون في منطقة كوار ثم استولوا على جميع الأقاليم الواقعة بين بحيرة "فتري" وبلاد الماسا وفي عهد الملك إدريس ألوما في القرن 17م حيث تعرضوا لحملة الطرد والإبادة فاختفت قبائل الساو كتنظيم سياسي موحد ومنهم من اندمج في قبائل الكوتوكو أو قبائل المانغا[1]، وقد تميزت بنيتهم الجسمانية بالضخامة كما أقاموا حضارة راقية ومزدهرة بمختلف الفنون والصناعات كالمعادن والفخار.[2]

2 قبائل الزغاوة:

وهم من أقدم الشعوب التي وصلت إلى بحيرة تشاد وأنشئوا فيها مملكة واسعة الأطراف امتدت بين تشاد غربا إلى النوبة شرقا، ولا يزال تواجدهم إلى اليوم بدولتي تشاد وغرب السودان وقد جمعت ملامحهم الجسمانية بين الخصائص الزنجية والحامية وهو ما جعل المؤرخين يختلفون حول أصلهم، فمنهم من يرى أنهم من أصول بربرية قدموا من ليبيا والمغرب ومنهم من يدعوا إلى أن أصلهم من الدار فور وهو ما ذكره البكري في كتابه المغرب في ذكر بلاد إفريقية أو المغرب قائلا: " ... إنهم انحدروا من هضبة الدار فور..."[3] حيث كان العرب على اتصال كبير بقبائل الزغاوة نظرا لاستيطانهم بمسالك القوافل التجارية العابرة للصحراء وهو ما يفسره تداول اسمهم على كثير من المؤرخين والجغرافيين الإسلاميين أمثال ابن حوقل، اليعقوبي، الإدريسي، البكري وابن خلدون في كتاباتهم التاريخية .

ويرى حسين مؤنس أن الزغاوة هم إحدى قبائل زواغة كما يسميها "ابن خلدون" حيث يكتب اسم زغاوة أحيانا وزاوة وأحيانا أخرى زوارة غير أنهم حاليا يعيشون في شمال غرب الدارفور وشمال الوداي ويتكلم معظمهم اللغة العربية إلى جانب لغتهم الأصلية (لغة التيبو) وحياتهم اليومية لا تعرف الاستقرار بحثا عن المراعي والصيد[4] كما حكموا فترة طويلة مدينة كانم وهو ما أورده اليعقوبي في حديثه عن ممالك بلاد السودان قائلا : "وأما السودان الذين غربوا وسلكوا نحوا المغرب، فإنهم قطعوا

---

[1] العربي حجيلة : مملكة كانم برنو في عهد السلطان إدريس ألوما ،رسالة ماجستير،جامعة الجزائر 2،سنة 2014 ،ص27.

[2] الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، ص432.

[3] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، مرجع سابق، ص 11.

[4] التونسي مُحَمَّد بن عمر: تشحيد الأذهان بسيرة أهل العرب والسودان ، تحقيق خليل مُحَمَّد عساكر ومصطفى مُحَمَّد مسعد، الدار المصرية للترجمة والتأليف ،القاهرة 1965ص54.

البلاد فصارت لهم عدة ممالك، فأول ممالكهم: الزغاوة، وهم النازلون بالموضع الذي يقال له: كانم..."[1]

3 قبائل الكانمبو:

إن لفظة كانمبو تتضمن معنى جغرافي هو أهل الغرب حيث تنقسم إلى قسمين Anem وتعني (الغرب) و bou تعني " أهل" وهذا الاسم أطلقوا عليهم أهل التيدا من لهجتهم أما قبائل الهوسا فأطلقوا عليهم اسم " بري بري" Berberi اي حسب لغتهم المغاربة[2] وقبائل الكانمبو هو خليط من القبائل الساو والبربر يتكلمون لغة صحراوية تقارب لغة التبو كتبت بالحرف العربي مع زيادة بعض الرموز اشتهروا بممارسة النشاط الزراعة خاصة الذرة والخضر والفواكه الموسمية[3]

3 قبائل الكانوري:

هم مزيج من عناصر سكانية مختلفة كالعرب والبربر والزنوج ويرجع البعض إلى ان أصولهم يعود إلى العرب الوافدين من اليمن وهو ما ذهب إليه الرحالة هنري بارث[4] وتعود أصل تسمية الكانوري إلى منطقة كانم التي استقروا فيها قبل رحيلهم إلى إقليم البرنو، فكلمة كانم محرفة من كلمة كانمري Kanemri المتصلة بكلمة كانم[5] ويرى البعض ان كلمة كانوري مشتقة من الكلمة العربية " نور" وأضيف لها المقطع "ك" K للدلالة على معنى التبعية أو النسبية أو الارتباط فصار معنى الكلمة حملة نورا وحمل المشاعل " نسبة إلى الدور الذي لعبته هذه العناصر في نشر الإسلام بين الوثنيين وتعني بذلك كلمة كانوري "ناس من كانم" ويفسرها الكانوريون" ب"أهل النور "بينما يفسرها أعدائهم " أهل النار" ومهما يكن من شيء فإن كلمة كنوري لم تطلق على جنس بعينه ولا على قبيلة يعنيها

---

[1] مصطفى أنجاي: من كانم إلى صوكوتو موجز التاريخ السياسي للسودان الأوسط، مجلة قراءات تاريخية العدد35 يناير ص18.

[2] بشار الملاح: التحولات التي أحدثها الإسلام في المجتمع الإفريقي من القرن5-9هـ/11-15م دار المنهل،2013ص64

[3] Harold Nelson : Chad a Country Study, First edition, Warchiongton,1972 p56.

[4] هنري بارث رحالة جغرافي ألماني (1821م-1865م)له الفضل في اكتشاف العديد من المناطق الإفريقية التي زارها ووصفها بشكل دقيق في كتابه Travels and Discoveries in Northern and Central Africa أنظر فيصل محمد موسى : موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ، منشورات الجامعة المفتوحة بنغازي 1997ص99.

[5] إبراهيم علي طرخان: إمبراطورية البرنو الإسلامية ،الهيئة العامة للكتاب القاهرة ،(د.ط) سنة 1975 ، ص 25.

وإنما أطلقت على خليط من الناس مختلفون في الأصل تمييزا لهم عن العناصر الأصلية سكنوا في أقصى شرق النيجريين زندرة وبحيرة تشاد[1]

وذهب بعض المؤرخين إلى اعتبار هاته السلالتين الكانمبو والكانوري الى أنهما سلالة واحدة من حيث أنهم في الأصل عبارة عن خليط بين التيدا والعرب الذين جاؤوا من التبستي والبوركو[2]

4 قبائل الهوسا:

تعتبر قبائل الهوسا من أهم قبائل السودان الأوسط وأكثرها عددا بعد القبائل السواحيلية يسكنون في مجال جغرافي واسع يمتد من الحوض الأوسط لنهر النيجر غربا إلى برنو شرقا.

وكلمة هوسا لها عدة معان ومشتقات منها " الهوس" أي الطوفان بالليل والطلب بجرأة ورجل هواس وهواسة بمعنى شجاع مجرب وهوس الناس هوسا أي وقعوا في انحلال وفساد[3]

والبعض رأى أن كلمة هوسا مركبة من "هو" وتعني بلغة الهوسا أركب و "سا" تعني عندهم الثور أي راكبو الثيران كما أن قبائل الهوسا يطلقون هذا الاسم على بلادهم فيقولون "هوسا باكواي"[4].

وعليه فإن لفظة هوسا تحيل إلى معنى لغوي وثقافي وجغرافي أكثر من كونه عرقيا حيث تطلق على الشعوب التي تتكلم لغة الهوس أو الشعوب القاطنة في الممالك القديمة لبلاد الهوسا[5] أي ذات مدلول لغوي وحضاري وحول أصل قبائل الهوسا فقد اختلفت الآراء وتعددت فمنهم من يردهم إلى أصول عربية قادمة من بغداد بالعراق أو أنهم كانوا من سكان الصحراء الكبرى قبل جفافها ثم زحفوا جنوبا نحو هضبة بوشي واستقروا هنالك قبل أن يسيطروا على ما يعرف ببلاد الهوسا ويرى آخرون أن قبائل الهوسا كانت تقطن غرب بحيرة التشاد ويمتهنون الصيد ولما نقص منسوب مياهها مارسوا حرفة الزراعة [6] وكان لهاته القبيلة دورا كبيرا في تاريخ السودان الأوسط.

---

[1] حسين مؤنس :أطلس تاريخ الإسلام المرجع ،السابق،ص378.

[2] عبد الجليل شاطر البصيلي: حضارات السودان الشرقي والأوسط ،مرجع سابق ص98.

[3] ابن منظور : لسان العرب، مصدر سابق،ج8ص138.

[4] حسن عيسى عبد الظاهر: الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا ،الزهراء للإعلام العربي،ط1،القاهرة1991 ص60.

[5] ممالك الهوسا سبعة وهي: غوبير، زوز،كاتسينا ، كانو، ورنو، زمفرة ،دورا.

[6] بواهن آدو وآخرون : تاريخ إفريقيا العام مجلد 4،صدر عن اليونسكو، المطبعة الكاثوليكية ،بيروت ،لبنان ،1990 ،ص 188.

5) قبائل الفلاني[1]:

تعتبر أحد أهم القبائل الإفريقية التي لعبت دورا أساسي في التاريخ السياسي والحضاري في السودان كما أن لهم وجود جغرافي يمتد من سواحل المحيط الأطلسي غربا إلى بلاد النوبة شرقا واختلفت أقوال وأراء علماء الأجناس والآثار والمؤرخين وحتى اللغويين حول مسألة أصولهم قديما وحديثا فيرى بعضهم أنهم انحدروا أساسا من الحاميين الشماليين الذين قدموا إلى إفريقيا عن طريق هجرات متكررة من الشمال الإفريقي ولا سيما من القبائل الليبية القديمة التي استوطنت في الجنوب[2].

ويرى فريق آخر من الباحثين أنهم من الجنس السامي، امثال إدموند دى موريل في كتابه " شؤون غرب إفريقيا"وصلوا إلى إفريقيا عن طريق هجرات من بلاد اليمن والجزيرة العربية بواسطة باب المندب حتى وصلوا إلى بلاد السودان[3].

وهناك من يرجعهم إلى طائفة بني إسرائيل واليهود أو إلى الروم امثال: جيراندون(1888) و موريل (1902) وديلافوس (1912) وتوكسير(1937) حيث يستشهدون من خلال ملامح الفولانيين التي تشبه ملامح الأراميين حيث وصلوا المنطقة في هجرات مختلفة عبر الزمن، والبعض ينسبهم للفراعنة والنوبة أو الحبشة إلا أن الفولانيين أنفسهم يرون أنهم ينتمون الى الجنس العربي نسبة والى الفاتح عقبة بن نافع الفهري[4]وهو ما ذهب اليه كلابرتون في كتابه "رحلات الى شمال نيجيريا 1826/1828".

وعلى أي حال فإن الفلانيون استقروا في بداية عهدهم بالسودان الغربي بمنطقة فوتاتورو منها تدفقت هجراتهم الى السودان الأوسط واختلطوا مع بقية السكان مما أكسبهم صفات وملامح جديدة خاصة بهم وانتشروا كرعاة بين القرى الزراعية ثم استقرت مجموعات أخرى منهم ومارسوا حرفتي التجارة والصناعة حتى قويت شوكتهم خلال القرن 16 وأصبحوا ينشطون في كل المجالات كما يعود

[1] لهم عدة أسماء منها: الفلاتة،الفلاني،الفولاني، الفولا، الفول، الفولب، ينظر ترمنجهام ،المرجع السابق،ص 12 .

[2] سجلمان (س.ج):السلالات البشرية في إفريقيا، ترجمة يوسف خليل، مطابع العالم العربي، (د.ط)، القاهرة، 1959، ص139.

[3] بول مارتي :كنتة الشرقيون، ترجمة، مُحَمَّد محمود ولد دادي، مطبعة زيد بن ثابت (د.ط) دمشق 1985، ص139.

[4] مُحَمَّد بيلو : إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور،تحقيق بهية الشادلي،منشورات معهد الدراسات الإفريقية ،جامعة مُحَمَّد الخامس ،الرباط، المغرب ،1996، ص 226 .

لهم الفضل بعد اعتناقهم للإسلام في وقت مبكر إلى نشر الإسلام بين مختلف القبائل وأصبحوا يتكلمون الفولانية التي تكتب بالحرف العربي[1].

ب) **القبائل المهاجرة:**

نظرا للتقارب الجغرافي بين إفريقيا وشبه الجزيرة العربية، جعل بعض القبائل العربية تهاجر فرادى أو جماعات نحو إفريقيا في إطار التواصل الحضاري مما جعل بعضها يستقر ويؤثر بشكل كبير في مختلف جوانب الحياة اليومية للإنسان الإفريقي ومن بين هاته القبائل التي كان لها تأثيرا كبيرا ما يلي:

1) **قبيلة جهينة:**

عرفوا بأنهم إبالة وبقارة جاؤوا من اليمن إلى مصر ومن ثم نحو حوض وادي النيل الأوسط في أوائل القرن 8م ومنها شقوا طريقهم نحو كردفان ثم إلى شاري وتنقسم هاته القبيلة إلى مجموعات منها السلامات، خزام، أولاد راشد، الدكاكير[2]ويقال ان هاته القبائل لم يكن لها تأثير سياسي أو ديني على شعوب المنطقة.

2) **عرب الشوا:**

وهي تسمية أطلقها أهل السودان منهم الكانبمو والكوتوكو وأهل باغرنى على هؤلاء الرعاة، ففي اللغة الكانورية عرب الشوا تعني " الرعاة الرحال" كتمييز لهم عن تجار العرب الذين يمكثون فترات قصيرة في هذه البقاع والذين يطلق عليهم "وسلي" ولهجتهم تقترب إلى لهجة أهل الحجاز خاصة في نهاية النطق للكلمات، فمصطلح "شوا" أخذ عدة تفسيرات في لغة البرنو وتعني "جميل" وهناك من فسرها بقليل أو شوية وهي لهجة عربية محلية وأكد رأي آخر ان أصلها عربي مشتقة من كلمة "شاة" أي رعاة الغنم وهي حرفتهم.

وكانوا ينقسمون إلى مجموعات منها الإبالة ويمثلون رعاة الإبل وهم بدو يملكون الجمال والأغنام والبقارة وهم رعاة الماشية واشتهروا بالفروسية وصناعة الحديد والجلود[3].

---

[1] عطية مخزوم الفيتوري: دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء، مرحلة انتشار الاسلام، منشورات جامعة قار يونس، بنغاري، ط1، 1998، ص28.

[2] عبد الفتاح مقلد الغنيمي: الاسلام وحضارته في وسط إفريقيا، ط1، مكتبة مدبولي، ص 65 .

[3] الطيب عبد الرحيم مُحَمَّد الفلاتي : الفلاتة في إفريقيا ومساهمتهم الاسلامية والتنموية في السودان ،ط1،دار الكتاب الحديث، الكويت ،1994،ص291.

3)قبائل البولالا:

كلمة بولال مكونة من لفظين (ب) و (لال) ومعناها أحرار الطوارق أو نبلائهم وعرفوا أيضا باسم كي ابلال ويقال أن أصولهم يرجع إلى المصاهرة التي تمت بين عرب الشوا والعنصر المحلي او مصاهرة العرب والطوارق والأرجح أن أصولهم بربرية متأثرة بالدماء العربية وحسب الروايات الشعرية تؤكد أنهم تمسكوا بالدماء البربرية وهو ما يظهر بصورة جلية في أغانيهم التي يرددونها، واستطاعت قبائل البولالا أن تقيم سلطنه واسعة حول فيترى التي كان مؤسسها أبوهم "جليل سكويتمي بن دوناماويلا" ويسيطروا على حدود بحيرة تشاد.[1]

3) قبائل البربر:

سكنت السودان الأوسط مجموعات سكانية كثيرة من البربر منها التنبو أو (التيد والدازا) واسم توبو Toubou من الأسماء التي أطلقها الأوروبيون على مجموعة من القبائل المنتشرة في المنطقة الممتدة من صحراء ليبيا شرقا إلى النيجر غربا ومن فزان شمالا إلى تشاد جنوبا كما عرفوا بأسماء أخرى مثل الكتشر وكريدا وغرفادة[2] وهم ينقسمون إلى مجموعات رئيسية منها الكانمب Kanempe في منطقة بحيرة تشاد والدازا DAZA في النيجر وشمالا تشاد والتيدا Teda في وسط تيستي وليبيا والتيدا يمارسون الرعي أما الدتازا فحرفتهم الزراعة[3].

تلك هي بعض القبائل التي عاشت في منطقة السودان الأوسط عبر العصور وما يلاحظ بصفة عامة ان هاته المنطقة كانت تعج بتركيبات وأصول مختلفة، مما جعلها تنصهر فيما بينها وتتفاعل في إطار حضاري راقي تجسد كثيرا بعد دخول الإسلام إلى المنطقة وظهور الممالك الإسلامية التي رفعت راية الإسلام إلى يومنا هذا.

---

[1] Jean Cloude Zeltner: Pages d'histoire du Kanem pays Tchadien ; Edition l'Haomattan ; Paris ;1980.p 108.

[2] إبراهيم محمد عبد الفتاح: إفريقيا الأرض والناس، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1964، ص61.

[3] هارون علي أحمد: جغرافية الدول الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 2005، ص181.

الفصل الثاني: الاسلام في السودان الأوسط

1) انتشار الإسلام في إفريقيا

إن قارة إفريقيا لا يفصلها عن شبه جزيرة العرب، والتي هي بمثابة مهد الإسلام سوى البحر الأحمر الذي كان همزة وصل بينهما عبر مر العصور وبالتالي فإن علاقة العرب بإفريقيا هي قديمة منذ العصور حيث نجد استقرار بعضهم في السواحل الإفريقية الشرقية يحكم العلاقات التجارية ليكونوا بعد ذلك إمارات عربية في شرق إفريقيا، شهدت رقيا وازدهارا في مختلف المجالات[1].

فالقبائل القارية من الساحل الإفريقي الشرقي او كما عبر عنها **كويلاند بالجبران** كان لابد لها أن تمد نشاطها وتجارتها وتنتقل حضارتها إلى سواحل إفريقيا الشرقية، بالإضافة إلى عامل القرب الجغرافي بين المنطقتين هناك عامل المناخ وتأثيره يتجلى خلال فترة هبوب الرياح التجارية من الشمال والشمال الشرقي التي تبدأ من شهر ديسمبر إلى نهاية شهر فبراير أما من شهر إبريل إلى غاية سبتمبر فتنعكس هاته الرياح من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي انطلاقا من زنجبار إلى مدخل خليج عدن وعليه فإن رحلات التجار العرب نحو إفريقيا كانت تتم وفق لمواسم هبوب الرياح مما جعل المنطقة تشهد توافد كبير للسكان والسلع التجارية المتنوعة[2].

يضاف إلى ذلك نجد العمانيون بالخصوص بحكم تواجدهم قرب المسطحات المائية (المحيط، البحر) جعلهم ينشئون داخل بيئة بحرية في جنوب شبه الجزيرة العربية الأمر الذي سهل من عملية تنقلهم بحرا نحو سواحل إفريقيا انطلاقا من القرن الإفريقي وكونوا مجموعات عربية استطاعت أن تندمج داخل المجتمعات الإفريقية ونجد ذلك واضح من خلال الملامح الفيزيولوجية لبعض القبائل الإفريقية بمنطقة القرن الأفريقي على أن استقرار هاته القبائل العربية بالمنطقة لم يكن هدف الاستيلاء على الأراضي بقدر ما كان هدفهم إحداث حركية تجارية وتأمين القوافل التجارية وتسهيل عملية التواصل مع إخوانهم العرب في شبه الجزيرة العربية بدليل أنهم لم يسبق لهم وان نشبت معارك حربية مع القبائل الإفريقية (أهل المنطقة)[3] .

---

[1] مُحَمَّد عبد الغني سعوديّ: افريقية، دراسة في شخصية القارة وشخصية الإقليم،مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة 1983، ص23.

[2] شوقي عطا الله الجمل، ع الله ع الرزاق إبراهيم: تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1996، ص6.

[3] شوقي عطا الله الجمل: تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها، القاهرة، 1980، ص48.

وبظهور الدين الإسلامي في شبه الجزيرة العربية وانطلاق المرحلة الجهرية له أعطى دفعا جديدا لبداية التواصل الحضاري بين الأفارقة والعرب وتحول التجار العرب من ميدان التجارة الى الدعوة بطرق غير مباشرة من خلال المعاملة التجارية التي كانت تبنى على أساس الثقة والعدل وإعطاء الموازين والمكاييل حقها وأقساط الربح .

ولم تكن منطقة القرن الأفريقي هي المنطقة الوحيدة التي استطاع المسلمون من خلالها الوصول إلى إفريقيا بل متعددة الطرق على غرار طريق المحيط الهندي وباب المندب وهو المسلك الذي وصل إليه المسلمون طريقهم باتجاه الحبشة بأمر من الرسول ﷺ بعد ما اشتد بهم الأذى في قريش ومن خلاله وصلوا إلى الصومال وامتد نفوذهم إلى كينيا وتنزانيا وأعالي الكونغو[1] وكانت علاقة الجزيرة العربية بإفريقيا علاقة قديمة حيث جاء في بعض الكتابات العربية المتقدمة بان هاته العلاقة بدأت تشتد منذ غزو الملك أبرهة الحبشي للكعبة المشرفة.

وقد أكد تلك الحقيقة التاريخية الضاربة في القدم أولئك المسلمون الأوائل، الذين لجئوا إلى الحبشة أيام النجاشي فرارا من البطش والتنكيل والتعنيف الذي لحقهم من قبل أقاربهم وذويهم القرشيين وهنا لا يسع المجال التفصيل في هاته الحادثة، لكن ما يمكن التساؤل عنه هو لما اختار الرسول (ص) الحبشة [2] دون سواها من المناطق القريبة من مكة؟ بل كان الرسول ﷺ قد أكد على ان ملك الحبشة (النجاشي) لا يظلم عنده أحد[3]، ومن جهة أخرى فإن العرب نظرا لعلاقتهم الوطيدة بهاته المنطقة على مر العصور واحتكاكهم بسكانهم جعلهم يعرفون كل صغيرة وكبيرة عن أحوال هاته المجتمعات وطبيعة العلاقة بين أفرادها.[4]

واختلفت المصادر حول عدد من هؤلاء المهاجرين حيث كان من بينهم أشراف من قريش أمثال الصحابي عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت الرسول (ص) وجعفر بن أبي طالب وغيرهم حيث قام النجاشي بحمايتهم، ورفض تسليهم لقريش ومن هنا كانت النواة الأولى لانتشار الدعوة الإسلامية في إفريقيا ساعدها في الانتشار والتوسع عدة عوامل كالقرب الجغرافي مع الجزيرة العربية جعلت التقارب

[1] شوقي عطا الله الجمل،عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: المرجع السابق، ص 11

[2] الحبشة نسبة إلى القبيلة العربية حبشت التي هاجرت منذ ق 7 ق.م ينظر إلى عبد الله النقيرة :انتشار الإسلام في شرق إفريقيا ومناهضة الغرب له، دار المريخ، الرياض 1982، ص33.

[3] ابن هشام:السيرة النبوية، ج1، تحقيق مُحَمَّد الهادي عابدين وابن عبد الحميد، دار المعارف، القاهرة، 1964، ص 213.

[4] الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، ص 328.

الحضاري بعد ظهور الإسلام يزداد تواصلا ومتانة في مختلف المجالات[1] بالإضافة إلى مبادئ الإسلام السمحة التي تدعوا إلى المساواة ونبذ التفرقة والعبودية مما جعل الأفارقة يتعطشون لمعرفة هذا الدين واعتناقه فرادى وجماعات [2] وقد سارت الفتوحات الإسلامية في إفريقيا كما يلي:

1) فتح شمال إفريقيا:

يعتبر شمال القارة المنفذ الأساسي لمرور الفتوحات الإسلامية في مختلف مناطقها، فبعدما تم فتح بلاد الشام والقدس تم عقد مؤتمر الجابية تحت قيادة الخليفة عمر بن الخطاب سنة (17هـ، 638 م) وأعلن قرار فتح مصر لتأمين ظهر المسلمين وطرد القوات البريطانية المرابطة هناك وتولي قيادة جيوش فتح مصر "عمرو بن العاص" بين سنتي (18 هـ، 638م 25هـ 645م) [3] واستطاع ان يفتحها بعد معارك حربية انتصر فيها وأصبحت مصر ولاية تابعة للخلافة الإسلامية واعتنق المصريون الإسلام وظل بعضهم على النصرانية[4] كما استحسنوا بالمعاملة السمحة للإسلام عكس ما كانوا يتلقونه من ظلم واضطهاد من طرف البيزنطيين.

ولما استقرت أوضاع المسلمين في البلاد العربية، بدأ طموحهم في مواصلة سير الفتوحات الإسلامية خاصة بعد تولي الخلافة عثمان بن عفان ﷺ (23هـ-643م/ 35هـ- 655م) حيث أذن لعبد الله بن أبي سرح بقيادة الفتوحات في إفريقيا[5] وتوجهت أنظار المسلمين نحو شمال إفريقيا في حملات متتالية استغرقت سبعين سنة بدأها "عمرو بن العاص" وختمها موسى بن نصير سنة (90هـ-708م) واجه خلالها الفاتحون المسلمون مقاومة عنيفة من طرف الأمازيغ ظنا منهم أن الفاتحون المسلمون هم غزاة كسابقيهم (البيزنطيون،الوندال، الرومان)[6]، لكنهم اطمأنوا إلى الفاتحين بعدما مهد الطريق عقبة بن نافع الفهري واستطاع أبو المهاجر دينار بفضل سياسته الحكيمة أن يكسب ود

---

[1] أحمد نجم الدين فليجة: إفريقيا دراسة عامة وإقليمية، مركز الإسكندرية للكتاب، 1996، ص29.

[2] عبد الله النقيرة: المرجع السابق، ص 141.

[3] البلاذري: فتح البلدان، ج2، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار النهضة، القاهرة، 1985، ص 229.

[4] ان الأثير: الكامل في التاريخ، ج3،ط6، دار الكتاب العربي، بيروت، 1986، ص 12.

[5] ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، ط2، دار الثقافة، بيروت، 1980، ص9.

[6] توماس أورنولد: الدعوة الى الإسلام،ترجمة حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين،القاهرة،مكتبة النهضة المصرية،1981، ص144.

القائد الأمازيغي كسيلة بن لمزم الذي أسلم مع بعض قبائله، ليواصل موسى بن نصير الفتح الإسلامي للمناطق الداخلية لإفريقيا بمساعدة القبائل البربرية[1].

واستمرت الدعوة الإسلامية تنمو وتتبلور يوما بعد يوم في ربوع الشمال الإفريقي ليختفي مصطلح المغرب القديم ويشغل محله المغرب الإسلامي ويكون المنطقة الرئيسية لانتشار الإسلام في عمق القارة الإفريقية.

وبواسطة الاحتكاك وهجرة القبائل العربية زاد انتشار الإسلام ونشطت حركة الثقافة العربية الإسلامية وآدابها ولما زادت احتياجات الدول الإسلاميةالتي نشأت بمصر (الأخشيديون،الفاطميون) إلى الجيوش دعت الظروف إلى تجنيد السودانيين فاعتنق هؤلاء المجندون الدين الإسلامي ونشروه عند رجوعهم لذويهم[2].

وانتشر الإسلام في السودان الأوسط بفعل الدعوة والموعظة الحسنة فباستثناء شمال إفريقيا فإن الإسلام ساد وانتشر دون تجهيز للجيوش[3] وظهرت ممالك إسلامية مستقلة بذاتها مثل مملكة كانم التي يقول عنها القلقشندي :"والعدل قائم في بلادهم ويتمذهبون بمذهب الإمام مالك وهم يابسون في الدين"[4].

وبذلك بلغت المنطقة درجة عالية من الرقي في ظل الممالك الإسلامية وخاصة فيما بين القرنين الخامس والسابع الهجريين الحادي عشر والثالث عشر الميلاديين مما أبهر الرحالة الأوربيون بعد كشف إفريقيا[5] كل ذلك بفضل الإسلام الذي أخرج المجتمعات الإفريقية من عبادة الأوثان وسما بفكرها وتخلت عن كثير من العادات والتقاليد المشينة.

وتؤكد المعطيات التاريخية أن أول اتصال للإسلام بالسودان الأوسط كان في القرن الأول هجري حيث يذكر ابن عبد الكريم والبكري أن عقبة ابن نافع في سياق فتوحاته المغربية، أنه سار سنة 46هـ-

---

[1] عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، مرجع سابق، ص110.

[2] حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا ،دار الفكر العربي، 1986،ص188.

[3] BroKel Mann Histoire des peoples et des état jslamique de puis les origines jusqu' anos jors.payot.paris 1949.p 41.

[4] القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، مصدر سابق، ص281.

[5] بازل دافيد سون: إفريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمة، م. أحمد، دار الثقافة، بيروت (د.ت) ص 166.

666م حتى افتتح ودان ثم واصل إلى كوارد شمال شرق النيجر وحاصرها مدة شهر[1]،وبالرغم من محدودية هاته الحملة إلا أنها تعتبر أول اتصال بين الإسلام والسودان الأوسط.

وبعد استقرار المسلمون في فزان وكواريد التحقوا إلى الإسلام في المنطقة الجنوبية للسودان الوسط فرديا عن طريق الاتصال مع التجار المسلمين القادمين من الصحراء مع بقاء المجتمع في عمومه غير مسلم حسب شهادة البكري إذ يقول "وبلد كانم أربعون مرحلة وهم وراء صحراء بلاد زويلة لا يكاد أحد يصل إليهم وهم سودان مشركون" ولا ينبغي ذلك وجود أفراد معتنقين للإسلام وهو ما أشار له البكري نفسه على أن قوما من الأمويين استوطنوا كانم عند محنتهم مع العباسين[2] ثم بدأ الإسلام يزداد انتشار في المنطقة بعدما تحول حكم مملكة كانم من الزغاوة إلى السيفيين ويعد مُحَمَّد بن جبل بن عبد الله (1085م-1097م) أول ملك مسلم اعتلى حكم عرش كانم ثم خلفه ابنه "دوناما بن هومه" وهو أول من حج من ملوك كانم وسعى السيفيون في نشر الإسلام وتوطيد دعائمه بكل قوة في منطقة بحيرة تشاد.

أما بالنسبة لمنطقة بلاد الهوسا فوصول الإسلام إليها كان متأخرا ويرجح أن يكون في منتصف القرن 8هـ/14م وذلك في عهد باجي سركين كانو (1349م-1388م) عن طريق التجار الونغريين القادمين من مالي[3] ثم تعزز الوجود الإسلامي وازداد انتشارا وقوة في عهد الملك أسكيا مُحَمَّد في القرن 10 هـ 16م[4].

وما يمكن الوصول إليه في الأخير انه بالرغم من وصول الإسلام إلى السودان الأوسط بمختلف الطرق والوسائل إلا أن تأثيره بقي سطحيا، محصورا في فئة معينة كالتجار والعلماء والسياسيين ولم يشهد انتشارا واسعا بين مختلف الشرائح الاجتماعية إلا بعد قيام الخلافة الإسلامية على يد عثمان بن فودي ومن جاء بعده من الخلفاء.

2)العوامل المساعدة على انتشار الإسلام في السودان:

إن دراسة انتشار الإسلام بمنطقة السودان عامة والسودان الأوسط بصفة خاصة يجرنا للحديث عن تلك العوامل المختلفة والمتداخلة التي ساهمت بشكل كبير في دخول الإنسان الإفريقي إلى

[1] ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، دار الفكر، بيروت، ط1، 1996، ص28.

[2] البكري: المسالك والممالك، مصدر سابق، ص113.

[3] اليونيسكو: تاريخ إفريقيا العام ،مج الرابع،مشرف على المجلد ج.ت.نياني ،لبنان ،المطبعة الكاثوليكية،1988 ص294.

[4] الحسن الوزان: وصف إفريقيا ، ج2، ص170.

الإسلام واعتناقه كدين سماوي بديلا عن معتقداته المختلفة ، ولقد ساعد على انتشار الإسلام في إفريقيا بصفة عامة والسودان بصفة خاصة مجموعة من العوامل ولعلى من أبرزها نجد عوامل طبيعية التي تجسدت في التركيبة البيئية والاجتماعية والسياسية لهاته المنطقة وركزت بشكل كبير على استقرار الإسلام هنالك ويتجلى ذلك من خلال خلو هاته المنطقة من ديانات سماوية (يهودية ، نصرانية) حيث كانت المعتقدات المنتشرة داخل المجتمع قبل الإسلام بسيطة لا يمكنها ان تقربهم إلى الذات الإلهية وتكشف لهم الأسرار الكونية و من أبرزها وأكثرها انتشارا نجد الكهنة التي يدعي أصحابها باتصالهم بالعالم الخارجي الروحاني وجلب المنفعة والضرر للناس بالإضافة إلى الشعوذة من خلال قراءة آثار السارق وضرب الرمل واستلهام أخبار المستقبل ومعرفة خبايا الكون والتي كانت تضر بأفراد المجتمع أكثر مما تنفعهم الأمر الذي جعل أفراد المجتمع تلجأ إلى بدائل أخرى تجسدت في الشريعة الإسلامية[1].

ولعل من أبرز هاته العوامل ما يلي:

1) قواعد الإسلام السمحة: جاء الدين الإسلامي كخاتم للأديان السماوية وهو صالح لكل زمان ومكان فهو دين وعقيدة ومنهج وسلوك يحمل في طياته الكثير من الخصائص والسمات التي تميزه عن باقي الأديان السماوية السابقة[2] حيث يحمل بين ثناياه السماحة والأخوة والمساواة مما يبعث في نفسية معتنقيه الراحة والاطمئنان وهو ما اعترف به أحد المؤرخين الأوروبيين وهو "هوبير ديشان" قائلا: "... الإسلام دين الفطرة سهل التناول لا لبس ولا تعقيد في مبادئه، سهل التكفل والتطبيق على مختلف الظروف وإن وسائل الانتساب إليه أيسر و أيسر..." وبالتالي فإن الذي يدخل إلى الدين الإسلامي يشعر بأنه أصبح ذو شخصية فعالة لها مكانة هامة في المجتمع[3].

فالإسلام دين فطرة ويكفل حرية المعتقد لجميع الناس بدون إكراه قال تعالى: "**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي**"[4] وما ساهم في انتشاره الواسع عند الأفارقة هو ملائمته لبيئة

[1] عبد الرحمن عمر الماحي: الدعوة الإسلامية في إفريقيا، المرجع السابق، ص23.

[2] عطية مخزوم: دراسات في تاريخ شرق إفريقيا جنوب الصحراء، منشورات بنغاري، 1998، ص94.

[3] توماس أرلوند: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: إبراهيم حسن وآخرون، القاهرة، مكتبة النهضة المغربية 1981، ص 357.

[4] سورة البقرة: الآية 256.

الأفارقة وعاداتهم الاجتماعية المبنية على البساطة والتعاون وهو ما يصفه المؤرخ ترمينغهام قائلا:إن الفرد الذي يدخل الإسلام يجد نفسه هو الآخر منسجما في المجتمع الإسلامي وليس غريبا عنه"[1].

وهكذا بفضل المبادئ الإسلامية السمحة المبنية على الفطرة الدينية استطاع الإسلام أن ينتشر بين الأفارقة بفضل قوته الروحية وأزداد عدد الوافدين في كل زمان ومكان .

2) دور الفتوحات الإسلامية : كان للفتوحات الإسلامية الدور الكبير والفعال في انتشار الإسلام بالقارة حيث استغرقت وقتا طويلا واستخدمت وسائل شتى فلم تكن الحملات التي قام بها القادة العرب المسلمون الفاتحون أمثال عقبة بن نافع وعمرو بن العاص وموسى بن النصير نهاية لفترة الفتح الإسلامي لإفريقيا بل انطلقت حملات توسعية محلية على يد حكام وسلاطين أفارقة ومن أشهرهم مُحَمَّد بن جبل بن عبد الله (1085م-1097م) الذي يعتبر أول ملك مسلم حكم مملكة كانم حيث كان يدعى قبل إسلامه "حمى" أو "هومة جيلمه"" وساهم بشكل كبير في رفع راية الإسلام ومواصلة الفتح ليخلفه ابنه "دوناما بن هومه " الذي يعتبر أول ملوك كانم الذي يحج وواصل مسيره في نشر الإسلام وتعميمه على مختلف شرائح المجتمع[2] ومحاولة القضاء على الشرك والوثنية ليتولى بعده مجموعة من الملوك والسلاطين الذين كان آخرهم في العصر الوسيط السلطان إدريس ألومة (1570 م- 1602م) حيث بذل جهدا كبيرا ليجعل الإسلام دين الدولة ونشره في مختلف ربوعها[3].

3) هجرة القبائل: كان لاحتلال الموقع الجغرافي للسودان دورا استراتجيا في ظل قلة العوائق والحواجز الجغرافية وطغيان الانبساط على مظاهر السطح[4] مما انعكس إيجابا على هجرات القبائل من مختلف المناطق حيث ساهمت بشكل كبير في انتشار الإسلام بالمنطقة على أن تلك الهجرات كانت متقطعة وفي فترات مختلفة وتعددت ظروف هجرتها بين الدوافع الاقتصادية (الكلأ، المعيشة...إلخ) والدوافع السياسية (بحثا عن الأمن والاستقرار) باعتبار أن معظم القبائل التي اعتنقت الإسلام بشكل

---

1 Trimingham.j.s :Ahistory of Islam in west afrira.opcit.p.14.

[2]اليونيسكو : تاريخ افريقيا العام، مجلد 4، مرجع سابق ، ص294.

[3]أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الاسلامي، ج6، مرجع سابق ، ص 294.

[4]أحمد شكري: الإسلام والمجتمع السوداني في امبراطورية مالي، مرجع سابق ، ص60.

مبكر هي القبائل البدوية ومن أبرزها القبائل العربية التي وصلت إلى مصر مع بداية ظهور الفتوحات الإسلامية ثم اتجهت نحو منطقة بلاد المغرب إلى غاية المحيط الأطلسي وتواصل بعضها الدخول في وسط القارة على غرار قبائل جذام الذين نزلوا في مملكة كانم.[1]

ومن أبرز التأثيرات لهجرات القبائل العربية يتجسد في هجرة القبائل الهلالية وأحلافها، منذ القرن 5 هـ /11م والتي كان لها فضل كبير في نشر الدين الإسلامي واللغة و العربية وبالتالي ازدياد الرقعة الجغرافية والبشرية للدولة الإسلامية،[2] كما أن بعض القبائل المحلية بعد اعتناقها للدين الإسلامي سعت من خلال هجراتها الداخلية الى المشاركة في نشر الإسلام والممالك الإسلامية مثل قبائل التبو (التيدا) التي كان لها دورا كبير في تأسيس مملكة كانم ولم تقتصر تلك الهجرات القبلية على القبائل العربية فقط، بل امتدت إلى هجرات القبائل البربرية ووصلت حتى مناطق شرق إفريقيا واستقرت هنالك كما كان لهجرات قبائل الفولاني خلال ق8هـ /14م إلى كانو في عهد السلطان مُحَمَّد رمفا 1463م 1499م في نفر كبير يضم عدد من العلماء والدعاة الذين ساعدوا بشكل كبير في ترسيخ الدين الإسلامي، وذلك بحكم معرفتهم للسان المحلي والعادات والتقاليد التي سهلت من مهامهم.[3]

وعليه نصل إلى أن الهجرات القبلية بمختلف أنواعها وألوانها داخل افريقيا كان لها دورا في تطوير الذهنيات وتغيير سلوكيات المجتمع وظهور عادات وتقاليد جديدة ذات صبغة إسلامية.

4) العلاقات التجارية: إن العلاقات التجارية بين العرب والبربر و الأفارقة هي علاقات ضاربة في القدم قبل ظهور الإسلام لكنها تطورت وازدهرت بدخول الإسلام و أصبحت في نشاط منظم ومتزايدة بين هاته الأطراف التي اتخذت مسالك وطرق تجارية معروفة[4]استطاعوا من خلالها أن يربطوا بين شرق القارة وغربها وجنوبها ووسطها لتكون بذلك منطقة السودان الأوسط همزة وصل بينهم ومن بين أبرز الطرق التجارية نجد الطريق الممتد من القاهرة إلى دارفور أو طريق طرابلس نحو جبل نفوسة ثم

[1] القلقشندي: صبح الأعشى، ج8، مرجع سابق،ص116.

[2] حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في افريقيا، مرجع سابق، ص60.

[3] أحمد مُحَمَّد كاني: الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، 1487،ص 33.

[4] ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص99.

إلى كوار و بلاد كانم أو الطريق من وداي ثم أوجلة و الكفرة مما جعل السودان الأوسط يتأثر بمختلف التيارات الفكرية و المعاملات التجارية.[1]

على أن تلك الطرق بدأ الناس يستقرون بحوافها ليشكلوا فيها بعض المدن التجارية مثل كانو و كاتسينا ليفد إليها التجار العرب المسلمون محملين بمختلف السلع والبضائع حيث كانت تطول مدة إقامتهم مما جعلهم يمارسون شعائرهم الدينية الإسلامية بكل حرية على غرار الطهارة والوضوء وما يتبعها من فرائض كالصلاة أو الصوم والمعاملات التجارية كالصدق والوفاء بالعهود والعقود الأمر الذي جعل السكان الأفارقة المحليون يتأثرون بهم بل وحتى تقليدهم مما يدل على مقدار الثقة والحب الذي كانوا يلاقونه هنالك،[2] وبحكم مهنة التجارة التي يتطلب السفر من مكان لآخر فرضت على التجار أن تكون ثقافتهم الدينية محدودة لعدم تفرغهم للتفقه الديني ومن ثم تنوير المجتمعات الإفريقية الحديثة العهد بالإسلام مما جعل بعض التجار يلجئون إلى مصاحبة الفقهاء والعلماء في رحلاتهم التجارية وتزويدهم بالأموال لنشر الدعوة الاسلامية مما جعل البعض منهم يستقرون ويندمجون في المجتمعات الإفريقية [3]ومع بداية القرن العاشر والحادي عشر ميلادي ازدادت العلاقات التجارية وتطورت المعاملات فكثر نفوذ التجارة وتوطدت علاقاتهم مع الطبقة الحاكمة مما جعل بعضها تتسارع طواعية للدخول إلى الإسلام والدفاع عنه.

وتعتبر القبائل البربرية أولى الشعوب احتكاكا ونشرا للإسلام بين السودانيين نظرا لحاجتهم الملحة للبضائع التجارية السودانية وحاجة الأفارقة للسلع القادمة من الشمال مما خلق تجارة متواصلة (كالملح الذهب ، الجلود....الخ) فيما بينهم [4] على أن التجار العرب كانوا سباقون لذلك قبل الاسلام عن طريق البحر الأحمر حيث كانت تجارة العاج والعبيد من بين الأولويات لدى المصريين حيث وصلوا في معاملاتهم التجارية إلى كانوا بلاد الهوسا ساعين في ذلك لنشر الإسلام .

[1] أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ج6، المرجع السابق، ص104.

[2] عطية مخزوم: دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء،مرجع سابق، ص104.

[3] أرلوند توماس: الدعوة إلى الإسلام، المرجع السابق، ص376.

[4] زبادية عبد القادر: الحضارة العربية والتأثير الأوروبي ، مرجع سابق، ص17.

وبالتالي فقد كان للتجارة والتجار دورا كبيرا في انتشار الإسلام وتوسيع رقعته ببلاد السودان كما تأثرت الشعوب الإفريقية بهذا الدين الجديد الذي ارتاحت له أنفسهم وضمائرهم وأخرجتهم من غفلتهم الوثنية[1] وظهرت العديد من المدن الإسلامية على غرار مدينة جني التي أصبحت قبلة إسلامية في السودان خاصة بعد إسلام ملكهم الذي دعى إلى نشر الإسلام[2].

وعليه فإن التجار المسلمون العرب لم يقتصر دورهم حول التجارة فحسب بعد تعداه إلى نشر رسالة التوحيد ثم الاستقرار في هاته المناطق الإفريقية وأحيانا كانت تتم المصاهرة معهم حيث قال الحسين الوزان: "إن ملك تنبكتو قد زوج ابنتيه إلى تاجران من أغنياء العرب[3] دلالة على التعايش تحت راية الإسلام.

5) دور الدعاة والعلماء: بعد دخول الإسلام إلى منطقة بلاد المغرب واستقراره بين مختلف القبائل مشكلا بذلك حواضر إسلامية لا تزال شامخة وشاهدة عليهم إلى يومنا هذا، مما جعلهم يتبنون مشروع مواصلة نشر الدعوة الإسلامية فانطلقت طلائع من المعلمين والدعاة من مختلف مناطق إفريقيا حيث تحملوا المسؤولية والمشقة في سبيل إعلاء كلمة الحق، على أن بعض الدعاة من جمع بين التجارة والدعوة من خلال مساهمتهم الفعالة في بناء المساجد والمدارس القرآنية ودفع المستحقات التعليمية لفائدة طلبة العلم وبعض الدعاة تفرغوا بشكل كلي للدعوة قصد دخول أكبر عدد من الناس الى الإسلام[4].

وكان انطلاق الدعاة في مشروعهم بشكل مبكر، فحيثما حلوا أو ارتحلوا إلا وبدئوا في الدعوة نحو الإسلام وشرح مبادئه وتعاليمه ليقبل الناس فرادى وجماعات وتمثل دورهم الأساسي في تعليم وتلقين الدين الصحيح مما جعلهم يلقون احتراما وتقديرا من طرف السكان المحليين بفضل معاملتهم الحسنة لهم وهو ما وصفه المؤرخ توماس أرنولد قائلا عن الدعاة المسلمين:" ان المعلمون الدينيون كانوا يحظون بتقدير كبير حتى أن بعض القبائل الإفريقية كانت تضم في كل قرية دار لاستقبالهم ويعاملون بأعظم

[1] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا المغرب ،المصدر السابق، ص36.

[2] السعدي:تاريخ السودان، المصدر السابق، ص21.

[3] الحسن الوزان : وصف إفريقيا،المصدر السابق، ص37.

[4] عطية محروم: دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء، مرجع سابق، ص 106.

مظاهر الاحترام والتقدير"[1] وهذا اعتراف كبير على مدى المعاملة الخاصة التي حظي بها الدعاة المسلمين في كل زمان ومكان.

وبفضل الدعاة كانت بداية انتشار الإسلام في السودان الأوسط بشكل واسع خاصة الدعاة الإباضين حيث لم تقتصر رحلاتهم على الجانب التجاري فحسب، حيث يذكر ذلك الشماخي عند حديثه عن أحد علماء الإباضية ممثل شخصيته العالم ميمون بن مُحَّد أبو عمر الذي جاء إليه وفد من قبائل التكرور وكانوا في رحلة تجارية بحلقاته العلمية وأعجبوا بأسلوبه وطريقة شرحه فقدموا له هدية تقدر بأربعمائة دينار فأبى أن يقبلها زهدا وتواضع منه وهو ما زادهم تعلقا به.

كما كان للقاضي علي بن يخلف النفوسي أحد أبرز علماء جبل نفوسه دورا كبيرا في استمالة ملك غانا إلى الإسلام بعد دعوته إلى الدخول إلى الإسلام في وقت كانت فيه المملكة تشهد القحط والجفاف حيث طلب الملك من الشيخ علي بن يخلف أن يدعوا له حتى تمطر فكان له ذلك مما جعل الملك وحاشيته وأهل بلدته يعتنقون الإسلام كدين سماوي بدل معتقداتهم الدينية.[2]

ومن الشواهد على دور الدعاة وإسهاماتهم في نشر الإسلام تلك الرسالة التي أصدرها ملك كانم الماي أو مي عبد الجليل (1086م/1097م) حيث قام بتوجيهها إلى أبنائه وخلفائه و ذكر في ثناياها أن كانم برنو دخلها الإسلام على يد الداعية الفقيه المالكي "مُحَّد بن ماني" وكان هذا الداعية قد عاصر خمس مايات من مايات كانم برنو وكان يستشار في كل صغيرة وكبيرة في فهم شؤون الدين والدنيا[3] .

ويعتبر نشاط الدعاة المحليين أكثر تأثيرا وفاعلية في مجال الدعوة خاصة الدعاة الذين تلقوا تعليمهم الديني في المناطق العربية الإسلامية وتشبعوا بمختلف العلوم الدينية والدينية كما كانت رحلاتهم مختلفة شرقا وغربا قصد التطلع على أحوال الأمة الإسلامية وبالتالي تأثروا بهم وسعوا نحو تجسيد مشروع نشر الإسلام والقضاء على البدع والخرافات التي كانت متفشية في مجتمعاتهم الإفريقية.

---

[1] توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، مرجع سابق، ص392.

[2] مقاديم عبد الحميد: المدارس العلمية ودورها السياسي والثقافي في السودان الغربي (مالي سنغاي) ق 10/7هـ – 13م/16م أطروحة دكتوراه، جامعة وهران (1) إشراف بن نعيمة عبد المجيد، 2017-2018، ص 33-34.

[3] مسعود خالدي: وسائل انتشار الإسلام في السودان الأوسط من ق1هـ إلى ق 5 هـ و7م -11م ، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف يوسف مزهودي، جامعة الأمير عبد القادر، 2000، ص142.

الفصل الثالث: نتائج انتشار الاسلام السودان الأوسط .

1) نتائج انتشار الإسلام في السودان الأوسط:

إن الحقيقة التي لا يمكن إنكارها هي أن إستوطنت منطقة السودان الأوسط كانت لديها القابلية الفطرية لإحتضان الدعوة الإسلامية، نظرا لخلوها من طابع التعصب والقوة وهذا ما يظهر جليا من خلال الاستقبال الحسن لسلاطين هاته المنطقة للتجار المسلمين، ثم أقبال السلاطين أنفسهم بعد ذلك إلى اعتناق الديانة الإسلامية وهو ما جعل سلوكيات أفراد تلك المجتمعات تتغير، مثلما حدث مثلا عند اعتناق السلطان جيمي للإسلام فتحولت أنماط الفكر والسياسة والقوانين إلى معاملات ذات صبغة إسلامية، تستمد مقوماتها من القرآن والسنة، بالرغم من كون هؤلاء السلاطين الأفارقة كانت اهتماماتهم قبل الإسلام تدعو إلى تشجيع العلم والعلماء ونشر الدعوة الإسلامية وتبعا لذلك فقد تطورت المهارات هي الأخرى بتقدم العلوم وتفنن الناس في كل مجالات الحضارة المعمارية والتجارية والزراعية[1] .

أما من الناحية الاجتماعية والثقافية فقد كان المجتمع السوداني يعيش في ويلات الجاهلية من خلال تعدد الأزواج دون مراعات للروابط الأسرية، ولكن بوصول الإسلام تم ربط العلاقات الزوجية بواسطة الزواج الشرعي على أساس الإسلام وعدم ربط الزوج بأكثر من أربعة نسوة مع تحريم كل العلاقات التي تكون خارج الرابطة الزوجية، وحتى من الناحية الثقافية فقد تلاشت مواطن الرقص المختلط وانصب اهتمامات الشعراء حول مدح النبي (ص) والتغني بخصاله الحميدة[2].

ولم يتوقف دور السلاطين وحده في نشر الإسلام بل ترسخ من خلال المؤسسات التعليمية التي لعبت دورا بارزا في بناء صرح الحضارة الإسلامية بالمنطقة، فسعى العلماء بكل ما أتيح لهم من وسائل وإمكانيات لنشر العلوم والمعارف المختلفة وترجمة الكتب ونسخها والإكثار من حلقات العلوم الدينية وتحفيظ القرآن والذكر والتوجيه الديني لمختلف شرائح المجتمع، وبالتالي فقد تنوعت المؤسسات التعليمية، فمنها ما تم تخصيصه لعلوم القرآن والحديث وأخرى للعلوم الفقهية وأخرى للقضاء بالإضافة الى مراكز لتحفيظ القرآن الكريم للصغار (الكتاتيب)، وتجلى ذلك في المساجد والجوامع التي كانت

---

[1] فضل كلود: الثقافة الإسلامية في التشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم، ط1، منشور كلية الدعوة، القاهرة، 1998، ص125.

[2] خالدي مسعود :الجاليات العربية والبربرية في إفريقيا جنوب الصحراء بين القرنين05و10هـ/11و16م ،أطروحة دكتوراه ،إشراف مسعود مزهودي ،جامعة الأمير عبدالقادر،سنة 2009/2008 ،ص 73.

بمثابة إشعاع علمي ديني ثقافي اجتماعي، بدليل انتشارها في مختلف المناطق بالسودان الأوسط، وكان يؤمه الكبار والصغار إذ أن المساجد كان لها عدة أدوار أساسية إلى جانب أداء العبادات وكانت بمثابة مدرسة للفقه ومحكمة لإقامة حدود الله وساحة لتنظيم العساكر والجيوش ومحلا لاستقبال الرسل والوفود، ومأوى للفقراء والمحتاجين ودار إقامة لطلاب العلم وعابري السبيل ومكان للتربية الروحية من خلال قراءة القرآن والتدبر في معانيه.[1]

وقد تأثر المسجد في منطقة السودان الأوسط بطابع المساجد الإسلامية الكبرى في بنائه وتنظيماته وتخصصاته، فمثلا المساجد التي كانت متواجدة في كانم كانت تعنى بدراسة القرآن الكريم وتحفيظه وفرائض الصلاة والطهارة والتوحيد وبعض المدائح الدينية واستطاع على مر العصور ان يقوم بتخريج العديد من العلماء والفقهاء[2].

02) ابرز الممالك الإسلامية في السودان الأوسط

بتوطن الإسلام في منطقة السودان الأوسط وانتشاره بين أقوامها ظهرت العديد من الممالك الإسلامية التي كان لها تأثيرا كبيرا على مختلف الجوانب الحضارية بالمنطقة، على أننا سوف نحاول هنا الحديث على أشهرها وأكثرها تأثيرا وتفاعلا داخل المجتمعات ومن أبرزها نجد ما يلي:

أ) مملكة كانم برنو:

ظهر مصطلح كانم عند العديد من المؤرخين العرب المتقدمون حيث كان يطلق تارة على الأرض وأحيانا على الشعب أو كلامها معا حيث أورد ذلك **ابن خلكان** في قوله أن كلمة كانم بكسر النون على أنهم جنس من السودان و كانم اسم بلدة فسمى هذا الجنس باسم هذه البلاد وجنسهم سمى بأرضها[3] وقد أطلقت كلمة كانم أحيانا للدلالة على الجنس، مثلما قال المسعودي: (ولما تفرق ولد نوح في الأرض سار ولد كوش بن كنعان إلى المغرب حتى قطعوا نيل مصر، ثم تفرقوا فسار منهم

[1] عبد الرحمان عمر الماحي: الدعوة الإسلامية في إفريقيا الواقع والمستقبل، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، القاهرة، 1999، ص22.

[2] خالدي مسعود :الجاليات العربية والبربرية في إفريقيا جنوب الصحراء بين القرنين05و10هـ/11و16م ،مرجع سابق ص 74

[3] ابن خلكان : وفياة الأعيان وانباء الزمان ، بيروت ،ج،7،1977، ص153

طائفة ميمنة بين المشرق والمغرب وهم النوبة والبجة والزنج ، وسار فريق منهم نحو المغرب وهم أنواع كثيرة نحو الزغاوة و الكانم...).[1]

بينما مصطلح برنو كثيرا ما كان يقترن ذكره مع كانم نظرا لارتباطهما الوثيق وهي كلمة كانت تطلق في البداية على مجموعة من قبائل الكانوري، ثم أطلق على المملكة التي قاموا بتأسيسها غرب بحيرة تشاد ويقال أنها مشتقة من كلمة (بورنوة) أي أرض نوح حسب بعض الأساطير القديمة التي تنسب أرض برنو كانت من بين المناطق التي عاش فيها سيدنا نوح[2] لكن تاريخيا يبدوا أن مملكة كانم برنو كانت في بداية نشأتها (العصر الكانيمو) خلال ق9م إلى 14م و3هـ-8هـ يطلق عليها مملكة كانم قبل أن تسيطر عليها برنو خلال (ق8هـ/14م-13هـ-19م) وهو العهد البرنوي[3] لذلك ترادف المصطلحات معا تحت مسمى كانم برنو.

أما من الناحية الجغرافية فإن مملكة كانم برنو لم تكن لها حدود إقليمية ثابتة حيث شهدت تغيرات مستمرة حسب استقرار الأوضاع السياسية، فامتدت أحيانا من فزان شمالا وبئر نهر النيل الى غابة نهر النيجر غربا وأحيانا أخرى كانت تقتصر على ضواحي بحيرة تشاد.[4]

إن إنتشار الإسلام في البداية كان في منطقة كانم ثم وصل إلى برنو، لتتحول إلى مملكة إسلامية قوية في أواخر القرن5هـ/11م بعد ما أعلن " دونمة بن أوم" أو "هومية جيلمة" في بعض المصادر دخوله إلى الإسلام مع حاشيته، و حث شعبه على اعتناق الدين الإسلامي واعتباره الدين الرسمي للملكة واستمرت فترة479هـ-491هـ/1085م-1097م . وكان عادة أهالي المملكة أنهم

[1] المسعودي أبي الحسن علي ابن الحسن :مروج الذهب ومعادن الجوهر، المصدر السابق،ص422.

[2] جوزيف جوان:الإسلام في ممالك و إمبراطوريات إفريقيا السوداء، المرجع السابق ص89

[3] دريك لانغ: شعوب منطقة تشاد ولغاتها، موسوعة تاريخ إفريقيا العام،ط2 اليونسكو،1999،ج3،ص495.

[4] شوكت عارف الاتروشي: دولة كانم الإسلامية دراسة في الجوانب السياسة والاقتصادية ،المملكة الأردنية، دار دجلة،سنة 2007 ،ص24.

يطلقون على الملك لقب "الماي" او "ماو" حيث كان لدخول سكان المملكة إلى الإسلام تأثيرا كبيرا على موازين القوى السياسة في المنطقة.[1]

ودام حكم الملك (دونمة بن أوم) قرابة 12سنة ليقوم بخلافته في الحكم ابنه الماي (دونمة بن هيوم) الذي دامت فترة حكمه قرابة 53سنة، استطاع خلالها أن يكرس لقيام مملكة قوية بفضل قوة جيشها، ومتخذة الإسلام دينا لها،مما جعله يسعى جاهدا لنشر الديانة الإسلامية الصحيحة ومحاربة الشرك والوثنية المنتشرة بين القبائل، وبلغت مملكة كانم برنو عصرها الذهبي في عهد الملك ماي دونما بن سلما (618هـ-656هـ/1221م-1259م) حيث استطاع أن يقوم بتوسيع الحدود الجغرافية للمملكة، و يسيطر على الطرق التجارية بالمنطقة، [2] لتتحول العاصمة أنجيمي إلى مركز إسلامي كبير لها صدى حضاري واسع في منطقة السودان الأوسط يقصدها الناس من مختلف المناطق.

وخلال القرن8هـ/14م دب على المملكة الضعف والهوان بسب الصراعات الداخلية بين أبناء الأسرة الحاكمة حول الحكم، ومن جهة أخرى تواصل حملات الهجمات الخارجية التي كانت تتعرض لها المملكة خاصة من طرف قبائل البولالا عن جهة الشرق وقبائل الصو غربا مما جعل المملكة تفقد العديد من أقاليمها،[3] وقد تمكنت قبائل البولالا أن تلحق هزائم متكررة على كانم ليستولوا على العاصمة أنجيمي سنة 1387م ويؤسسوا كيان سياسي جديد قائم على أنقاض كانم حيث فرت الأسرة الحاكمة اتجاه اقليم برنو لتبدأ مرحلة جديدة من حكم السيفيين الذين قاموا بالتصدي لهجمات قبائل البولالا ، ونظموا جيش قوي في عهد الماي إدريس بن عائشة 1502م[4] وتمكن بعده الملك ادريس ألوما أن يسترجع عهد المملكة الضائع ويقوم بتنظيم السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية لتعرف المملكة قفزة حضارية كبيرة في مختلف المجالات، بفضل علم حكامها وقوة

[1] أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي،ج6،مرجع سابق ص290.

[2] شوكت عارف الأتروشي: دولة كانم الإسلامية الجوانب السياسة والاقتصادية ،المرجع السابق ، ص87.

[3] ظاهر عاصم مُحَمَّد : إفريقيا ما وراء الصحراء ،المرجع السابق، ص54.

[4] احمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي ، مرجع سابق ، ص291.

شخصيتهم وتأثرهم بالمناطق الإسلامية المتحضرة المنتشرة في مختلف مناطق العالم،[1] لتواصل المملكة في التدهور والانحطاط بعد حكم إدريس ألوما، إلى غاية تجدد الخلافة الإسلامية بالمنطقة على يد الشيخ عثمان بن فودي .

ب) ممالك الهوسا الإسلامية:

إن مصطلح هوسا مثلما أشرنا له سابقا يستعمل لدلالة على الأرض والشعب معا وله مشتقات ومعاني مختلفة لدى العرب، وقد تضاربت الآراء حول أصل سكان قبائل الهوسا، فمنهم من يرجعهم إلى أصول عربية وصلوا إلى مناطق بلاد الهوسا في هجرات مختلفة ثم امتزجوا مع البربر القادمون من الشمال، على أن منافذهم الأصلية تبقى مجهولة ومتضاربة نسبيا إلا أنهم اتحدوا في جماعات وشكلوا كيان سياسي أطلق عليه إمارات الهوس السبعة[2] الأصلية التي تنطق باللسان الهوساوي ثم تفرعت عنها ممالك ثانوية[3] أي بندا بكوي[4] وتتجلى الملامح الفيزيولوجية لقبائل الهوسا ببنية جسدية قوية وقامة متوسطة وسود البشرة، مارسوا الزراعة والتجارة والرعي واستقروا في مناطق مختلفة ببلاد السودان،[5] بحكم علاقاتهم الاقتصادية مع مختلف الشعوب.

كان دخول الإسلام إلى الممالك الهوساوية بشكل تدريجي منذ بداية نشأتها، لكنه شهد انتشارا واسعا في ق7 هـ- 13م وأصبح نظام الحكم مستمد من الشريعة الإسلامية، على أن انتشاره اختلف من إمارة إلى أخرى، فبعد وصول الإسلام إلى إمارة غوبر عن طريق شمال مملكة زاريا وصولا إلى كاتسنا في ق 8هـ يضاف لها مملكة كانو التي دخلها الإسلام بفضل علماء مالي وتحول سكانها عن الوثنية وممارسة طقوسها البدائية إلى ممارسة الشعائر الإسلامية،[6] وأكدت بعض الأبحاث التاريخية المتأخرة، أن انتشار الإسلام في هاته الممالك في البداية كان بسيطا معتمدا في انتشاره على أسلوب

[1] عبد القادر زبادية: الحضارة العربية والتأثر الأوروبي ،المرجع السابق ، ص25.

[2] ممالك الهوسا الأصلية (بيرم، دورا، جوبر، زاريا، رانو، كانو، كاتسينا).

[3] أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الاسلامي، مرجع سابق،ص129.

[4] الممالك السبعة الثانوية هي (كبي، زنفرا، نوبي، غواي، يربا، كررفا، ياوري.

[5] فيصل مُحَمَّد موسى: موجز تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، مرجع سابق، ص58.

[6] محمود شاكر: التاريخ الاسلامي المعاصر، غربي افريقية، المكتب الاسلامي بيروت، ج15، 1997،ص275.

الإقناع الفردي وبوصول الملك عمر سنة 1431م الذي قام بتكسر كل التماثيل والمعالم التي تدعوا إلى الوثنية، وبالتالي فقد ازداد الإسلام انتشارا في عهد خليفته يعقوب 1463 م الذي قام ببناء المساجد في مختلف القرى وإرسال الفقهاء وتشييد المدرس لتعليم الناس الأسس الصحيحة للدين الإسلامي[1]

[1] عطية مخزوم الفيتوري: دراسات في تاريخ شرق افريقيا وجنوب الصحراء، مرحلة انتشار الاسلام، المرجع السابق، ص216.

خلاصة المدخل

مما سبق ذكره نستنتج أن مصطلح السودان هي كلمة قديمة تطلق أحيانا على سواد بشرة السكان الأفارقة وأحيانا على الحيز الجغرافي الذي استوطنت فيه تلك الشعوب والقبائل المختلفة أو تطلق على كليهما معا للدلالة على الأرض والسكان معا، وهو بذلك ينقسم إلى السودان الشرقي والغربي والأوسط هذا الأخير الذي يتميز بموقع استراتيجي وسط وخصائص جغرافية بيئية متميزة مع وفرة المياه العذبة، خاصة قرب بحيرة تشاد، الأمر الذي جعل منه محطة وفود واستقرار لمختلف القبائل، بعد كان منطقة عبور لمختلف المناطق الإفريقية شرقا وغربا، مما جعل هذه المنطقة تصبح منطقة خصبة وبيئة ملائمة لاستقرار الإنسان الإفريقي السوداني بها عبر مختلف العصور، مشكلا بذلك حضارة راقية لا تزال آثارها إلى يومنا هذا، كما أنها ازدهرت وتطورت في ظل وصول آلإسلام إلى المنطقة نتيجة لعدة عوامل أبرزها التواصل مع الحضارة الإسلامية المشرقية، مشكلة حلة إسلامية إفريقية ذات أبعاد وهوية إسلامية، ضاربة بذلك المعتقدات الوثنية الإفريقية التي كانت متفشية بين الشعوب، وهو ما مهد للظهور الحركات الإصلاحية الاسلامية الحديثة، على يد مجموعة من المصلحين الأفارقة أمثال الشيخ عثمان بن فودي الفولاني وخلفائه الذين جاؤا بعده.

البـــاب الأول

الباب الاول: العائلة الفودية النشأة والأثر

- الفصل الاول:عثمان بن فودي
- الفصل الثاني:عبد الله بن فودي
- الفصل الثالث: مُحَمَّد بيلو

الباب الأول: العائلة الفودية النشأة والأثر

الفصل الأول: عثمان بن فودي النشأة والشخصية

كان لانتشار الدين الإسلامي بإفريقيا بصفة عامة والصحراء الإفريقية الكبرى بصفة خاصة، دورا كبيرا في تلك المناطق وسكانها خاصة بعد ما تغلغل في نفوسهم واستقر مما أدى إلى ظهور ممالك إسلامية قوية على أنقاض الإمارات الوثنية، التي كانت تسيطر على المجتمعات، مما جعلها تعرف ازدهارا وانتعاشا حضاريا كبيرا لم تشهده من قبل[1] وذاع صيتها في المشرق الإسلامي على غرار مملكتي غانة و مالي.

لكن تلك الممالك لم تعمر طويلا تحت راية الإسلام، إذا بدأت الحروب والصراعات التقليدية تسعى لتحقيق مآرب دنيوية، في ظل انتشار الخرافات والبدع والعادات الوثنية القديمة لتختلط بتعاليم الدين الإسلامي، حتى أصبح الحكام المتأخرين من هاته الممالك لا يفقهون كثيرا عن الإسلام، بل وأحيانا كان يتولى أمور المسلمين حكام وثنيون، فانتشرت الفواحش وتعمقت الرذيلة وكثرة أعمال السلب والنهب والصراعات القبلية،[2] في مقابل ذلك بقيت بعض القبائل متمسكة بالتعاليم الصحيحة للدين الإسلامي، على غرار القبائل الفلانية التي ينتسب إليها الشيخ عثمان بن فودي، حيث تعددت الآراء واختلفت حول أصول هاته القبيلة، التي ينحدر منها هذا العالم الذي سبق زمانه.

1 أصول القبائل الفولانية:

تعددت آراء المؤرخون والباحثون واختلفت حول أصول القبائل الفولانية أوالفلاته،[3]وظهرت أكثر من خمسة عشر رواية متباينة فيما بعضها حول أصولهم وسوف نختصر الحديث هنا على أشهرها وأقربها منطقيا حول دقة ونسبة الحقيقة التاريخية، فقد أورد المؤرخ مُحَمَّد سمبو الكلوى في كتابه "كنز الأولاد في تاريخ الذراري والأجداد" أن قبيلتي جهينة وتميم هاجرتا من الجزيرة العربية، مابين (2000-750 ق.م) ووصلتا إلى منطقة ليبيا

[1] نعيم قداح: حضارة الاسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية، ط2، (ش.و.ن.ت) الجزائر، 1975، ص86.

[2] عبد القادر زبادية: مملكة صنغاي في عهد الأسقيين (1493-1591) (ش.ت.و.ن.ت) الجزائر، 1971، ص52.

[3]الفلاته تكتب أحيانا الفولاني، الفولا، فيلا، فلا ليت، فلاني، فولا، فولو، ينظر علي أيوب ناجي :لمحات عن الاسلام في نيجيريا بين الأمس واليوم، مرجع سابق،ص 9.

الحالية بينما واصلت قبيلة تميم هجرتها إلى منطقة غرب إفريقيا[1] أي أن التور[2] وهم أخوالهم، بإعتبار أن أم الفلانيون هي بنت ملك التور الذين تعود أصولهم إلى السلالة السامية البيضاء[3].

وهناك رواية أخرى تدعوا إلى أن أصول الفلاته يرجع إلى نصارى الروم، التي اتصلت بجيوش الاسلام حيث نتج عن ذلك مصاهرات سياسية من خلال زواج ابنة الملك الروماني الذي أعلن إسلامه من طرف عقبة بن نافع، وتولى فتح إمارة بلاد المغرب وعليه فإن أجداد الفلاتة هم مزيج بين الروم والعرب[4] ولعل هاته الرواية هي الأقرب نحو الأصل، حيث أكدت بعض الدراسات حول تاريخ الفتوحات الإسلامية بإفريقيا ان عقبة بن نافع ومن معه من المجاهدين استطاعوا ان يهزموا ملك الروم الذي كان يحكم غانا ويدعى برمندانا حيث أسلم هو وقبيلته وأكرم عقبة بن نافع بأن زوجه بابنته التي تدعى بج منقو[5] وأنجبت له خمسة ذكور وأنثى وهم عثمان، تورو، مُحَّد فلان، أبوبكر فلات، عمر دردو، على غردو ثم الفتاة التي تسمى فاطمة شلفو، ولكل واحد من هؤلاء الأبناء أحفاد ينتشرون في مختلف مناطق إفريقيا، فنجد أحفاد مُحَّد فلاتي بأقدس وتاوا والسودان الشرقي أما أحفاد أبوبكر فلات فسكنوا بلاد برنو وحوض تشاد أما أحفاد عثمان توردو فتوجهوا إلى السودان الغربي، حيث نجد من أحفادهم الشيخ عثمان بن فودي بينما أحفاد عمر دردو فتوجهوا غرب ضفاف نهر السنغال والسودان الوسط وهي تقريبا نفس المناطق التي لجأ إليها أحفاد فاطمة شلفو التي كان زوجها رومي[6].

---

[1]– زاهر رياض: الممالك الاسلامية لغرب إفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء، ب.ط، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1968،ص249.

[2]– التور نسبة إلى تلك القبائل التي هاجرت من سوريا عبر سيناء جبل الطورو فأخذوا اسم تورنو نسبة له .

[3] ابراهيم عبد الله الماجد: الغرابة الجماعات التي هاجرت من غرب إفريقيا واستوطنت السودان وادي النيل ودورهم في تكوين الهوية السودانية، دار الحاوي،ط1، 1998.

[4]الهادي مبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصاد في افريقيا فيما وراء الصحراء، الدار المصرية، اللبنانية، القاهرة، ط1، 1999، ص241.

[5] بج منقو تعني بالفلانية البنت الوحيدة عند والديها.

[6] الطيب عبد الرحيم مُحَّد الفلاني: الفلاته في إفريقيا ومساهمتهم الإسلامية والتنموية في السودان، دار الكتاب الحديث، الكويت، ط1، 1994، ص ص18-19.

وقد بقي عقبة ابن نافع مع أصحابه في غرب وشمال إفريقيا قرابة 41 سنة (22-63هـ) وبعد استشهاده ترك بعده أحفاده الذين كانوا يحاولون نشر الديانة الإسلامية الصحيحة، لينقسم بذلك الفلانيون إلى أقسام وهم:الفلانيون الأصليون وهم من صلب عقبة ابن نافع وأمهم رومية.

الفلانيون الذين كانوا أحفاد عقبة ابن نافع من ابنته فاطمة شلفو وزوجها الرومي لذلك أطلق عليهم الشلفيون أو بنو الروم.

الفلاته بنو العرب: وهم أبناء المجاهدين الفاتحين الذين تصاهروا مع أحفاد عقبة بن نافع.

الفلاته الجعفريون: وهم من أبناء عقبة لزوجته صفية بنت جعفر بن أبي طالب الذين قدموا إلى منطقة السودان وتصاهروا واختلطوا بهم[1].

أما عن أوصاف قبائل الفلاته وسماتهم الوجدانية والفيزيولوجية فقد تقاربت لدى العديد من الرحالة والمؤرخون الذين زاروا المنطقة واحتكوا بشعوبها أمثال ابن بطوطة والرحالة بارث وحسن ابراهيم حسن...الخ، بأنهم قوم شبه بيض ملامحهم عربية ويعتمدون على أنفسهم في ممارسة رعي الأبقار، وهم كثيرو الميل لبعضهم يسعون للاستقرار في الأراضي الإسلامية بحكم حرفتهم الرعوية التي تتطلب الحل والترحال، وهم سريعوا الانصهار في المجتمعات التي يعيشون فيها مما جعلهم أحيانا ينسون لغتهم الأصلية[2].

ونظرا لارتباط الفولانيون الوثيق بجدهم عقبة ابن نافع وتمسكهم بنصائحه التي تدعوا إلى التمسك بالرسالة الإسلامية والالتزام بتعاليمها والجهاد والهجرة من اجل نشرها، مما جعلهم يهاجرون من منطقة إلى أخرى بإفريقيا فرادى وجماعات على سبيل هجرة الشيخ موسى جوكلو- الجد العاشر لعثمان بن فودي - الذي استقر خلال القرن الثاني عشر ميلادي بين قبائل الهوسا، بمنطقة تدعى " كن " فرارا بدينه نتيجة للأوضاع السياسية التي كانت تشهدها منطقة " فوتاتورو" أجبرت المسلمين الفلانيين على الهجرة بحثا عن الأمن والاستقرار، كما تجمعهم علاقة قرابة مع الفلانيين التورد الذين كانوا يستقرون هنالك وبقي يسعى لنشر الإسلام وتنوير السكان بتعاليم الإسلام الصحيحة ونبذ المعتقدات الدينية

[1] عبد الجليل الشاطر البصيلي: تاريخ وحضارة السودان الشرقي والأوسط، مرجع سابق،ص 59.

[2] الطيب عبد الرحيم مُحَمَّد الفلاني: الفلاته في إفريقيا، المرجع السابق، ص 24.

البدائية كما كان لهم دورا فعالا في الحياة السياسية من خلال مشاركتهم في دعم وإنشاء ممالك إسلامية مختلفة[1].

ان استقرار موسى جوكلو ومن معه بمنطقة "كن "لم تعم بالاستقرار طويلا حيث بدأ يتعرض لمضايقات من طرف حاكم المدينة، الذي يدعى "مُحَمَّد دمك" ظنا منه أنه يسعى لإقامة كيان سياسي وهو ما يهدد وجوده بالمنطقة، فهجم عليهم في حين غفلة من أمرهم ونكل بهم من خلال ذبحه أربعين فردا من العلماء والقراء وهم في المساجد، بالإضافة الى نهب أموالهم وأسر أبنائهم،[2]مما جعل البقية تنسحب من المنطقة وأستقر أبناء جكل في مناطق مختلفة على غرار مُحَمَّد بن سعد الذي ينتسب إليه عثمان بن فودي عن طريق جدته لأمه، و بنو عال هم أكبر بنو موسى الذين استقروا بمنطقة "قلب"[3].

2 مولد ونشأة عثمان بن فودي:

هو عثمان بن مُحَمَّد بن صالح بن هارون بن مُحَمَّد (الملقب غورط) بن جب بن مُحَمَّد بن ثنب بن أيوب بن ماسران بن أيوب باب بن موسى جكل، الملقب بابن فودي[4]وهو من أبناء إمام دمب وكنيته أبو مُحَمَّد ولقبه هو " الشيخ" وأمه هي حواء بنت مُحَمَّد بن عثمان بن حم بن عال بن جب ابن مُحَمَّد، وهو بذلك ينتسب إلى القبائل الفلاتية التي هاجرت من شمال إفريقيا إلى أقاليم فوتا تورو وفوتا جالون[5] ورحل جزء منهم بعد فترة من الزمن نحو الشرق، وعاشوا في مواطن قبائل الهوسا خلال منتصف ق 15م وكان جده الأكبر موسى بن جكل ضمن هؤلاء المهاجرون الذين استقروا بمنطقة جوبير[6] وتذكر بعض الروايات الشفهية المتواترة ان من أسباب هجرة هاته القبائل الفولاتية، هي تلك الصراعات الاقتصادية والسياسية حول السلطة في منطقتي فوتا تور وفوتاجالو وهو ما أجبره إلى

[1] حسن ابراهيم حسن: اثر الفلاتي على انتشار الاسلام في إفريقيا، القاهرة، مطبعة النهضة المصرية، 1964، ص79.

[2] مُحَمَّد بيللو : إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور ،مرجع سابق، ص 124.

[3] بهيجة الشاذلى : مكونات الفكر السياسي عند عثمان بن فودي ،بحوث الندوة العالمية حول الشيخ عثمان بن فودي ،جامعة إفريقيا العالمية ،الخرطوم،1996،ص77.

[4] فودي تعني باللغة الفولاتية الفقيه أو العالم، ينظر عبد الله الحمادي الإدريسي :الإمام مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني المتدين وتصديه للخطر اليهودي بصحراء توات والصقع السوداني، دار الابتكار، تلمسان، 2011، ص132.

[5] فوتاتور هي هضبة تقع حاليا بالسنغال وفوتاجالون بغينيا، ينظر يحي بوعزيز: تاريخ افريقيا الغربية الإسلامية من مطلع ق16 الى مطلع ق20 ويليه الاستعمار الاروبي الحديث في افريقيا الغربية،مرجع سابق،ص 136.

[6] أحمد بوعتروس: الحركات الإصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء إبان القرن 13هـ-19، دار الهدى، الجزائر،2009، ص132.

الاستقرار في مناطق جد أكثر أمانا في تلك الحقبة وهي منطقة جوبر،[1] وكان عثمان بن فودي يحافظ على ذكر نسبه الأصلي الفلاتي جنسا و ينتسب جغرافيا إلى بلاد الهوسا، حيث كان يفتتح بعض مؤلفاته بقوله "قال العبد الفقير المضطر لرحمة ربه عثمان بن مُحَمَّد بن عثمان الفلاني نسبا المالكي مذهبا، الأشعري اعتقادا.."[2] وكان مولده يوم الأحد 29 من شهر صفر 1168 هـ الموافق ل 17 من شهر نوفمبر سنة 1754م بقرية مارثا بأرض جالمي التابعة إقليما إلى إمارة جوبير بولاية سوكوتو شمال نيجيريا حاليا، حيث نشأ في بيئة علمية إسلامية فكان أبوه عالما شهيرا وسيدا في قومه لذلك لقب بالفودي حيث عاش عثمان في بيئة متدينة، سمحت له بحفظ القرآن والإبحار في مختلف علوم الدين وقد توفي والده مُحَمَّد بن فودي في منطقة "ديغل" ودفن في مقابرها التي تضم أجداده وأسلافه وزوجته حواء بنت مُحَمَّد التي تنتمي إلى قبائل الأشراف، كما أخذ مبادئ العلوم الدينية على يد أمه حواء وجدته رقية من ناحية أمه[3].

أما تعليمه فكان مثل باقي أقرانه في عصره، حيث استطاع حفظ القرآن في سن مبكرة بالكتاب على يد والده الفقيه مُحَمَّد فودي[4] الذي ساعده في تنمية ملكة التعمق في العلوم الدينية لما رأى فيه من حبه للدين الإسلامي، والمتتبع للسيرة التعليمية للشيخ عثمان بن فودي يجد أن معظم الذين كان يأخذ عنهم العلم هم أقربائه من جهة أبيه أو أمه أو له صلة بهما، وهو ما يؤكده أخاه عبد الله بن فودي قائلا : " قرأ الشيخ القرآن من أبيه وأخذ العشرينيات ونحوها من شيخه الذي يدعى بيدو الكبوى وأخذ الإعراب وجميع علوم النحو والخلاصة من شيخنا عبدالرحمان بن حمدا ولم يكن التعليم في عصر يقتصر في أخذه على شيخ واحد بل كان لزاما على الطالب ان ينتقل من مكان إلى آخر لأخذ العلم من مشاهير العلماء بعد حفظه لكتاب الله، حتى إذا نبغ الطالب وتكونت لديه الملكة العملية أجازه شيوخه، ولا تتوقف عملية مصاحبة الشيوخ والتزود بمختلف العلوم عند سن محدد بل كانت

[1] عبد الرحمان عمر الماحي، الدعوة الاسلامية في إفريقيا، الواقع والمستقبل، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر،ط1، 1992،ص127.

[2] عثمان بن فودي: بيان وجوب الهجرة على العباد وبيان وجوب نصب الإمام وإقامة الجهاد لتحقيق فتحي حسن المصري، الخرطوم، دار الجامعة الخرطوم للنشر، 1397هـ 1977م، ص02.

[3] عبد الله عبد الرزاق ابراهيم المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا، عالم المعرفة، الكويت، 1989، ص33.

[4] عبد الرحمان عمر االماحي: الدعوة الإسلامية في إفريقيا الواقع والمستقبل، مرجع سابق،ص 127.

العملية متواصلة يستطيع الطالب خلالها دراسة أمهات الكتب في المجالات شتى، وهي السيرة التي اتبعها عثمان بن فودي حيث أخذ العلوم الدينية على يد مجموعة من علماء بلده فأخذ علوم اللغة العربية كالإعراب والنحو من شيخه عبد الرحمن بن حمدا، كما قرأ المختصر في الفقه المالكي (مختصر خليل) عن عمه الشيخ عثمان بن الأمين الملقب ببدور، حيث كان يشتهر بالورع والتقوى والصلاح ودعوته إلى المعروف وإصلاح ذات البين والنهي عن المنكر الأمر الذي جعل عثمان يلازمه مدة عامين ويقتدي به في صفاته وخصاله الحميدة[1] وبقي الشيخ عثمان فيها يحاكي لعلماء قبيلته وأسرته الفلانية، حيث انتقل بعدها إلى خاله ثنب بن الشيخ عبد الله الذي اشتهر بعلمه وحفظه لمعظم العلوم التي نبغ فيها، ثم ما لبث ان الشيخ مُحَمَّد ثنب سافر لأداء فريضة الحج وبقي هنالك لمدة قاربت 10 سنوات وعند عودته توفي في مدينة أغدس أين تم دفنه هنالك[2].

واخذ التفسير كذلك عن ابن عمه وابن خاله أحمد بن مُحَمَّد بن الأمين ابن عثمان بن عال، حيث كان يعتبر من بين أشهر العلماء الفلانين في عصره وكان يحضر المجالس العلمية للشيخ هاشم الونفري، الذي سمع منه تفسير القرآن بأكمله، مثلما أخذ علوم الحديث عن خاله وعمه الشيخ الحاج مُحَمَّد بن رابح بن مودب بن حمر بن عال، وقرأ عليه صحيح البخاري جميعه وأجازه جميع مروياته مما أخذ من شيخه المدني السندي الأصل أبي الحسن علي،[3] ويعتبر الشيخ جبريل بن عمر أكبر المشايخ الذين أخذ عنهم العلم واقتدى بهم وتأثر بهم علما وفكرا، حيث صاحبه في حله وترحله لمدة سنة استطاع خلالها أن يتزود بعلمه وثقافته وتصوره الإسلامي للحياة[4] وذلك بعدما اتصل الشيخ جبريل بكبار العلماء والشيوخ في المشرق أثناء رحلته الأولى للحج، أما في رحلته الثانية لأداء فريضة الحج فصار معه عثمان بن فودي إلى غاية مدينة أغادس، حيث طلب منه شيخه العودة إلى أهله لأن والده لم يأذن له بالسفر معه نحو الحجاز مما جعله ينشد قصيدته الشهيرة[5] والتي منها قوله:

هل لي مسير نحو طيبة مسرعا***لأزور قبر الهاشمي محمد

---

[1] أحمد بوعتروس: الحركات الإصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء إبان ق 13هـ -19، المرجع السابق، ص133.

[2] أحمد مُحَمَّد كاني: الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا، مرجع سابق، ص61.

[3] Hiskett :Material Relating to the state of learning among the fulani before thvirejichod.Bso ASXIX.1957.p554.

[4] عبد الرحمان عمر الماحي: الدعوة الإسلامية في إفريقيا الواقع والمستقبل، مرجع سابق،ص 128.

[5] أحمد مُحَمَّد كاني: الجهاد الإسلامي غرب إفريقيا، مرجع سابق، ص63.

لـما فشار باه في أكنافها*** وتكمش الحجاج نحو مُحَمَّد
غـدوت من الدموع مزيدا***شوقا إلى هذا النبي محمـد
أحكي المصاب بشوقه*** مالي مسرور دون زورة سيد
شمس الضحى تاج العلي مُحَمَّد الندى***لا خير إلا في إتباع مُحَمَّد

ويظهـر مـن خـلال هاتـه الآبيـات مـدى الشـوق والحنـين لـزيارة قـبر الرسـول والبقـاع المقدسـة، كمـا يمكـن أن نسـتخلص عـدم ذهابـه لـزيارة قـبر الرسـول وهـو مـا يفنـد بـذلك سـفره و التقائـه بمحمـد بـن عبـد الوهـاب، كمـا كـان للشـيخ جبريـل دور في تأثـيره علـى شخصـيته ويتجلى ذلك في قول عثمان عن نفسه:

إن قيل في بحسن الظن ما قيلا *** فموجة أنا من أمواج جبريل

كمـا أجـازه شـيخه جبريـل جميـع مروياتـه وأعطـاه ألفيـة السـند الـذي ألفـه شـيخه المصـري "المرتضى" وأجاز له جميع مروياته[1].

ومـا يمكـن الإشـارة في هـذا المقـام ان شـيوخ عثمـان بـن فـودي الـذين أخـذ علـيهم العلـم هـم مـن أشـهر علمـاء بـلاد الهوسـا، مـن فـولانيين وطـوارق ولم تـذكر لنـا المصـادر أنـه اخـذ العلـم مـن العـرب وبالتـالي فـإن دراسـته كانـت محليـة، لكـن رغـم ذلـك نجـده تأثـر بشـكل كبـير هـو وأسـرته بأفكـار وطريقـة الشـيخ مُحَمَّد بـن عبـد الكـريم المغيلـي الإصـلاحية ودعوتـه الـتي انتشـرت بالسـودان، وذلـك مـن خـلال قراءتـه لكتبـه ويظهـر ذلـك جليـا في كتابـة وتأليـف عثمـان بـن فودي بل كانت غالبا ما يستشهد بآراء المغيلي في عدة مسائل مختلفة[2].

ومـن هنـا نلاحـظ ان عثمـان ابـن فـودي كـان قـد بلـغ مرحلـة متميـزة مـن النضـج والنصـح بفضـل مـا حصـل عليـه مـن علـوم ومعـارف وفطنـة فطريـة أكسـبته خـبرة في معالجـة مختلـف القضـايا الدينيـة والدنيويـة أهلتـه ليكـون داعيـا ومصـلحا في بيئتـه الـتي كانـت تشـهد فسـادا إجتماعيا كبيرا، بسبب ابتعاد الناس عن الدين الإسلامي الصحيح[3].

لينطلـق عثمـان بـن فـودي في رحلاتـه الدعويـة انطلاقـا مـن مسـقط رأسـه ليتجـه شـرقا وغـربا قصـد دعـوة النـاس إلى الإسـلام الصـحيح، الخـالي مـن المعتقـدات الباليـة مسـتعملا في

[1] حسن إبراهيم حسن: أثر الفلاني على انتشار الإسلام في إفريقيا، مرجع سابق، ص119.
[2] مبارك جعفري: مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2016، ص100
[3] أحمد بوعتروس: الحركات الاصلاحيه في إفريقيا جنوب الصحراء، مرجع سابق، ص135.

أسلوبه الدعوي اللغة العربية واللغة المحلية للسكان، فانضم إليه العديد من السكان بسبب قوة أسلوبه لإقناعي واستعماله للحجج العقلية والواقعية، حتى شاع اسمه عند الملوك فسار إليهم يعظهم بعدما قويت شوكته لدى العامة، ليكون بذلك خصما قويا لدى بعض الملوك الذين حاولوا بكل قوة التصدي له ومعرضته في تحقيق طموحاته وكانت أولى رحلاته باتجاه مملكة "كب" حوالي سنة 1780م بعدما تجاوز عمره 25 سنة وبدأ يدعوا الناس إلى الإسلام والعقيدة الصحيحة والابتعاد عن العادات المخالفة للشريعة فانضم إليه العديد من أتباعه وبعد عودته من رحلته أرسل إليه سلطان "غوبر" هدية من خمسين رأس غنم حتى يكسبه وده وثقته[1] وذهب عثمان بن فودي بزيارته ودعوته إلى الإسلام وإقامة العدل والحكم بكتاب الله وسننه واستطاع إقناعه.

أما رحلته الثانية فكانت نحو بلاد زانفرا لكثرة الوثنيين وسطحية إسلام المسلمين بها فنزل بينهم سنة 1783م يدعوهم إلى الإسلام مدة 5 سنوات، في مجالس الوعظ والإرشاد الذي كان يحضره الرجال والنساء إلى ان استطاع ان يتمكن الاسلام من نفوسهم، ثم قفل راجعا إلى مسقط رأسه من جديد،[2]وما يمكن ملاحظته حول تلك الرحلات والتنقلات التي كان يقوم بها عثمان بن فودي بصحبة أخوه عبد الله وجماعتهم إلى مختلف مناطق السودان بصفة عامة والهوسا بصفة خاصة لم تكن من اجل الدعوة الإسلامية فقط بل استطاع من خلالها ان يتعرف إلى الأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية التي كانت تعيشها تلك الشعوب ووضع الأسس والمرتكزات المناسبة من اجل القيام بحركته الإصلاحية التي شملت كل المجالات التي عم فيها الفساد والجهل والشرك بالله باستخدام وسائل شتى قصد الرجوع إلى تعاليم الدين الإسلامي الصحيح.

وذاع صوت عثمان بن فودي بين القبائل وتزايد أنصاره ومحبيه، فرأى أمير زنفرة انه سيشكل خطرا عليه وعلى ملكه ففكر بأن يقوم بشراء الذمم وتحصين عرشه، فأرسل إلى علماء البلاد، قصد الحضور إلى بلاطه الملكي يوم عيد الأضحى سنة 1202هـ وقدم لهم

[1] حسن عيسى عبد الظاهر: الدعوة الاسلامية غرب إفريقيا وقيام دولة الفلاني، المرجع السابق، ص194.

[2] مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد السكاكر لدعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن فودي دراسة تاريخية مقارنة، الرياض، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود، 2000، ص163.

العطـايا والهـدايا فأخـذوها واستحسـنوا الأمـر إلا عثمـان بـن فـودي الـذي رفـض ذلـك مطالبـا الملك تحقيق بعض المطالب عوض أخذه الهدايا والتي كان من بينها ما يلي:

. أن يسمح له بالوعظ والإرشاد في بلاده.

. ألا يمنع أحد من قبول دعوته والانضمام إليه.

. أن يطلق سراح المعتقلين من أتباعه.

. ان يعامل الرجال الذين يلبسون العمامة بالاحترام والتقدير[1]

فلـم يكـن للملـك "باوا" إلا ان يوافـق علـى مطالـب عثمـان بـن فـودي قصـد تفـادي المواجهـة مـع أنصـاره، ومـن جهـة أخـرى انشـغاله في الحـرب ضـد مملكـة كاتسـينا، كمـا سمحـت هاتـه المطالـب الـتي حققهـا عثمـان بـن فـودي مـن ممارسـته لنشـاطه الـدعوي بكـل حريـة ممـا زاد في عدد أتباعه.

وبعـد وفـاة الملـك (باوا) تـولى مقاليـد الحكـم إبنـه (نفـاتا) الـذي كـان أكثـر عـداء مـن أبيـه لـدعوة عثمـان بـن فـودي، والمكاسـب الـتي حققهـا ضـد مملكتـه فسـعى جاهـدا للتصـدي لهـا فـألغى جميـع التسـهيلات الـتي تحصـل عليهـا سـابقا واقتصـر النشـاط الـدعوي علـى عثمـان بـن فـودي دون سـواه مـن أتباعـه، ومنـع دخـول النـاس إلى الإسـلام إلا مـن ورثـه عـن آبائـه ومنـع ارتـداء العمـائم واللبـاس الإسـلامي حيـث كـان هدفـه مـن وراء ذلـك شـل نشـاطات جماعـة عثمـان بـن فـودي واقتصـار الـدعوة علـى شخصـيته فقـط، ناهيـك عـن محاولتـه إزالـة مظـاهر المجتمع الإسلامي والحد من انتشارها بين الناس[2].

لم يقـم عثمـان بـن فـودي بمعارضـة أوامـر ولي أمـره ليـترك أمـره إلى الله حيـث قضـى الملـك نحبـه في سـنة 1802م ويتـولى ابنـه "يونفـا" السـلطة 1802م-1808م غـير ان هـذا الأخـير، كـان أشـد حقـدا وبطشـا مـن أبيـه، حيـث قـام بإرسـال وفـودا إلى أمـراء الهوسـا وبرنـو يحـذرهم فيهـا مـن دعـوة عثمـان بـن فـودي الـتي يسـعى مـن خلالهـا إلى إقامـة كيـان سياسـي باسـم الـدين، ممـا جعلهـم يتكـالبون عليـه ويقتلـون أتباعـه[3] كمـا قـام بإرسـال كتيبـة مـن الجنـود ضـد عثمـان بـن

[1] مصباح الدين جنيد: الشيخ عثمان بن فودي الفلاني وعقيدته على ضوء الكتاب والسنة، رسالة ماجستير، إشراف سليمان دنيا، السعودية، جامعة أم القرى، 1982،ص45.

[2] مُحَمَّد بيلو بن عثمان بن فودي: انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، تحقيق بهيجة الشاذلي، المملكة المغربية، جامعة مُحَمَّد الخامس ، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 1996، ص67.

[3] آدم عبد الله الآلوري: الاسلام في نيجيريا، مرجع سابق،ص153.

فودي وأتباعه هاجمتهم على غفلة في نهار رمضان وقتلوا منهم عددا كبير كما أسروا الجرحى لديهم وأصبح الملك يتوعد كل مسلم بالقتل الأمر الذي أدى بالشيخ عثمان بن فودي إلى الخروج من قريته طغل سنة 1218هـ – 1804م والتوجه نحو صحراء غوبر وعددهم قرابة 5 آلاف جندي[1].

حيث تمت مبايعة عثمان بن فودي على السمع والطاعة والحكم بكتاب الله وسنة نبيه وكانت البيعة ليلة الخميس[2]لتبدأ بذلك مرحلة جديدة من الدعوة التي بنيت أسسها على قواعد متينة شملت كل المجالات.

3– أسس الدعوة عند عثمان بن فودي:

بعدما صال وجال الشيخ عثمان بن فودي في مختلف مناطق بلاد السودان بحثا عن العلم والتزود بأحكامه من جهة والتطلع على مختلف الظروف والأوضاع العامة السائدة في مختلف المجالات، وعرفة الظروف المعيشية لتلك المجتمعات التي كانت تحوي بين طياتها فئات متباينة من حيث العقيدة والعادات والتقاليد، بين مسلمون حقيقيون متمسكون بكتاب الله وسنته ومسلمون اخذوا من الدين اسمه وتشبثوا بأعمال الكفر والشرك والبدع المستحدثة، لذا كان على عثمان بن فودي ان يقوم بإصلاحات جذرية تشمل كل المجالات مستندة على ما يلي:

1 – الأسس العقائدية:

كان عثمان بن فودي من ناحية العقيدة ينتسب الى مذهب الأشاعرة مثل باقي علمائه ويبدوا ذلك جليا من خلال بعض مؤلفاته التي كان يفتحها بقوله "بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وآله وصحبه وسلم تسليما قال الفقير المضطر إلى رحمة ربه عثمان بن مُحَمَّد بن عثمان الفلاني نسبا المالكي مذهبا الأشعري جليا في كتيبه الصغير

[1] مُحَمَّد بيلو: انفاق الميسور، المرجع السابق، ص68.

[2] عثمان بن فودي: الوصية الوطنية من الراعي إلى الرعية، تقديم وتحقيق أحمد مصطفى، ابو الخير ، مصر،جامعة المنصورة، 1990، ص09.

تحت عنوان أصول الدين"[1] الذي يوضح فيه طريقة تدريسه لأصول الدين[2] ومجالس الوعظ والإرشاد، ويستند في إثبات أسس العقيدة بالاعتماد على الإلهيات والنبوات والسمعيات، مستعملا في ذلك الأدلة العقلية والنقلية والحجة البالغة في الرد على الشبهات والانحرافات الدينية بأسلوب الأشاعرة.

ونظرا لكون العقيدة هي من أسس الدين الإسلامي فقد كانت من أولويات الشيخ عثمان في مجالسه العلمية نظرا لانتشار البدع والخرافات التي تؤدي إلى الشرك بالله داخل المجتمعات، في مقابل ذلك تفشي الجهل والأمية، فكان لزاما عليه ان يعلمهم مبادئ التوحيد متبعا أسلوب الوعظ في التدريس والإقرار بالإلهيات بالتفصيل ثم ينتقل إلى التنبؤات ويورد في ان يربط بين العقل والنقل خاصة وأنه كان يستعمل لغة الحاضرين من عوام وعلماء وطلبة علم[3].

هذا عن عقيدة الشيخ عثمان بن فودي أما من جهة العبادة فقد انتسب إلى مذاهب الإمام مالك متبعا شيوخه وأسلافه وشرح ذلك في رسالة اسماها "هداية الطلاب" مبرزا فيها عشرة مسائل حول التقليد والاجتهاد وضرورة التقيد بمذهب الإمام مالك، خاصة في مجال الفتوى، مستثنيا من ذلك العوام الذين لا مذهب لهم وجعل لتقليد الأئمة ثلاثة مراتب هي مرتبة الورع من التقاة، ثم المرتبة الوسطى، وأخيرا مرتبة الأخذ بالرخص عند الضرورات.[4]

2- الأسس الصوفية:

صاحب انتشار الإسلام ببلاد السودان ظهور الحركة الصوفية في بداية عهدها بالمنطقة، حيث تشير بعض المصادر إلى إن ظهورها كان مع الداعية مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي وذلك في أواخر القرن 16 م وذلك إثر التواصل الحضاري الذي عرفته المنطقة مع

[1] نسبة إلى أبي الحسن الأشعري.

[2] آدم عبد الله الألوري: الاسلام في نيجيريا، مرجع سابق، ص136.

[3] حسن عيسى عبد الظاهر: الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا، مرجع سابق، ص198.

[4] مُحَمَّد بيلو: انفاق الميسور في بلاد التكرور، مرجع سابق، ص48.

منطقة بلاد المغرب[1] ومع حلول القرن 17 م تجسد انتشار الطرق الصوفية بشكل كبير بالمنطقة خاصة القادرية .

وقد ظلت القصيدة العشرينية للفناري والبردة للبصيري ودلائل الخيرات لأبي عبد الله مُحَمَّد بن سليمان ابن أبي بكر الجزولي كمواد أساسية لطلبة العلم ببلاد السودان، ومن هنا كانت انطلاقة عثمان بن فودي لوضع أسس وقواعد فكرية صوفية محضة حيث أنه درس كتاب الفتوحات المكية لمحي الدين ابن العربي وأعمال الشاعر المغربي المتصوف أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي، كما انه حفظ منذ صغره القصيدة العشرينية ومؤلفات الإمام الغزالي هذا الخير الذي ظهر تأثيره مباشرة في كتابه " إحياء السنة" الذي كان شبيه لكتاب الغزالي "إحياء علوم الدين" ومنذ بلوغه العشرينات من عمره كان بمثابة الرافد لأخيه عبد الله بن فودي في إسرار الصوفية[2].

وتجسدت أفكار الشيخ عثمان بن فودي الصوفية في كتبه وقصائده باللغتين العربية والفولانية منها كتاب السلاسل الذهبية للسادة الصوفية الذي يوضح فيه سلسلة سنده في تلقين الشهادة في كل من الطريقة القادرية والخلوتية ونجده في كتابه "الورد" يقول:" لما بلغت ستة وثلاثين سنة كشف الله الغطاء عن بصري والوقر عن سمعي وعن شمي كنت انظر البعيد كالقريب وّأشم ريح من يعبد الله أحلى كل حلو، والعاصي أقبح كل شيء، وأعرف الحلال والحرام بالذوق قبل بلعه وأجني بيدي ما كان بعيدا وأنا جالس في مكاني وامشي برجلي ما لم تبلغه الجياد أعواما ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء" ثم يقول أيضا: "فلما بلغت أربعين سنة وخمسة وبضع ليال جذبني الله إليه فوجدت هناك سيد الثقلين سيدنا مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم معه الصحابة و الأنبياء والأولياء ثم رحبوني وأجلسوني وسطهم ثم أتاني غوت الثقلين سيدي عبد القادر الجيلاني بثوب أخضر مطرز بلا إله إلا الله إلا الله مُحَمَّد رسول الله ﷺ وعمامة مطرزة ب"قل هو الله أحد..."[3].

---

[1] مُحَمَّد بن عل مُحَمَّد السكاكر: دعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن فودي، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، السعودية، 2000، ص179.

[2] مُحَمَّد بيلو: انفاق الميسور، مرجع سابق، ص52.

[3] مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد السكاكر: دعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن فودي، مرجع سابق، ص ص 184-185.

ومن هنا تم تسليمه سيف النصر والنجاح على الكفار والمشركين، وكانت القادرية التي ألفها باللغة الفولانية ترجمها أخوه عبد الله إلى اللغة العربية وابنته أسماء إلى الهوسا لتصبح بمثابة شعار لأصحابه يحفظونها عن ظهر قلب ومنها الأبيات التالية:

يا رب عالم باطن كالظهر*** أجب الذي يدعوا بعبد القادر

بركات أحمد في بلاد الله قد*** عمت وجمت عند عبد القادر

يا رب يا منفضلا لعباده***صلني بفضلك عند عبد القادر

إن المسيء لدى الأكابر يلتجي*** فلجأت عند الشيخ عبد القادر

إن كنت لم أحسن فشيخي محسن*** إني لمنتسب لعبد القادر

من خلال هذه الأبيات نستخلص مدى الارتباط الوثيق للشيخ عثمان بن فودي والتمسك بالطريقة القادرية[1].

وادخل عثمان بن فودي التصوف تحت باب الإحسان فقال: "أما طريق السنة المحمدية في باب الإحسان الذي هو باب التصوف فهو أن يقتدي كل واحد بما كان النبي ﷺ يفعله" أما شرط الولاية وأصولها، فهي مبنية على ملازمة الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع وتعظيم حرمات المشايخ والمداومة على الأوراد وترك الرخص[2].

كانت الضرورة الملحة في تطبيق السياسة الإصلاحية تفرض على عثمان بن فودي ان يظهر بمظهر المتصوف المعتدل حيث كان يعتبر التصوف يدخل منظور الأمور الشخصية للإنسان، ويتضح ذلك في نفيه باستمرار عن نفسه الكرامات ويصف من ينسبها له بالجاهل، مثلما نفى عن نفسه القطبانية كل ذلك كان خوفا منه من انشغال جماعته بالصوفية وترك الفرائض.

3- الأسس السياسية والاجتماعية:

إن أساس قيام الحكم ودوامه عند عثمان بن فودي يرتكز على العدالة الإجتماعية، فالسلطان العادل يقوم بحقن الدماء ويحرس الأموال ويصون المحارم، وبالتالي يسود الأمن والاستقرار، أما إذا كان الحاكم عكس ذلك فسينعدم الأمن وتحل الفوضى والفساد، وعليه فإنه لا يتمنى زوال السلطان العادل إلا جاهل أو فاسق متجاهل، كما يلح عثمان بن

[1] عثمان بن فودي: إحياء السنة وإخماد البدعة، مطبعة الزاوية التجانية،القاهرة، ط2،1377هـ، ص230.

[2] عثمان بن فودي: سراج الأخوان، ص152.

فودي على السلطان العادل أن يتقيد بأحكام الشريعة الاسلامية، متمثلة في إخلاص العبادة لله وحده والعدل والإحسان للرعية واختيار العلماء والوزراء النزهاء مع الرفق بالرعية والتسامح معهم وجباية الأموال وصرفها وفق ما يرضى الله ورسوله، وبالتالي يجب على كل مسلم أن يدخل في بيعته أمير المؤمنين ويحرم عليه خلع عصا الطاعة إلا بوجه شرعي كما إذا أبطل السلطان فرض من فروض الإسلام[1].

أما من الناحية الإجتماعية فقد كان عثمان بن فودي يستمد أحكام المعاملات من الشريعة في إتباع الأوامر واجتناب النواهي، وذلك بتحقيق المساواة بين الناس وإقامة حدود الله على كافة أفراد المجتمع وتحريم الظلم من الراعي لرعيته ومنح المناصب لمستحقيها دون النظر إلى مكانة الفرد داخل المجتمع كما كان دائما يحث المسلمين على الاتحاد والتمسك بدين الله، قصد مواجهة أعدائهم وتجنب الاختلاط مع المشركين وأهل البدع، ومن جهة أخرى حرم التلاعب بعقول العوام باستخدام الشعوذة في علاج المرضى واستخدام الكهنة لمحاولة معرفة المستقبل[2]، مثلما حرم الغش في المعاملات التجارية كخلط اللبن بالماء أو التطفيف في المكاييل والموازين، ونظرا لأهمية التجارة في ممارسة مهنة البيع، فقد حرم ممارستها على المرأة إلا للضرورة وحرم الاختلاط الجاهلي بين الرجال والنساء الأجانب مخافة الوقوع في الحرام وهو بذلك امتثالا لأوامر الله عز وجل[3].

4- الأسس التربوية التعليمية:

تميزت شخصية عثمان بن فودي بالحكمة ومداومة الطلب للأشياء والمرونة في المستصغرات من الأمور، كما تفردت بالتسامح والتواضع وتلك هي من صفات القيادة التي لم تتوافر لغيره في عصره، حيث بدأ التدريس وعمره عشرون عاما باستعمال أساليب ولغات مختلفة ولما كانت التربية من أساسيات نجاح الدعوة فقد أعطاها عثمان بن فودي أهمية بالغة

[1] عثمان بن فودي: المسائل المهمة التي يحتاج إلى معرفتها أهل السودان، تحقيق حسن عيسى عبد الظاهر، ص188.

[2] عثمان بن فودي: إحياء السنة وإخماد البدعة، مصدر سابق، ص180

[3] مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد السكاكر: دعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن فودي، مرجع سابق، ص ص 182-183.

باعتبارها تشمل الجسد والروح مع العقل ولا يكون ذلك إلا بالتعليم بشتى أنواعه كالتعليم النظامي والمعاهد والتعليم المهني ثم التعليم المتميز.

كان التعليم النظامي عند الشيخ عثمان بن فودي يتم عبر مرحلتينّ أساسيتين فالأولى قبل سن 5 سنوات حيث يتعلم فيها الأطفال قراءة القرآن دون حفظه حتى يتمكنوا من معرفة الحروف العربية باعتبارها ليست اللغة الأم للسكان المحليين أما المرحلة الثانية تبدأ بعد سن الخامسة وهي مرحلة مهمة يستطيع الأطفال خلالها قراءة القرآن وكتابته وحفظه باستعمال الألواح ويتم في هاته الفترة التركيز على التربية الحسنة قصد تكوين شخصية الطفل[1].

كان الشيخ يستغل معظم أوقاته لخدمة الدين، فينشغل أحيانا بالتدريس وتارة يقوم بالوعظ الذي خصص له ليلة كل جمعة، أما في وقت العصر فكان يقوم بتقديم دروس التفسير والحديث النبوي والفقه والتصوف وأحيانا كان ينتقل بنفسه بين القبائل لتقديم حلقات التدريس والوعظ ونشر الرسالة الإسلامية[2] هذا ولم تكن دعوته تقتصر على فئة معينة من المجتمع بل شملت كل الشرائح.

5 – الاعتماد على المرأة في التربية والتعليم:

كانت المرأة قبل ظهور عثمان بن فودي تعاني من التهميش، واعتبارها كائن بشري ثانوي محرومة من كل حقوقها، مما جعلها تعيش الجهل والأمية حتى في معرفة أمور دينها، وقد ركز عثمان بن فودي على ثلاثة أمور تتعلق بالمرأة وهي: تعليم المرأة وكيفية خروجها ومحاربة البدع والأباطيل اتجاه المرأة حيث تحرص على تعليم المرأة باعتبار أن السلطة داخل المنزل كانت أبوية عند أهل السودان، مما جعلهم يتركون نسائهم وبناتهم جاهلات لشتى الأمور الدينية، بل وأبسطها كالوضوء والصلاة والصيام وغيرها فأمر الشيخ بفرضية تعليمهم وذلك وجوبا ووجه خطابه للمرأة قائلا: "يا نساء المسلمين لا تسمعن إلى أقوال الضالين المضلين الذين يقرئونكن بطاعة الأزواج بغير أن يأمرنكن بطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ويقولون سعادة المرأة في طاعة زوجها وما ذلك إلا لطلب غرضهم ومرادهم..."[3]

---

[1] أحمد عمر عبيد الله: الأسس التربوية لحركة التجديد عند الشيخ عثمان بن قودي، بحوث الندوة العالمية حول السيخ عثمان بن فودي، الخرطوم، جامعة إفريقيا العالمية، 1996..

[2] مُحَمَّد بيلو: انفاق الميسور في بلاد التكرور، مصدر سابق، ص65.

[3] عثمان بن فودي: إحياء السنة و إخماد البدعة، مصدر سابق، ص28.

ثم بدأ يدعو ا النساء لحضور حلقات العلم والوعظ ولكن بدون اختلاط مع الرجال وجعل تعليم المرأة من الواجبات على الرجال ومن حقوق المرأة.

كما أفرد مؤلفا خاصا حول أحكام خروج المرأة من بيت زوجها وشروطها، وحدد اثنا عشر نوعا من خروج النساء منها الخروج الواجب على سبيل المثال لطلب العلم ومعرفة أمور الدين وفق شروط وضوابط اجتماعية معينة، والخروج المستحب ثم الخروج المحرم.

ولم يكتف بهذا بل أخذ ينادي باسترجاع حقوق المرأة التي كفلها الإسلام، كالحق في الميراث والصداق التي كانت قد حرمت منها وأثبت ذلك في أحقيتها بالحجة والدليل من الكتاب والسنة، في مقابل ذلك كان يطالب المرأة بأداء واجباتها المشروعة خاصة اتجاه زوجها، حيث ان المرأة كانت تأخذ أجرا من زوجها مقابل الفراش فحرم الشيخ عثمان بن فودي ذلك مثلما كان يعلم المرأة كيفية الطهارة من دم الحيض والنفاس والواجبات الدينية أثناء ذلك.[1]

6 – طرق الإصلاح عند عثمان بن فودي:

حتى يتسنى للشيخ عثمان بن فودي النجاح في حركته الإصلاحية، فقد سعى لاستخدام كل الوسائل الفكرية والعلمية من وعظ وإرشاد واتصال بمختلف القبائل والملوك وصولا إلى استخدام الأسلحة لمواجهة أعداءه.

أما عن الطرق الفكرية فقام عثمان بن فودي بتقسيم أفراد مجتمعه حسب عقيدتهم إلى مسلمون حقيقيون متمسكون بالتعاليم الحقيقية للدين الإسلامي أما الفئة الثانية فهم الذين يخلطون العقيدة الإسلامية بأعمال المشركين، والفئة الثالثة تتمثل في الكفار الذين لم يدخلوا إلى الإسلام بعد ولا زالوا متمسكون بمعتقداتهم الدينية التي ورثوها عن أجدادهم[2].

وبعد تقسيم فئات المجتمع على حسب المعتقد سعى لتخصيص معظم أوقاته للوعظ والإرشاد والتنقل من مكان لآخر، وبعد صلاة العصر من كل يوم فكان يخصصه لتدريس القرآن والأحكام الفقهية، وما يمكن ملاحظته في طريقة شرحه وتدريسه للفقه فقد كان ينطلق في إرشاده الديني من الأول الى الأخير، وتتم طريقة الشرح بأسلوب علمي بسيط

[1] أحمد محمد الكاني: الجهاد الاسلامي في غرب إفريقيا، مرجع سابق، ص 68.

[2] محمد بن علي بن محمد السكاكر: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن فودي، مرجع سابق، ص187.

حتى يتسنى للمتلقي تقبله بطريقة عقلية انطلاقا من أبسط الأمور إلى أصعبها، مسايرا في ذلك علماء الصوفية القادرية[1].

وعن استخدام الشيخ عثمان بن فودي للوسائل العملية، فتمثلت في دعوته لملوك وسلاطين الممالك المجاورة له خاصة مملكة غوبر التي كانت تشكل قوة عسكرية كبيرة في عصره وتأتي دعوته للملوك بعدما جنى ثماره من دعوته لعامة الناس وبعض علماء عصره، وكان هدفه من دعوة الملوك والسلاطين الإسلام الصحيح باعتبارهم قدوة لرعيتهم ويتقبلون الدعوة الإسلامية إما رغبة منهم أو خوفا من بطشه وأصدر عثمان بن فودي فتوى تقضي بضرورة دعوة الحاكم إلى الإسلام الصحيح والنهي عن المنكر وإذا لم يقم العالم بذلك وسكت فيعتبر مشاركا معه في البطش والظلم[2].

وبالتالي مما سبق ذكره يمكن ان نفسر نجاح الدعوة الإصلاحية لعثمان بن فودي، هو قيامها على أسس ومرتكزات عديدة ومتكاملة شملت كل شرائح المجتمع التي لها فاعلية في التجديد،كل ذلك من أجل القضاء على الوثنية والمعتقدات الدخلية على الإسلام وكانت منتشرة بشكل واسع داخل المجتمع.

[1] مُحَمَّد بيلو: انفاق الميسور في بلاد التكرور، مرجع سابق، ص56.

[2] عثمان بن فودي: إحياء السنة وإخماد البدعة، مصدر سابق، ص211.

03) أسباب الحركة الإصلاحية

الحديث عن الإصلاحات التي قام بها الشيخ عثمان بن فودي في بيئته والتي شملت كل المجالات يجرنا للبحث عن الأسباب والدوافع التي أدت إلى ظهورها وبالتالي معرفة الأوضاع العامة التي كانت سائدة في المنطقة قبل ظهور تلك الحركة ومن أبرزها ما يلي:

1. الحياة السياسية في السودان الأوسط قبل ظهور الإصلاحات

كانت الأوضاع السياسية في منطقة بلاد السودان الأوسط تسودها حالة من الفوضى والحروب المتتالية، حيث أن كل قبيلة تعيش في استقلالية عن الأخرى وهذا ما يؤكده مُحَمَّد بيلو متحدثا عن ممالك الهوسا قائلا: "وهذه الأقاليم السبعة قد كان فيها من العجائب والغرائب أمور كثيرة وأول من وهبت له الدولة فيها على ما زعموا آمنة بنت زكزك، غزت هذه البلاد واستولت عليها قهرا حتى أدت إليها الخراج من كاشنة وكانو وغزت بلاد بوش حتى وصلت البحر المحيط من جانب اليمن"[1].

ولم تستطع القبائل الكبرى ان تفرض لغاتها وعاداتها وتقاليدها على الشعوب التي كانت تسيطر عليها أحيانا مما يجعل استحالة تكوين وحدة سياسية شاملة موحدة إذا ما استثنينا البعض منها على غرار مملكة كانو ومالي أو مملكة صنغاي، هاته الأخيرة التي عرفت انتعاشا واتساعا جيو استراتيجي خاصة في فترة حكم الأسكيا مُحَمَّد بن أبي بكر الطوري (1493هـ – 1528 م) حيث استطاع السيطرة على عدة أقاليم مثل مالي التكرور والهوسا والصحراء الشمالية[2].

وحاول بكل قواه لم الشعب والقبائل باختلاف لغاتها وعاداتها تحت راية واحدة، واستطاعت الصمود كثيرا رغم المتناقضات التي كانت تحويها في كيانها السياسي إلى ان سقطت اثر الحملة التي شنها المنصور الذهبي المغربي سنة 1591م[3]، على أن المغاربة لم يستطيعوا التحكم والسيطرة على أقاليم المنطقة كلها، إذا ما قمنا باستثناء كل من جاو وتمبكتو وجني التي كانوا يقومون باستخدامها كقواعد عسكرية، ولعل مرد ذلك إلى تلك

1مُحَمَّد بيلو: انفاق الميسور، المصدر السابق، ص68.

2عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الاسبقين، الجزائر، الشركة الوطنية، للنشر والتوزيع، ب.ت، ص39.

[3] حسن ابراهيم حسن: انتشار الاسلام في القارة الإفريقية، ط3، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1984، ص113.

الثورات الداخلية التي كانت تقوم بها قبائل الفولاني والطوارق و البمبارا التي اعتادت على حياة السلب والنهب وعدم الخضوع للأجنبي[1].

وما يمكن ملاحظته على منطقة بلاد الهوسا هو التشتت والانقسام والصراع الدائم بينهم، فبالرغم من وجود عوامل الوحدة والقوة كاللغة والتشابه في العادات والتقاليد، إلا أنهم لم يستطيعوا النجاح في إقامة كيان سياسي موحد إلا في عهد عثمان بن فودي[2].

ونجد أن ولايات الهوسا كانت في صراع دائم فيما بينها فكلما قوى نفوذ ولاية معينة إلا وسعت للتوسع على حساب جارتها، قصد إخضاعها لسيطرتها وهو ما يؤدي إلى ضعفها وتصبح عرضة للسيطرة الأجنبية،[3] في حين أن بعض الممالك استطاعت لفترات طويلة ان تحافظ على قوتها، مثل: مملكة "كاب" التي صمدت لأكثر من قرن من الزمن وبسطت نفوذها على معظم مناطق بلاد السودان الأوسط إلى أن سقطت مع بداية القرن الثامن عشر على يد سلاطين "غوبر" و"اهير" و"زنفرا" وقاموا باقتسامها فيما بينهم لتظهر على مسرح الوجود مملكة "زنفرا،"[4]كوريثة لممالك الهوسا لكن زعامتها لم تدم طويلا حيث سقطت على يد سلطان غوبر سنة 1864م، هاته الأخيرة التي استطاعت أن تسيطر على العديد من المناطق على غرار كانو، كاتسينا، غرما، بل وصلت حدودها الإقليمية إلى غاية الجنوب بفضل قوتها العسكرية.[5]

مما سبق ذكره نصل إلى ان منطقة بلاد السودان قبل قيام الحركة الإصلاحية للشيخ عثمان بن فودي مع مطلع القرن التاسع عشر كانت تشهد اضطرابات سياسية وكان العداء سائدا بينهم ولم يجد الأمن والاستقرار طريقا لهم مجسدا بذلك التفرقة السياسية التي كانت خارطتها كما يلي:

. مملكة برنو وكانت سيدة على منطقة الجنوب الشرقي .

. الشمال الغربي تحت حكم مملكة غوبر.

. مملكة نيب شهدت ضعفا كبيرا بسبب الحروب الأهلية بينما .

---

[1] عبد الرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا، مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1958، ص84.

[2] محمد بيلو: انفاق الميسور في بلاد التكرور، مصدر سابق، ص32.

[3]Kami.A.M the political and soaal basis of thesokoto jihad. Seminorpobers of department of vistory.Ahmadu Bello university Zarid1981. p11.

[4] آدم عبد الله الألوري: موجز تاريخ نيجيريا، ب ط، مكتبة الحياة، بيروت، 1965، ص78.

[5] حسن عيسى عبد الظاهر: الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا، مرجع سابق، ص144.

. مملكة زاريا وكاتسينا فكانتا مستقلتان شكليا أما واقعيا فكانتا تحت وصاية مملكة برنو.

. مملكة برنو كانت تحاول السيطرة على الأقاليم المجاورة لها في كل الجوانب[1].

وبالتالي فإن هذا التمزق السياسي ساهم بشكل كبير في ظهور الإضطرابات والفوضى التي تؤدي إلى ظهور للأمن فلم يعد الإنسان يؤمن على نفسه وماله وعرضه وهو ما أثر سلبا على الحياة اجتماعية والاقتصادية في المنطقة.

2 الأوضاع الدينية

تؤكد بعض المصادر التاريخية الإسلامية القديمة بأن وصول الإسلام إلى منطقة السودان الأوسط كان منذ القرن الثامن الميلادي، بواسطة التجار المسلمون الذين كانوا همزة وصل بين شمال إفريقيا والسودان مرورا بالصحراء الإفريقية الكبرى ثم قوية عمادة الإسلام في القرن 13م بعد النفوذ الذي عرفته دولة المرابطين،[2] حيث استطاع الإسلام أن يتغلغل إلى معظم القبائل الإفريقية الكبرى على غرار شعوب الهوسا التي بدأت قبائلها تعتنق الإسلام فرادى وجماعات، على أيدي فقهاء مملكة مالي الإسلامية خاصة بعد مراسلة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي لسلطان إمارة "كانو" داعيا إياه إلى محاربة كل أنواع الشرك والمظاهر الاجتماعية المحرمة (شرب الخمور وكشف العورة...الخ).

وبحكم الموقع الجغرافي للمنطقة وتوسطها لمختلف مناطق القارة جعلها همزة وصل ومكان تفاعل لمختلف الحضارات، وأبرز تأثير عليها كان من منطقة شمال إفريقيا حيث بفضلها استطاع الإسلام أن يتوغل في داخل بيئاتهم ويبقى إلى يومنا هذا، منذ القرن الثاني للهجرة الموافق للقرن الثامن ميلادي نتيجة عدة عوامل ولعل من أبرزها:

[1] زاهر رياض: الممالك الاسلامية في غرب إفريقيا ، مرجع سابق، ص290.

[2] أحمد عمر عبيد الله: الاسلام في نيجيريا، مجلة رسالة الجهاد،العدد 89 ليبيا، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان،مارس 1990، ص 11.

– الفتوحات الإسلامية

كان للفتوحات الإسلامية التي تواصلت بعد وفاة الرسول (ص) دورا كبيرا في انتشار الاسلام في مختلف مناطق العالم، وخاصة في افريقيا خلال حكم الخليفة عمر بن الخطاب عندما طلب من عمرو بن العاص التوجه نحو فتح مصر سنة 19هـ واستطاع الاسلام بفضل سماحته وبساطته ان يجلب الكثير من الأفارقة الى اعتناقه بطرق سلمية دون مشقة، بإعتبار أن قواعده السمحة تتلائم مع مختلف البيئات الإفريقية[1]وهو ما يؤكده قول توماس أرنولد:"أن ما كان يلقاه السود الوثنيون من ترحيب المسلمين بدخولهم في الاسلام هو الذي كان يرغبهم في الانضمام الى مجتمع ديني تتطلب حضارته التي تفوق حضارتهم، وأن يؤثروا التخلي عن كثير من عاداتهم وطباعهم البربرية، ومما يساعد في نفس الوقت مساعدة كبيرة جدا على تفسير نجاح هذا الدين أن مجرد الدخول في الاسلام يدل ضمنا على الترقي في الحضارة وأنه خطوة جد متميزة في تقدم القبيلة الزنجية فكريا وماديا"[2].

إن الاسلام استطاع أن يجمع بين مختلف طوائف وشرائح المجتمع، وضمن الحقوق والواجبات وهو ما جعل الأفارقة يعتنقون هذا الدين بشكل كبير خاصة بعد معاناتهم الشديدة من الذل والعبودية تحت وطأة الوثنية كما ان الدعاة المسلمون كانوا منذ البداية يدعون الى المساواة ونبذ التفرقة والعنصرية بكل أشكالها الجنسية والعرقية والطبقية التي كانت متفشية في المجتمعات الإفريقية[3].

ومن ناحية أخرى فان الاسلام لم يكن دين سماوي بتعاليمه فحسب بل كان يحمل في ثناياه حب العلم والسعي للتزود بالمعارف، الأمر الذي فرض على الزنوج ضرورة معرفة القراءة والكتابة قصد إثراء رصيدهم الثقافي بعلوم الدين وهو ما زاد من الانتشار الواسع للكتاتيب وحلقات الذكر وهو ما دفع الأفارقة للتنافس واعتناق هذا الدين الجديد[4].

---

[1]حسن أحمد محمود : الاسلام والثقافة العربية في افريقيا ،مرجع سابق ،ص37.

[2]توماس أرنولد : مرجع سابق ،ص396.

[3]حسن علي ابراهيم الشيخي :تأثير الاسلام وثقافته في السودان الغربي منذ ق11م الى نهاية ق16م ،أطروحة دكتوراه،إشراف محمد علي محمد الطيب،قسم التاريخ والحضارة الاسلامية ،كلية الآداب،جامعة أم درمان الإسلامية ،الموسم الدراسي2009/2008،ص200.

[4]حسن أحمد محمود :الاسلام والثقافة العربية في أفريقيا ،مرجع سابق ،ص37.

– دور التجارة:

كان يرافق القوافل التجارية التي كانت تجوب الصحراء الإفريقية وتربط بين شمال إفريقيا ومناطقها الأخرى، وبحكم معاملات المسلمين التجارية وممارسة عباداتهم اليومية من صلاة وصيام وقيام أثناء مكوثهم بهاته البلدان، مما جعل السكان المحليين يتهافتون أفرادا وجماعات من أجل معرفة هذا الدين واعتناقهم له بل وأحيانا وصل الأمر إلى ملوك وقادة أفارقة مما سهل مهمة انتشار الدين الإسلامي بين عامة الناس كما صاحب انتشار هذا الدين ظهور مراكز علمية لمعرفة الإسلام وتعاليمه وتلقين مبادئه لمختلف شرائح المجتمع على غرار مدن كانو، كاتسينا وزاريا حيث شهدت هاته المدن زيارة العديد من العلماء أمثال الشيخ مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي ،الذي كان يسعى دائما لمحاربة البدع وتطهير الدين الإسلامي من الشوائب الوثنية التي لحقت به[1]. وبحكم الاحتكاك القائم بين منطقة بلاد المغرب والسودان الغربي فقد كان من الطبيعي أن ينتشر المذهب المالكي بينهم في إطار معاملاتهم الدينية (الفقهية) والدنيوية وكان القاضي يتم تعيينه من الحاكم ويشترط فيه التفقه في الدين والمعرفة بأموره، ثم تحول فيما بعد منصب قاضي يخضع إلى التوارث حتى ولو لم يكن عالما بذلك[2] .

كما استطاع التجار الوافدون من تمبكتو أن يستقروا بكل من "كانو" و"كاتسينا" إثر ازدهارالتجارة الهوسوية محاولين بذلك نشر المذهب المالكي وهو ما أعطى دفعا قويا لانتشار الإسلام بالمنطقة واستقراره[3] .

على أن مملكة "كانو"تعتبر من أسبق ممالك الهوسا[4]دخولا للإسلام ،وذلك منذ القرن8 هـ، 12 م من خلال تلك الروابط الحضارية التي كانت تجمعها مع مملكة مالي لتصبح مركز إشعاع حضاري كبير قبل أن تنافسها مملكة برنوبينما مملكة زاريا (زكزك) لم يصلها الإسلام إلا بعد حركة الشيخ عثمان بن فودي في عهد أميرها "جاتاو" (1776م-1806م) في وقت كانت مملكة كاتسينا

---

[1] مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد السكاكر: دعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن فودي، مرجع سابق، ص66.

[2] عبد القادر زبادية:مملكة سنغاي في عهد الأسقيين: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص76.

[3] أحمد مُحَمَّد كاني: ضياء السياسات وفتاوى النوازل، دار الزهراء للأعلام العربي، ط1، 1988، ص14.

[4] ممالك الهوسا هي سبع أصلية يطلق عليها (هوساباكواي) وهي غوبر،زكزك، دووا،كانو، كاتشنة(كاتسينا)، جازان جايا(بيرام)، وأنواعها ، كما يوجد سبع ممالك فرعية يطلق عليها (بانزا باكواي) وهي زنفرا، كب، ياور، نفي، يرب،برغ، غرم ، ينظر حسن عيسى عبد الظاهر: الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفولاني مطلع ق12هـ 19م، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الرياض، 1981 ص133.

التي كانت تعتبر بمثابة معبر للقوافل التجارية القادمة من تمبكتو نحو برنو، وهو ما جعلها تأخذ شهرة كبيرة في مجال التجارة وتتحول إلى مركز ثقافي إسلامي خاصة في عهد أميرها "مُحَمَّد كوراو" .

وما يمكن الإشارةّ إليه هنا هو أن هاته الممالك كانت تعيش صراعات سياسية فيما بينها حول مناطق النفوذ، مما جعل استحالة اتحادها تحت راية واحدة بالرغم من انتشار الإسلام وتوغله في أجزاء كبيرة من أقاليمها[1]واستمر الصراع طويلا بين هاته الممالك الإسلامية مما جعلها هدفا للتدخلات الخارجية .

– دور الطرق الصوفية

كانت الطرق الصوفية إحدى أهم العوامل التي تلاءمت مع أفكارالفرد الإفريقي تحت ظل الاسلام، حيث لم تقم بإلغاء معتقداته الوثنية السابقة بشكل كلي ومباشر، وانما عن طريق التدرج فمثلا أحيانا كان يحضر حلقات الذكر الصوفية بعض العصاة المخمورين حتى يتم استمالتهم للدين الاسلامي[2]،كما إنهم كانوا يصفون أشياء وجدانية وخر وقات لامادية محسوسة داعين بذلك الى الزهد والتقرب الى الله بالصلاة والصيام والدعاء والتقرب الى الله بأعمال الخير كما أن اتصاف شيوخ الطرق الصوفية بخصال حميدة كالتواضع والتقوى والصلاح وهو ما جعل الأفارقة يحتكون بهم ويحاولون تقليدهم ثم أصبحوا دعاة مثلهم، ناهيك عن استعمال بعض الطقوس الصوفية التي كانت شبيهة بثقافة الأفارقة كاستعمال الطبول والدف في مجالس الذكر[3].

جدير بالذكر أنه كان لكل طريقة صوفية شيخ وأتباعه ومريديه الذين يظهرون له الولاء التام والامتثال لأوامره والمساهمة بشكل مادي في تقديم ما جادت به أيديهم ووصلوا أحيانا الى بناء المساجد والمدارس وكانوا يسعون دوما لتحقيق التكافل الاجتماعي بين مختلف شرائح المجتمع وأحيانا يقومون بجع الأموال من أجل تحرير العبيد مقابل دخولهم الى الاسلام.[4]

وانتشرت في منطقة السودان الأوسط طرق صوفية عديدة،كالشاذلية و التيجانية والقادرية حيث ان هاته الأخيرة كانت منتشرة بشكل كبير في منطقة شمال افريقيا، نظرا لكون نواتها الاولى ظهرت على يد ابي مدين الغوث، الذي قابل الشيخ عبدا لقادر الجيلاني في مكة أثناء تأدية فريضة

[1]عبد الرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا، مرجع سابق ص84.

[2]ابن خلدون عبد الرحمن: المقدمة ،مصدر سابق ،ص298.

[3]مطير سعد غيث :التأثير العربي الإسلامي في السودان الغربي ،مرجع سابق،ص179.

[4]حسن ابراهيم حسن: انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، ط2، مكتبة النهضة العربية، القاهرة،1948، ص42.

الحج، ثم وضع نواة هاته الطريقة في مدينة فاس، وانتشرت بشكل كبير في مراكش، ومنها انتشرت الى باقي المناطق مرورا بمنطقة توات وولاته ثم تنمبكتو وغاو وباقي الحواضر الإفريقية، بفصل النشاط الدائم لقبائل كنته ومنهم الشيخ أحمد الكنتي الكبير والشيخ المختار الكنتي الكبير بالإضافة الى الشيخ مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي، وغيرهم حيث كان لهؤلاء دورا كبيرا وفعالا في انتشار الطريقة الصوفية القادرية ومن ورائها الاسلام[1].

وعليه فقد اكتسب نشاط دعاة الطريقة القادرية طابع السلمية من خلال اعتماده على النصح والإرشاد، وهو ما ساعد على زوال العديد من المعتقدات الفاسدة التي كانت متفشية داخل المجتمعات الإفريقية وجعل الناس يدخلون أفواجا الى الدين الإسلامي.

2) الأوضاع الإجتماعية والاقتصادية

أما من الناحية الاجتماعية لمنطقة السودان نجد أن تركيبة المجتمع، كانت عبارة عن أجناس بشرية متعددة القبائل والأصول مما يجعلها تختلف في العادات والتقاليد والثقافات المتوارثة عن الأجداد، فالمجتمع الهوساوي مثلا: كان يتشكل من الحضر الذين امتازت سكناتهم بالحصانة والحماية المنيعة خوفا من الغزاة، أما البدو فكانوا يعيشون حياة التنقل والترحل بحثا عن الكلأ وهم بذلك يشكلون فئة قليلة من المجتمع[2].

والمجتمع الحضري كان يخضع في سلطته إلى كبير السن في القرية وكانت كل قبيلة ترى غيرها من القبائل عبيدا لهم، مما يجعلها في حالة تأهب دائم للإغارة عليها وسلبها مما يؤدي إلى انتشار ظاهرة الاسترقاق، بينما علاقة الرعية بالحاكم فكانت أحيانا يسودها نوعا من الظلم والكراهية بسبب الضرائب المجحفة في حقهم الأمر الذي خلق فجوة بين الحاكم والمحكوم[3].

أما الصنف الثاني من سكان السودان هم البدو، الذين كانوا فئة قليلة من السكان الذين يمتهنون حرفة الرعي وغالبيتهم من الفولانيين حيث اختلفت عاداتهم وتقاليدهم من قبيلة إلى أخرى وتشبثوا بها

[1] عزيز بطران :الشيخ المختار الكنتي الكبير ودوره في نشر الاسلام والطريقة القادرية في الصحراء وغرب افريقيا ،مجلة البحوث التاريخية،عدد2،مركز دراسات جهاد الليبين ضد الغزو الإيطالي ،طرابلس،1981،ص314.

[2] حسن ابراهيم حسن: انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، مرجع سابق، ص16.

[3] مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد السكاكر: دعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن فودي ، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1998،ص56.

حتى بعد دخولهم الإسلام، كما غلب على طابعهم الشجاعة والاندفاع نحو الحرية وهي صفات اكتسبوها من طبيعة البداوة[1] .

كما أنهم لم يسلموا بدورهم من ضريبة الرعي، التي كانت تسلط عليهم من طرف الحكام، وكانوا يلجئون غالبا إلى سكان الحضر من أجل التزود بالمواد الفلاحية، التي تتميز بها المنطقة كالذرة، الأرز والمانجو وغيرها من المنتجات الزراعية باعتبارها النشاط الأول لمعظم سكان الحضر ويستخدمون أدوات مصنوعة محليا بالإضافة إلى استعمال أسمدة الحيوانات وبقايا النبات بعد حرقها[2] .

ومع تزايد النشاط الزراعي بالسودان الغربي تضاعفت بذلك المبادلات التجارية بعد ان كانت تمارس على المستوى المحلي، لتشمل أبعاد مختلفة وتتوسع خارج ممالك الهوسا السبعة إلى ما جاورها من الأمم والشعوب الإفريقية مما يساهم في انتشار لغة الهوسا ومن أبرز أصناف التجارة إقبالا نجد تجارة الرقيق التي أصبحت رائجة بعد دخول الأوروبيون المنطقة لكونها كانت تدر أمولا طائلة للقبائل الإفريقية والدول الأوروبية على حد سواء كما أن تجارة المقايضة ازدهرت مع منطقة شمال إفريقيا حيث كانت تتم مقايضة الذهب بالملح وبعض المنتجات الصناعية مما أكسب المنطقة أهمية كبيرة عن باقي مناطق افريقية[3].

وبالتالي يمكن أن نستنتج مما سبق بأن الأوضاع العامة بمنطقة السودان قبل قيام حركة عثمان بن فودي الإصلاحية تميزت بانتشار الإسلام بصفة كبيرة لكنه لم يكن يخلوا من الشوائب والخرافات الوثنية الدخيلة على الإسلام كتقديس بعض الأماكن والاستعانة بالسحرة والمشعوذين والحلف بغير الله وشرب الخمور والقمار وجلسات اللهو والاختلاط بين الجنسين وما يصطحبها من موبقات شتى[4].

كل هاته البدع والخرافات كانت منتشرة بين المجتمعات الإسلامية في غرب إفريقيا، مما جعل الشيخ عثمان بن فودي ومن جاء بعده من المصلحين يسعون جاهدين لتغيير هاته الأفكار، ومحاولة تطبيق الإسلام الصحيح الخالي من الشوائب التي تعتبر دخيلة عنه.

ومما سبق ذكره نستنتج أن منطقة السودان قبل قيام حركة الشيخ عثمان بن فودي، كانت تعيش صراع دائم فيما بينها مما يجعلها في تجزئة سياسية دائمة، بالرغم من وجود عامل الدين كأساس لقيام

[1] شيخو أحمد سعيد بلادنت: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجريا ، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ، ص42.

[2] دنيس بولم: الحضارات الإفريقية، ترجمة علي شاهين، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1974،ص 195.

[3] زاهر رياض: الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، مرجع سابق، ص 288.

[4] عثمان بن فودي: إحياء السنة وإخماد البدعة، ط2، المكتبة الإفريقية للطبع والنشر، القاهرة، ب ت، ص 102.

وحدة سياسية متجانسة تحت راية واحدة، الأمر الذي أثر سلبا على الحياة الاجتماعية والاقتصادية بالمنطقة.

04) مراحل دعوة عثمان بن فودي الإصلاحية

لنجاح إي دعوة اصلاحيه وضمان شموليتها وتحقيق أهدافها، لابد لها من تخطيط ودراسة معمقه في شتى المجالات، ومن مختلف الجوانب السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية والثقافية وهو ما سعى نحو تجسيده الشيخ عثمان بن فودي وأتباعه ثم الخلفاء الذين جاءوا بعده والمتتبع لحركه الشيخ عثمان بن فودي الإصلاحية يجد أنها مرت على ثلاثة مراحل متكاملة فيما بينها انطلاقا من مرحله التكوين ووضع النواة الاولى للإصلاح ثم مرحله تجسيد فكره الإصلاح وصولا الى مرحله تنظيمها كما يلي:

4.1مرحله التكوين من سنه 1774م الى 1803م الموافق ل 1177هـ 1218هـ

كانت هاته المرحلة بمثابة حجر الأساس للدعوة، ففي ظل تردي الأوضاع العامة في بلاد السودان الأوسط واختلاط الدين الاسلامي بالشوائب والمعتقدات والطقوس البدائية الإفريقية سعى الشيخ عثمان بن فودي جاهدا باستعمال مختلف الوسائل لإقامة الشريعة الاسلامية الصحيحة[1] فانطلق في بداية حياته التعليمية كمعلم يدرس القران وأحكام الدين، وداعيا في حلقات الوعظ والإرشاد قصد إتباع سيره السلف الصالح وكان ذلك في مسقط رأسه بقرية ديجل حيث ذاع صيته وبزغ نجمه بين مختلف القبائل التي كان يتنقل إليها ويحتك بشعوبها لمعرفه تفاصيل حياتهم، كما كان يجيد التحدث باللغة العربية و الهوساوية والفلانية[2] الأمر الذي جعل الطلبة والعلماء يقبلون عليه من كل صوب وحدب قصد التزود من علمه والاطلاع عن قرب لمشروعه الإصلاحي[3] حيث استطاع في فتره وجيزة ان يحرر أفكار شعوبه من الظلم والتبعية للحكام المستبدين المتخاصمين على السيادة في ظل سيادة السلطة القبلية المبنية على منطق القوة، حيث ان الشيخ عثمان بن فودي في بداية دعوته كان يتحاشى دعوة الملوك والسلاطين قصد تفادي التصادم والاحتكاك معهم، مركزا بذلك جهوده الإصلاحية على العامة قصد تنويرهم ومحاربه البدع والأخلاق الفاسدة[4] واستأنف نشاطه الدعوي الذي كان نابع عن قناعته وحبه وإخلاصه لرفع راية الاسلام وهو ما يبرزه ابنه مُحَمَّد بيلو قائلا :"واعلم

[1] أحمد مُحَمَّد كاني :الجهاد الاسلامي في غرب افريقيا ،مرجع سابق،ص67.

[2] عبد الرحمن عمر الماحي : الدعوة الاسلامية في إفريقيا الواقع والمستقبل،المرجع السابق،ص129.

[3] فيصل مُحَمَّد موسي: موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ،بنغازي منشورات الجامعة المفتوحة،1997،ص101.

[4] أحمد بوعتروس :الحركات الإصلاحية في افريقيا جنوب الصحراء ،مرجع سابق ،ص136.

ان هذا الشيخ بشر به أولياء الله قبل ظهوره فمن ذلك ما تقدم عن الشيخ والد عمر والشيخ طاهر ومن ذلك ما روى التقات عن أم هاني الصالحة الولية الفلانية أنها قالت يظهر في هذا القطر السوداني ولي من أولياء الله يجدد الدين ويحيي السنة ويقيم الملة ويتبعه الموفقون ويشتهر في الآفاق ذكره ويقتدي العام والخاص بأمره ويشتهر المنتسبون إليه بالجماعة ومن علامتهم أنهم يعتنون برعي البقر مثل عاده الفلانيين ..." ثم يضيف قائلا: عن والده وما حصل له من جهد و تصوف "... واخبرني انه حين حصل له الجذب الإلهي ببركه الصلاة على النبي ﷺ إذ كان يواظب عليها من غير ملل ولا كلل ولا فتورأمده الله بفيض من الانوار بواسطة الشيخ عبد القادر الجيلاني وجده الرسول ﷺ فشاهد من عجائب الملكوت وحصل على غرائب الجبروت وشاهد أسرار الافعال والأسماء والصفات والذاة ووقف على اللوح المحفوظ وكساه الحق تعالى حلت الدعوة إليه وتوجه بتاج الهداية والإرشاد إليه فجعل يدعو الى الله ويدل عليه ..."[1].

وكان مركز الدعوة في بداية عهدها هو قرية أرطغل، حيث اشتهر منذ صباه فيها بالأخلاق الحسنة والطيبة مع أهلها الأمر الذي جعلهم يلتفون حوله ويساعدونه خاصة تلامذته المقربون وأهل عشيرته،[2] وهو ما يؤكده أخوه عبد الله بن فودي قائلا: "... ثم قمنا مع الشيخ نعينه على تبليغ الدين يسير لذلك شرقا وغربا يدعو الناس الى دين الله بوعظه وقصائد عجمية ويهدم العوائد المخالفة لشرع في إتيان بعض الناس من الآفاق ويدخلون في جماعته ونحن في بلده ..."[3] .

ليصبح بذلك الشيخ عثمان بن فودي قائدا وإماما لجماعته الذين وجدوا فيه صفات القائد المخلص الذي طالما انتظروه وبحثوا عنه ليصبحوا عدته وعتاده ضد قوى الطغيان ومجدد دينهم الاسلامي الصحيح .

وفي سنة1775م انطلق الشيخ بدعوته الارشاديه للناس الذين كانوا بحاجة ملحه الى الدخول في الاسلام الصحيح، مذكرا إياهم بأن الإسلام الذي يعتنقونه مختلط بكثير من المعتقدات الجاهلية، وقد ركز في نشاطه الإصلاحي على عنصر المرأة المسلمة الصالحة باعتبارها احد ركائز المجتمع ومدى تأثيرها على تربيه أبنائها[4] بشكل صحيح مستعملا في ذلك أسلوب إصلاحي حي مستمدا

[1] مُحَمَّد بيللو :إنفاق الميسور في بلاد التكرور ،مصدر سابق،ص81.

[2] يحي بوعزيز :تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع ق16الى مطلع ق 20 ،مرجع سابق،ص 119.

[3] أحمد مُحَمَّد كاني :الجهاد الاسلامي في غرب افريقيا ،مرجع سابق،ص67.

[4] حمد فاضل علي باري و سعيد ابراهيم كريدية: المسلمون في غرب إفريقيا ،تاريخ وحضارة ، دار الكتب العلمية،بيروت،2007،ص190.

من الشريعة الاسلامية ثم الشعر والموشحات مركزا بذلك على إتباع السنة والسلف الصالح باستخدام أسلوب الحكمة والموعظة من أجل محاربة البدع والمحرمات بمختلف أشكالها مثل شرب الخمر وتعظيم اضرحة الأولياء والصلاة على روح الميت[1] ومن بين تلك العادات السيئة أيضا نجد تخصيص بعض الملوك أماكن خاصة لتقديم الأضاحي والقربان للصخور الكبيرة أو البحر والغابة وكانت غالبا ما تكون تلك القربان عبارة عن بشر حتى يتفادوا شح العيش وجلب الرزق ودفع الضرر عنهم .[2]

وكان الناس يجتمعون حوله فيشرح لهم أمور الدين الاسلامي الصحيحة والمبادئ الاساسيه، كالطهارة وكيفيتها والصلاة والزكاة والحج طبعا هذا بالنسبة للعامة أما الطلبة الصفوة فكان يعلمهم العلوم الشرعية المتخصصة مثلما كان بعض طلبته وأتباعه يساعدونه في أمور الدعوة مثل أخاه عبد الله الذي لازمه قرابة 50 سنة ولم تقتصر تلك الحلقات على أمور الدين فحسب بل تعداه الى أمور الدنيا كالعلاقات الزوجية وعروض التجارة وعلاقة الحاكم بالمحكوم[3] .

وقد كان الشيخ عثمان بن فودي يتبع في طريقته الدعوية أسلوب الشيخ مُحَّد بن عبد الكريم المغيلي، نظرا لتأثره الشديد بكتبه وبأسلوبه الدعوي بالرغم من عدم معاصرته له حيث كان يدرس كتبه وكأنه يجالسه مشافهة التلميذ لشيخه وهو ما نستنتجه من كتابه المعنون "**بحصن الإفهام عن جيوش الأوهام**" الذي استدل فيه كثيرا بفتاوى الشيخ المغيلي[4].

وبفضل اختلاطه بمختلف شرائح المجتمع واحتكاكه المباشر معهم، استطاع ان يتعرف على خباياه الدقيقة منها الظاهرة والخفية عند البعض وبالتالي تشخيص الدواء المناسب لكل داء ومن ذلك نجد تقسيمه للمجتمع عقائديا الى ثلاثة فئات هي:

1/ **المسلمون الحقيقيون**:هم الذين يطبقون الشرائع الدينية كما أنزلت بإتباع أوامر الدين واجتناب النواهي .

[1]حسن ابراهيم حسن :انتشار الاسلام في الفارة الإفريقية ،مرجع سابق،ص ص120,119.

[2]بوبكي سكينة : الحركة العلمية بالهوسا في السودان الغربي خلال ق19م ،رسالة ماجستير ،إشراف عبد المجيد نعيمة ،جامعة وهران ،سنة 2010/2009،ص 86.

[3]أسامة عبد الله مُحَّد الأمين :حركة الشيخ عثمان بن فودي الإصلاحية في غرب أفريقيا 1754-1817م،مجلة كان التاريخية،العدد26،ديسمبر 2014،ص12.

[4]فايزي عبد الكريم : الأعمال الإصلاحية للإمام المغيلي بالسودان الغربي وتأثيرها ،مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، مركز جيل البحث العلمي ،الجزائر ،العدد 25،نوفمبر 2016،ص 11.

2/المخلطون بين الدين الاسلامي وبعض المعتقدات الافريقيه البدائية التي تخرج عن ملة الاسلام مثل السحر والشعوذة والتنجيم وتقديس بعض الظواهر الطبيعية مثل تقديم القربان للأشجار والصخور.[1]

3/ الكفار: الذين ارتدوا عن الاسلام وابتعدوا عن تعاليمه و هاته كانت غالبيتها من الملوك وحاشيتهم وعلمائهم وهؤلاء كان الشيخ جبريل قد وصفهم في قصيدة[2] له.

وبالتالي يمكن إعداد الطريق والأسلوب المناسب لكل فئة من هذه الفئات وبفضل أسلوبه الدعوي وبساطته استطاع في فتره وجيزة ان يلتف حوله العديد من الأفراد ويتبنوا مشروعه الدعوي الإصلاحي ويكون بذلك جماعته وسنده نحو الجهاد، حيث قسمهم الى صنفين احدهما أطلق عليه الجماعة الملازمة للشيخ وهي التي كانت تقوم بدور التوعية للناس ونشر أفكاره بالاضافه الى نسخ الكتب وإرشاد الناس الى الاسلام الصحيح .

بينما الصنف الثاني وهم الذين تأثروا بدعوة الشيخ بطريقه غير مباشره وكانوا على اطلاع دائم بحركته رغم بعدهم وانتشارهم في مختلف المناطق السودانية وكانوا غالبيتهم من صلبه ومريديه[3].

وهكذا بدأ أتباعه وأنصاره يتزايدون بشكل كبير ويتسارعون في تبني مشروع دعوته الاصلاحية، الأمر الذي أصبح يشكل خطر على حكام إمارة جوبير مما جعلهم يسعون بكل الوسائل لإيقاف دعوته ومحاولة إغرائه بالهدايا والعطايا في كل المناسبات مقابل التخلي عن الدعوة، في حين أن الشيخ عثمان بن فودي كان يرفضها مرارا ويقابلها في ذلك بالدعوة الى الله والابتعاد عن الشرك وترك

---

[1] مُحَمَّد أحمد الحاج :الشيخ عثمان بن فودي والحضارة الإسلامية في الإقليم الشمالي لجمهورية نيجيريا الاتحادية ،ندوة العلماء الأفارقة ،ص339.

[2] بعض أبيات القصيدة المأخوذة من كتاب مُحَمَّد بيللو:إنفاق الميسور في بلاد التكرور ،ص 75.

وبعد فاعلم أن ذا تبصرة للناس في السودان بل تذكرة

فلا ترى منهم سوى من يدعي إسلامه بفيه الموسع

مستترا بالصوم والصلاة عن قدحه بأقبح الأنعات

فهو حقا كافرا صريح لأنه محرم مبيح

[3] أحمد مُحَمَّد كاني : الجهاد الاسلامي في غرب إفريقيا ، مرجع سابق ،ص 75.

المعاصي على ان هذه الدعوة الاصلاحيه لم تكن مقبولة من طرف الجميع، حيث تلقت في بدايتها معارضه من طرف الخصوم خاصة العلماء الذين كانوا يحيطون بالسلطة السياسية[1].

وبالتالي كان من بين أهداف حركه الشيخ أيضا فضح علماء البلاط الذين كانوا يتمادون في أفكارهم وأرائهم نحو تشجيع الحكام على البطش والاستبداد السلطوي على الرعية،كما دامت هذه المرحلة قرابة 30 سنة دون مواجهه أو احتكاك بالحكام بصفه مباشره ، لان هذه المرحلة تتطلب شرح أهداف الحركة وتكوين إطاراتها وإعدادهم لمرحله الجهاد الحقيقي من خلال تحويل فكره الإصلاح الى الجهاد من اجل إقامة الشريعة الاسلامية، هذه الفكرة ألزمته على طلب المساعدة خارج الديار من خلال إرسال البعثات سنه 1786م لطلب الدعم من إمارة زنفره وسكانها الفلانيين باعتبارهم من قومه وعشيرته[2] .

ومع تزايد نشاط الشيخ عثمان بن فودي وأتباعه الدعاء الدعويين جعل مريديه يتضاعفون بشكل كبير الأمر الذي أصبح يشكل خطر على الأمير"باوا" حاكم مملكة جوبير وأصبح يهدد ملكه فحاول التودد مرغما للشيخ عثمان ابن فودي مخافة إزالته من الحكم وذلك بالهبات والهدايا التي كان يرفضها دائما مثلما حاول إسكاته بعدة إغراءات على غرار دعوته الى قصره سنه 1788م/ 1253هـ بمناسبة عيد الأضحى مع مجموعه من العلماء وقدم لهم هدايا متمثله في 500 مثقال ذهب التي قبلها بعض العلماء الذين كانوا في منافسه شديدة لكسب عطف السلطان في حين ان الشيخ عثمان بن فودي رفضها وطلب في مقابل ذلك خمسه مطالب لحماية دعوته وأنصاره[3] تمثلت في ما يلي:

– ان يسمح للشيخ عثمان بن فودي وأتباعه حرية التنقل التامة في مختلف الأقاليم قصد نشر الدعوة الاسلامية الصحيحه.

– عدم الاعتراض على أي شخص يريد الدخول تحت لواء حركة عثمان بن فودي الاصلاحيه وتبني مشروعه.

– على السلطة السياسية احترام كل عالم إسلامي أو إي شخص يرتدي العمامة واللباس الاسلامي .

---

[1] عبد الله بن فودي : ضياء السياسات وفتاوى النوازل مما هو من فروع الدين من المسائل ،تح وتقديم أكمد محمد كاني ،مركز الزهراء للإعلام العربي ، 1988،ص08 .

[2] إلهام محمد علي ذهني : جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الإستعمار الفرنسي ،مرجع سابق ،ص42.

[3] يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الاسلامية ،مرجع سابق ،ص120.

– إصدار عفو شامل للمعتقلين السياسيين وإطلاق سراحهم من السجون .

– عدم فرض ضرائب باهظة على السكان التي أثقلت كاهل الطبقة الضعيفة من المجتمع خاصة[1] .

وما يلاحظ أن هذه المطالب كلها تصب في إطار الحركة الاصلاحيه التي دعا إليها عثمان بن فودي ولكن رغم ذلك فقد استجاب لها الملك "باوا" حاكم اقليم جوبير مكرها نظرا لعدم التكافؤ العدة والعتاد وقد اعتبر تحقيق تلك المطالب أول انتصار سياسي للحركة[2] كما يعتبر هذا الانجاز بمثابة اللبنة الاولى والانطلاقة الفعلية لحركه الإصلاح .

واحتفل جميع أنصار حركة الشيخ بمختلف طوائفهم بهذه الانجازات التي تم تحقيقها، كما أن هذه الانجازات أوضحت للعام والخاص بأن الهدف الصحيح من هذه الحركة الاصلاحيه هو تطبيق الشريعة الاسلامية الصحيحة، وبالتالي تفنيد ما كان يروج من طرف أعدائها هو تحقيق مكاسب سياسيه تحت غطاء الدين[3] .

وبحلول سنه 1794م 1157هـ توفى الحاكم "باوا" وتولى زمام الحكم ابنه "نافاتا"، حيث توجه له الشيخ عثمان بن فودي برسالة الدعوة الى الدين الاسلامي الصحيح وضرورة تحقيق العدل والمساواة بين الرعية، كما طلب من الحاكم "نافاتا"أن يقوم بمساعدته في تحقيق ذلك[4]، فأبدى"نافاتا"موافقته في بداية الأمر، ويظهر ذلك جليا من خلال تكليف الشيخ عثمان بن فودي بأمور الفتوى والاستشارة في أمور الرعية وقربه الى مجلسه خاصة وان شعبيته قد زادت بين الرعية ،إلا ان أعداء الشيخ من العلماء حالة دون تحقيق طموحاته من خلال الوشاية الكاذبة التي كانت تدعو الى أن أهداف الشيخ هي تحقيق مكاسب سياسيه باسم الدين الاسلامي[5].

وفي ظل الارتفاع الكبير لأتباع وأنصار الشيخ لدعوته الاصلاحيه بدأ الملك "نافاتا" يشعر بمدى الخطورة التي يشكلونها على حكمه واحتمالية إزاحته من السلطة فقرر ان يقاوم هاته الدعوة

---

[1] أحمد محمد كاني : حركة الجهاد الاسلامي في غرب إفريقيا ،مرجع سابق، ص75.

[2] عبد القادر زبادية : دراسات عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين ،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،2010، ص79.

[3] أسامة عبد الله محمد الأمين : حركة الشيخ عثمان بن فودي الإصلاحية 1854م/1817م ،مجلة كان التاريخية، العدد26،ديسمبر 2014،ص12.

[4] أسامة عبد الله محمد الأمين :حركة الشيخ عثمان بن فودي الإصلاحية في غرب إفريقيا ،مرجع سابق،ص 12 .

[5] آدم عبد الله الألوري: تاريخ الإسلام في نيجيريا،بيروت،1956م،ص36.

ويقضي عليها في مهدها من خلال مرسوم يحد من نشاط عثمان بن فودي وأتباعه حيث نص على ما يلي[1] :

1/ لا يحق لأي فرد ان يقوم باعتناق الاسلام والتقيد بأحكامه إلا من كان قد اعتنق الاسلام وراثة عن أبائه وأجداده .

2/ لا يحق لأي عالم إسلامي ان يقوم بمهمة الدعوة والإصلاح باستثناء الشيخ عثمان بن فودي الذي يسمح له بذلك .

3/ لا يمكن لأي فرد مسلم من افراد المجتمع ان يرتدي العمامة والزى الاسلامي بعد صدور هذا المرسوم .

4/ لا يجوز للنساء ارتداد ارتداء النقاب والخمار[2].

وبالتالي يلاحظ من خلال قراءة هذه القرارات ان هذا المرسوم كان يهدف لأجل عرقلة نشاط الشيخ عثمان في مجال الدعوة والتوعية وعدم السماح لإزدياد عدد أتباعه من خلال منع الناس وعدم السماح لهم من اعتناق الاسلام، وبالتالي الدخول في رحاب الدعوة وعدم المجاهرة بالمعاصي بواسطة رجوع الناس وخاصة النساء الى الاختلاط والتبرج وعدم ارتداء الزى الاسلامي المحتشم ،كما حسر نشاط الدعوة الاسلامية في شخصيه عثمان بن فودي وحده .

وبصدور هذه القرارات التي أدت الى استياء أنصار الشيخ عثمان وأتباعه مما شجعهم الى ضرورة حمل السلاح وإعلان الجهاد لكن الشيخ عارض ذلك وتفادى الصراع مع الطبقة الحاكمة في هاته المرحلة، كما قبل قرارات هذا المنشور مكره وترك الأمر بيد الله وعامة الشعب التي كانت تسعى لكسب ود الحاكم، هذا الأخير الذي حاول قتل الشيخ لكنه لم يفلح في ذلك مما جعل الشيخ عثمان يتوجه الى كل من إمارة"زنفرا" و "كبي" لمواصله دعوته التي أفلحت في استقطاب العديد من الأنصار وهو ما حرك نفوسهم للدخول الى الاسلام.[3]

وفي سنه 1802م توفي الملك "نافاتا" دون ان يحقق حلمه المتمثل في القضاء على دعوة الشيخ عثمان بن فودي فتولى مقاليد السلطة بعده ابنه "يونفا" الذي كان من احد تلاميذ الشيخ عثمان بن فودي مما جعله يقوم بوعد شيخه بنهاية الخصومة التي كانت سابقه مع والده، وبداية عهد جديد من

[1] يحي بوعزيز : تاريخ إفريقيا الغربية الاسلامية ، مرجع سابق، ص 121.

[2] مُحَمَّد أحمد الحاج :الشيخ عثمان بن فودي والحضارة العربية الإسلامية في الإقليم الشمالي لجمهورية نيجيريا ،ندوة العلماء الأفارقة ،مرجع سابق،ص 341.

[3] حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا ،مرجع سابق ،ص223.

خلال إلغاء جميع مراسيم والده المعارضة للدعوة الاسلامية لكنه لم يلبث ان بدا يتملص من وعوده ويقتفى آثار والده خاصة بعد تزايد أتباع ومريدي الحركة الاصلاحيه مما جعله يحاول بكل الطرق التخلص من الشيخ ودعوته[1] .

وبذلك تلاشى شعار الصلح الذي دعا إليه هذا الحاكم الذي أصبح يظهر عدائه علانية للإسلام والمسلمين، خاصة بعد الحملة التي شنها في شهر رمضان على إحدى جماعه الشيخ عثمان التي كان يقودها الشيخ عبد السلام الذي كان من ابرز المقربين له[2]،وكانت تلك الجماعة مرابطة بمنطقه "غامينا" حيث ألحق بأهلها شتى أنواع العذاب على يدي "يونفا" من تقتيل وتنكيل وسلب ونهب للأموال واستباحة أعراض النساء كما أمر جنوده بإحراق المصاحف والألواح الخشبية التي كانت تستعمل لحفظ القران، وقتل العديد من العلماء والفقهاء كل ذلك كان يهدف الى إجلائهم والقضاء على الحركة الدعوية وطالب "يونفا" شيخه عثمان بالرحيل من قرية"دغل" وذلك في نهاية سنه 1803م واشترط عليه الرحيل وحده دون جماعته لكن عثمان رفض ذلك وقرر مغادرة المنطقة مع أتباعه نحو منطقه "جودو"،[3] غير أن "يونفا" لم يهنأ له بال من هذا الرحيل فاصدر أوامر بتقتيل وتخريب ممتلكات المسلمين قصد إضعافهم وترهيبهم، فاصدر أوامر لحكام الإمارات بتقتيل وتخريب ممتلكات المسلمين وترهيب ما تبقى منهم قصد الرجوع الى المعتقدات الوثنية[4].

بعدما ضاقت السبل بالمسلمين من إتباع الشيخ ومحبيه من طرف الحكام الوطنيين خاصة "يونفا" أمير مملكه"غوبير" فأمر الشيخ عثمان أتباعه بالهجرة نحو منطقه "غودو" وكان قرار الهجرة يوم 21 فبراير1804م متيمنا بالصحابة والمهاجرين الذين هاجروا من مكة نحو يثرب، وبالتالي فقد تعهد أتباع عثمان بن فودي على الجهاد ومحاوله نشر الاسلام مثلما قاموا بمبايعته بلقب أمير المؤمنين حيث تدعي بالفلاني"ساكرن مسلماني" فأدرك حجم المسؤولية الملقاة عليه[5] خاصة بعد التفاف أتباعه ومريديه من مختلف مناطق السودان وشكل جيش قوي رفع راية الاسلام، لتتحول الحركة الاصلاحيه من منظورها الديني الروحي السلمي الى جانبها الميدان الجهاد في سبيل الله وقبل اتباع قرار الهجرة من

[1]أحمد بوعتروس :الحركة الإصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء، مرجع سابق، ص 150.

[2]عبد الله عبد الرزاق إبراهيم : حركة الشيخ عثمان بن فودي الاصلاحية في غرب إفريقيا وآثارها،حوليات كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ،مرجع سابق، ص150.

[3]قرية جودو تقع شمال غرب قرية دجل ب48كلم ورحلوا إليها يوم 21 فيفري 1804م ويسمي هذا اليوم حاليا مسلمو شمال نيجيريا بيوم الهجرة .

[4]مُحَمَّد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كردية :المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة ،مرجع سابق ،ص 191.

[5]Robert Cornevin : Histoire de la friqueprecolonile Op cite , p 247 .

منطقه الكفر الى دار الهجرة اصدر الشيخ وثيقة هامه عبارة عن رسالة الى أتباعه تحت عنوان أهل السودان، ومن شاء الله من الإخوان وهي من خلال عنوانها موجهة الى جميع سكان السودان وكانت عبارة عن ملخص لفترة 30 سنه من بداية مرحله الدعوة السلمية حيث جسدها في 27 بند مثلما حدد اسباب الجهاد ودوافعه المختلفة[1].

ومن ابرز ما ورد في تلك الوثيقة ما يلي:

"...فاعلموا يا إخواني إن الأمر بالمعروف واجب إجماعا وإن النهي عن المنكر واجب إجماعا وإن الهجرة من بلاد الكفار واجب إجماعا وان تأمير أمير المؤمنين واجب إجماعا وان طاعته وجميع نوابه واجبه إجماعا وان الجهاد واجب إجماعا وان تأمير الأمراء في البلدان واجب إجماعا وان تأمير القضاة واجب إجماعا وان تنفيذهم احكام الشرع واجب إجماعا وان حكم البلاد حكم السلطان إجماعا ان كان مسلما كان البلد إسلاميا وان كان كافرا كان البلد بلد كفر وجبت الهجرة منه...".[2]

2-4 مرحله الجهاد وتأسيس الخلافة من سنه 1804م الى 1809 م

استطاع عثمان بن فودي ان يجمع العديد من المسلمين وأتباعه المخلصين في منطقه غوغو ويصدر وثيقة أهل السودان التي كانت بمثابة بداية مرحلة جديدة من الدعوة الاصلاحيه فأرسل في طلب المساعدة من جميع أمراء بلاد الهوسا الاسلامية مثل كانوا وكاتسينا لإقامة جبهة واحده لمحاربه الوثنية ونشر الاسلام لكن دعوته لم تأخذ محل الجد وقوبلت بالرفض لاعتقادهم ان دعوة الشيخ إصلاحية اجتماعية لا تسمو الى مطالب سياسية، لكن مع تزايد إقبال المسلمين على الشيخ وأتباعه بدأت معالم الحركة تتجلى من حركة إصلاحية الى حركة ثورية ذات أبعاد سياسيه (الخلافة الاسلامية)[3]كما تمكن الشيخ عثمان بن فودي ان يجند الآلاف من أتباعه في سبيل ذلك، ويرجع الفضل الى قوة شخصيته والمكانة المرموقة التي احتلها داخل المجتمع، بالاضافه الى الثقة التامة التي وضعها أتباعه ومريديه في دعوته.

كان الملك يونفا حاكم مملكة جوبير من اشد المعارضين لدعوة الشيخ عثمان وحركته الاصلاحية، حيث سعى بكل الوسائل للقضاء عليها، متزعما بذلك جبهة المعارضة، في مقابل ذلك عقد الشيخ عثمان الالويه معلنا بداية الحرب والجهاد ضد الكفار وذلك في جوان 1840م حيث

[1] عبد الله عبد الرزاق إبراهيم : حركة الشيخ عثمان بن فودي الإصلاحية في غرب إفريقيا وآثارها،مرجع سابق، ص 139.

[2] يحي بوعزيز : تاريخ إفريقيا الغربية الاسلامية ، مرجع سابق، ص 122.

[3] مُحَمَّد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كردية :المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة ،مرجع سابق ،ص192.

تقدمت قوات المسلمين بقياده أخ عثمان المدعو عبد الله بن فودي لمواجهه الملك يونفا وأتباعه، وكان عبد الله قد غادر منطقه غودو متوجها الى شمال مدينه دغري ويستقر قرب بحيرة تابكين كوتو حيث جرت معارك طاحنه على ضفافها استطاع عبد الله بن فودي ان يلحق يوم 4 جوان سنه 1804 م هزائم كبيرة ضد يونفا والقبائل المساندة لهم، ليفر العديد من أنصاره وتكون بذلك أولى انتصارات أتباع عثمان بن فودي، مما جعلهم يكسبون ثقة كبيره ودعم مطلق لهاته الحركة أمام الوثنيين فقد كان وقع هاته الهزائم كبيرا على نفسيتهم وأحدثت هلعا من المسلمين وقوتهم أما المسلمين فزادتهم قوة وعزيمة وإرادة في سبيل نشر راية الاسلام أو الشهادة .

ويمكن للباحث ان يستنتج بعض مجريات تلك المعركة السابقة من خلال تلك الابيات التي نظمها عبد الله بن فودي قائلا[1] :

بدأت باسم الله والشكر يتبع *** على قمع كفار علينا تجمعوا
ليستأصل الاسلام والمسلمين من *** بلادهم في الفضل أوسع
توارك مع غوبر ونيف سفهيهم *** يخزيهم والله يرى ويسمع
فقلت وفادي مثل أمر محقق *** لدي سينفي بي ينفى بالذل ويسمع
فقد تم وعد الله في نصر دينه *** ولم يبقى إلا شكره والتضرع

حيث يظهر لنا من خلال هذه الابيات بعض الملامح التي سادت المعركة والأطراف التي شاركت فيها من مختلف القبائل بل وصف صاحب هذه الابيات الذي كان قائدا للمعركة، طريقة القتال والصراع بين الطرفين وعمليه التراشق بالسهام الى حد تشبيهه للنصر في المعركة بغزوة بدر حينما أيد الله المسلمين بجنود لم يرونها لكن نشوه النصر لم تدم طويلا حيث استطاعت القوات المعارضة للدعوة عثمان بن فودي ان تجمع شتاتها من جديد سنه 1805م وتقوم بالغزو على أنصار أتباع الشيخ وتقوم بهزيمتهم في معركة تسونسون حيث استشهد فيها أزيد من 1000 رجل من أنصار عثمان بن فودي وبالرغم من ذلك وصل الصمود والتحدي نحو مصر الدعوة.[2]

وبعد ما غزى الشيخ عثمان أمارة كبي سنه 1805م والسيطرة عليها ليجعلها عاصمة للجهاد نحو باقي الممالك الوثنية الاخرى، مدركا بذلك صعوبة الجهاد والأطراف المواجهة له فأرسل ابنه مُحَمَّد بيللو بمجموعه من الرسائل الى بعض الإمارات حتى يتحالف معه من اجل نصرة الاسلام، على غرار

[1] أدم عبد الله الألوري: تاريخ الإسلام في نيجيريا ،مرجع سابق ،ص 111.

[2] مُحَمَّد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كردية :المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة ،مرجع سابق ،ص193 .

مملكه كتسينا، دورا وزنفرا خاصة بعد سقوط مملكتي زاريه وكانو، فأعلنوا ولائهم ومساندتهم لحركه الشيخ في البداية لكنهم سرعان ما نقضوا العهود خوفا على عروشهم، مما جعلهم يدخلون في حروب مع الشيخ انتهت بانتصاره عليهم بداية من مملكه جاريه ثم مملكة كاتسينا سنه 1805 م أما مملكة كانو فاستسلمت دون مواجهه شديدة ويرجع الفضل في ذلك الى قوة أتباع الشيخ عثمان بن فودي وتشبعهم بروح الجهاد من اجل نيل الشهادة وإقامة الحق.

لم تكن دعوة الشيخ عثمان بن فودي مقتصرة على الممالك الوثنية وحدها فحسب بل سعى الى تجفيف منابع الدعم التي كانت سندا لهم في حروبهم وقيام شوكتهم ،والحديث هنا سوف يجرنا الى الصراع مع مملكه البورنو الاسلامية كإحدى أهم ممالك السودان الأوسط في تلك الفترة، حيث شهدت حالة من الضعف والهوان خاصة في فتره حكم احمد بن علي بن دونمتى بعدما أهمل الأهالي الزراعة وتوجه غالبيتهم الى النهب في ظل تفشي المجاعة فكانت نتيجة ذلك أن عجز السكان عن التصدي لهجمات قبائل البولالا[1] .

في خضم هاته الظروف التي كانت تعيشها مملكة بورنو أدرك الشيخ عثمان بن فودي ضرورة التصدي لهذا الخطر، وقام في سنة 1808م بتحرير الأقاليم المتاخمة لمملكة برنو وضمها الى صفوفه وبالتالي انعتاقها من قيود الجزية التي أنهكت السكان ولم يتوقف عند هذا فحسب بل هاجم مقر السلطة البرنويه نفسها التي عجزت وانهارت امام قوات الشيخ سنه 1808م، مما جعل الملك يفر هاربا باتجاه مملكة كانم طالبا الدعم من مُحَّد الأمين الكانمي قصد إنقاذ عرشه وأعادة مجده .

وفي نفس السنة اتجهت قوات الشيخ عثمان بن فودي نحو عاصمة مملكة غوبير وهي مدينة الكلوته واستولوا عليها، وتم قتل الملك يونفا مع مجموعه من أتباعه على يد مُحَّد بيللو مما أدى إلى قوامة جيشهم وشيوع مكانتهم بين مختلف الملوك والسلاطين الإفريقيه التي أصبحت تهابهم[2] منهية بذلك عهد الوثنية بالمنطقة.

أما باقي الممالك الاسلامية فقد أعلنت ولائها للشيخ عثمان بن فودي خاصة ممالك الهوسا التي دخلت تحت راية الجهاد باستثناء مملكة كانو التي سقطت سنه 1809م، كما مكث مُحَّد بيللو في مدينة سوكوتو التي أصبحت عاصمة للدولة بينما أباه الشيخ عثمان توجه نحو مدينه سيف سباق ليكون بذلك قد استولوا على أهم المراكز الاستراتيجة بالمنطقة.

[1] عبد الرحمن زكي : تاريخ الدول الإسلامية السودانية في إفريقيا الغربية ،ص 190 .

[2] إلهام مُحَّد علي ذهني : جهاد الممالك الاسلامية في غرب إفريقيا ،مرجع سابق، ص43 .

وبحلول سنه 1810م كان أنصار الشيخ عثمان بن فودي في أوج قوتهم مشكلين بذلك دوله قوية متخذة من مدينة سوكوتو عاصمة لها بعدما أصبحت كل ممالك الهوسة تحت لواءه وأعلن الشيخ لواء الجهاد على الشرك والوثنية التي كانت سائدة في عصره وحتى يتسنى لعثمان بن فودي ممارسه دوره الفكري والروحي اتجاه الدعوة التي تفرغ لها قام بتقسيم المملكة الى قسمين شرقي تحت حكم ابنه مُحَمَّد بيللو أما القسم الغربي فتركه لأخيه عبد الله بن فودي[1] .

على ان حدودها الجغرافية كانت تمتد من بحيرة التشاد غربا الى غاية حدود نهر النيل شرقا ومن منطقه الغابات الاستوائية الافريقيه جنوبا الى الصحراء الكبرى شمالا كما أنها لم تصل سيطرتها الى منطقه الغابات الكثيفة جنوبا حيث بقى سكانها بعيدا عن السيطرة وبقيه قبائل اليوربا تمارس استقلاليتها التامة وفي ظل هاته التوسعات والنجاحات التي حققها الشيخ عثمان بن فودي دخلت الدولة مرحله إعادة ترتيب بيتها الجديد انطلاقا من سنه 1808م بعد ما قام بتقسيم أمور الدولة بين ابنه وأخوه ليعتزل السياسة سنه 1810م، لوضع أسس ومرتكزات جديدة لتسيير شؤون الدولة الاسلامية مستنبطة أحكامها من الكتاب والسنة النبوية مركزا جهوده على توحيد الإمارات بلاد الهوسة وامتدت مرحله التوطين لدعائم الدولة الجديدة من سنه 1810م الى سنة 1817م، وشملت مختلف الميادين السياسية والإدارية والاجتماعية والاقتصادية لازالت نتائجها راسخة داخل المجتمع الى يومنا هذا .

[1] مُحَمَّد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كردية :المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة ،مرجع سابق ،ص194 .

الفصل الثاني : عبد الله بن فودي ودوره الإصلاحي

لم يكن الشيخ عثمان بن فودي يستطيع أن يقود حركته الإصلاحية وينجح فيها، لولا مساعدة مجموعة من الأشخاص والرجال الذين صدقوا وآمنوا بفكرة التجديد والإصلاح، ولعل أبرزهم أخاه الشيخ عبد الله بن فودي واحد من أبرز الجنود والتلاميذ والمستشارين الذين لازموا الشيخ عثمان بن فودي لأكثر من خمسين سنة، لذا كان لزاما علينا أن نفرد هذا الفصل للحديث عن مسيرته النضالية وأبرز منجزاته في هذا الفصل.

1: مسيرة عبد الله بن فودي

اختلف بعض المؤرخين حول سنة مولد عبد بن فودي لكنهم أجمعوا على أن ولادته كانت في عام 1180هـ/1866م في قرية تسمى طفل في حي (التوردب)[1] في منطقة تسمى(غوبر)[2] من عائلة عال، حيث تقع هاته المنطقة التي ولد فيها في الشمال الغربي من نيجيريا الحالية، حيث قامت إمبراطورية كانم (برنو) حيث يعتبر من بين المؤسسين للخلافة الفودية التي عاش فيها الشيخ عبد الله واتسعت لتغطي أغلب المناطق الحدودية،[3]حيث يقول الشيخ أبو بكر عمر قاضي قضاة نيجيريا الشمالية السابق في مقدمة كتابه ضياء التأويل للمؤلف الشيخ عبد الله "ولد سنة 1197هـ/1782م"[4] ومن المحقق أن عبد الله كان يصغر أخاه عثمان باثني عشر عاماً[5].

أما بالنسبة الى نسبه هو عبد الله بن مُحَمَّد بن عثمان بن صالح ، بن هارون بن مُحَمَّد عن غورط حيث يقول الشيخ عبد الله في معرض حديثه عن نفسه شعرا:

---

[1]– و تكتب (توربي) بالفلانية و (تورنكا) بالهوسا .و ينحدرون من اليهود و قيل هم من النصارى.

[2]–أحد ممالك ولايات مملكة الهوسا في بلاد النيجر انظر الخريطة الملحق.

[3]– أحمد سعيد عمر: عبد الله دان فودي رائد الأدب و العلوم في غرب إفريقيا،ب ط ،الخرطوم: جامعة إفريقيا العلمية، 2002، ص14.

[4]– هناك خلاف حول تاريخ مولده فنجد، د، مُحَمَّد مودي شوني يرجع القول الثاني 1766م ، نظراً لأن أخيه ولد سنة 1754 م وهو يكبره باثني عشر عام وهو القول الأرجح في أغلب المصادر و المراجع.

[5]– كاني، أحمد مُحَمَّد : ضياء السياسات و فتوى النوازل مما هو من فروع الدين من المسائل، ط الأولى، القاهرة : دار الأزهر للإعلام العربي، 1988م/ 1408هـ،ص 12.

فَقِيْرُ أَعْجَمِيُ عَجَمِيٌ حَيٌ أَبُوهُ وأمه مِنْ آَلِ عَالِ

فأما قولي أبوه و أمه من أل عال، فعال هذا من أجداده، و أسمه علي، لأن أمنا حواء هي بنت مُحَمَّد بن عثمان بن حم بن عال، وأم أبينا هي مريم بنت جبريل بن حام بن عال، أبوه هو مُحَمَّد بن عثمان بن هارون بن مُحَمَّد بن غورط، وهو أخو عال في ما نسمع، أبوهما مُحَمَّد جب بن مُحَمَّد بن تنب بن أيوب بن ماسران بن باب بن موسى بن جكل، و موسى هذا هو من جاء من بلد فوت تور في ما نسمع و الله أعلم.[1]

وهوبذلك ابن عثمان بن صالح بن هارون بن مُحَمَّد الملقب بغورط ...هذا ما أثبته ابن فودي وحده في إيداع النسوخ، لقد انحدر الفولانيون من منطقة فوتا على ضفاف نهر السنغال و استقروا بها بالقرب من مملكة غوبر شمال نيجيريا في القرن الخامس عشر[2].

حيث يرجع نسبه إلى قبيلة "التوردب" وهي فرع من فروع الفولان هاجرت إلى الغرب منذ وقت مبكر و استقرت في بلاد حمص ثم هاجرت إلى تنبكتو، وقد كانت أصول التوردب أول من اعتنق الإسلام في المنطقة نتيجة للجهود التي بذلها أبو بكر بن عمر اللمتوني الذي اتجه جنوب شرق و جنوب غرب الصحراء إلى بلاد السنغال،[3]فالفولانيون وفقا لهذا النسب الذي عول عليه الشيخ عبد الله كثيرا في كتابه و أكده الشيخ مُحَمَّد بيللو في إنفاق الميسور و غيره من المتأخرين علماء حركة الإصلاح ينتمون إلى أصل عربي يرجع إلى عقبة بن نافع الفهري و فقا لما ورد تقييده له في النص بأنه فاتح بلاد المغرب في زمن عمرو بن العاص[4].

إن انحدار الشيخ عبد الله من قبيلة توردب الفولانية هذه الأسرة التي اشتهرت بالعلم و المعرفة،حيث يذكر لنا في كتابه إيداع النسوخ بأنه أخذ القرآن عن والده الفقيه بن فودي كما أخذ

[1]– أحمد سعيد: مصدر سابق، ص: 08

[2]– أدم علي أبو البشر: الشيخ عبد الله بن فودي لمحات من آثاره العلمية، دراسات افريقية ، مجلة بحوث نصف سنوية ،جامعة افريقيا العالمية ، العدد الرابع و العشرون، ديسمبر 2000م، رمضان 1421هـ ، ص 173.

[3]–منيرة أبو منقة مُحَمَّد: الشيخ عبد الله بن فودي و وصفه لمعارك الجهاد في بلاد الهوسا، دراسات افريقية ، مجلة بحوث نصف سنوية، جامعة افريقيا العالمية، العدد الثامن و العشرون، 18 ديسمبر 2002 م، شوال 1423هـ، ص 243

[4]– الخذراوي عبد العاطي أبو العيد : الناسخ و المنسوخ عند عبد الله بن فودي من خلال تفسيره ضياء التأويل و معاني التنزيل، رسالة ماجستير، أش،عبد الرحيم مُحَمَّد، قسم الشريعة الإسلامية، دار العلوم، جامعة المنيا 2012/2010م،ص06.

العلوم عن أخيه و شقيقه عثمان بن مُحَمَّد و أمه حواء بنت مُحَمَّد بن عثمان... ومن هنا نجد أن البيئة التي تربى فيها الشيخ هي بيئة علمية.

لقد كان تأثيرالعائلة الفودية يظهر بشكل كبير على شخصية عبد الله بن فودي فكان للعائلة الفودية تأثيرا مباشرا ودورا هاما في تكوين الشيخ وتوجيه حياته، لأنه تلقى مبادئ العلوم الاسلامية على شيوخها [1]وكان عدد الذين تلقى عليهم العلم احدى عشرة شيخا من بينهم تسعة من اقربائه مباشرة مثل الأخ، الخال ،العم ،ابن الخال ، ابن العم.... فضلا عن والده [2].

ومن الصفات التي امتاز بها منذ الصغر هي قوة الذاكرة وسرعة الحفظ فاستطاع حفظ القران وهو ابن الثالثة عشرة عاما، ثم عهد به أبوه الى أخيه الشيخ عثمان بن فودي وهو ابن الخامسة والعشرين عاما فأحسن تأديبه وتربيته ومنذ ذلك الوقت لم يفارق الشيخ أخاه على ما يقارب خمسين سنةً، كان الساعد الأيمن له والصديق الوفي في الحل و الترحال من مكان لآخر طلبا للعلم أو لنشر الدعوة،[3] ليعترف الشيخ بفضائل عثمان التي سارت بها الركبان شرقا و غربا[4]، وكان مذهبه على غرار شيوخه مذهبا سنيا مالكيا غير أنه لم يكن متعصباً رافضا لغيره من الآراء[5].

و بالتالي نستنتج مما سبق أن نشأته كانت نشأة علمية خاصة جعلت منه أن عالما متفنناً في مختلف العلوم الشرعية و اللغوية و داعية إلى الله تعالى و مصلحاً و سيفاً قوياً على البدع و الخرافات المنتشرة في مجتمعه.

ليكون واحد من أبرز العلماء ذو النظارة الفهامة شيخ الشيوخ المصنف المفسر المحدث الرواي الحافظ المقرئ الجود النحوي اللغوي البياني المتفنن الآخذ من كل فن بأوفر نصيب الرائع من كل علم مراعاة الخطيب الشهير أخر سادات الأعلام و خاتمة الأنظار ذا التحقيقات الشهيرة البديعة و الأبحاث الأنيقة ، المتفق على علمه في فنون الشرع له القدم الراسخ و الرحب الواسع في كل مشكل،

[1]–أحمد مُحَمَّد كاني: مرجع سابق، ص 15

[2]–أحمد سعيد :مرجع سابق، ص60

[3]–كاني : نفسه ص 13

[4]–الخذراوي : مرجع سابق ، ص15

[5]– أحمد سعيد: نفسه، ص14

سيف الله على ذوي البدعة، منبع الصدق و العلم كان رواية في تحقيق العلوم.... ،فاضل وقته المحبوب في أوانه.[1]

ان عبد الله بن فودي كان محبا معترفا بالجميل لشيوخه الذين كان لهم الفضل عليه، معظم شيوخه وأسانيده في المشيخة الذين اغترف عنهم نصيبا من العلوم ذكرهم في كتاب (سماه إيداع النسوخ في ما أخذ عنه من الشيوخ) يحتوي على معظم العلماء الذين برزوا في مختلف فنون المعرفة، وهنا يحسن بنا أن نتركه عن ذلك:

"أما بعد فيقول الفقير إلى الله عبد الله بن مُحَمَّد قد سنح في خاطري أن أكتب الشيوخ الذين أخذت عنهم، و استفدت منهم إشهارا لهم و تعلماً عن جهلهم ، وإعلاما لمسندي في النقل ، ربما ذكرت في أنجز الكلام إليه من شيوخهم و غيرهم لفائدته و الله أسأل أن يسهل ذلك بمنه و كرمه و أولهم والدي الذي أخذت عنه القرآن هو مُحَمَّد بن مُحَمَّد و لقبه فودي ... "[2]

ثم يقول عن ذلك نظماً:

عَنْ نَظْمِ شُيُوْخِ صَاْحَ أَوَّلُهُمْ أَبِيْ مُعَلِمُنَاْ الْقُرْآنَ وَ هُوَ مُؤَدِّبِ.[3]

ومن بين شيوخه الذين أخذ العلم عنهم، أمير المؤمنين شقيقه عثمان المشهور في قبيلتنا بمحمد سعد بن الأدان بن ادريس بن اسحاق بن ماسران. و فضائله مشهورا سارت بها الركبان شرقا و غربا، وقد تركني أبي صغيراً بعد قراءة القرآن و أنا ابن ثلاثة عشر سنة فقرأت عليه الوتريات و العشرينيات[4] و الشعراء الست و أخذت منه علم التوحيد و كتاب السنوسية، وشروحها و أخذت منه علم التصوف الذي للتخلف و الذي للتحقق ما استغنيت به إن شاء الله من غيره...[5] ، كما أنه لم تقتصر دروس عبد الله مع أخيه في هذه العلوم فقط، بل تعدتها إلى علم الحساب الذي

[1]–عبد الله ابن فودي: ضياء التأويل في معاني التنزيل، ب– ط، ج الأول، القاهرة، مطبعة الاستقامة، 1961م– 1380هـ، ص 04.

[2]– على أدم ، مرجع سابق، ص 182.

[3]–أدم بيللو: عبد الله بن فودي و مؤلفاته في التفسير، مذكرة، الالولة، ص 11.

[4]–قصائد في مدح الرسول صل الله عليه و سلم على عدد حروف العجم من الألف إلي الياء كل قصيدة تحتوي على 20 بيت في صفة الرسول صل الله عليه و سلم و شمائله و سنته في الحياة.

[5]–أحمد مُحَمَّد كاني: مصدر سابق، ص 04.

استوعبه عن طريقة، و يقول عبد الله عن أخيه أنه "حصل لي بحمد الله التبصر في الدين و فيضان نوره... فما ألف كتاباً من أول تواليفه إلى الآن إلا كنت أول من نقل عنه."[1]

و عليه يبدوا لنا أن الشيخ عثمان قد لاحظ نبوغ أخيه المبكر خاصة في مجال اللغة العربية، أهم مقومات الثقافة الاسلامية، ولهذا أحسن توجيهه منذ البداية إلى دراسة الشعر العربي ، ثم دراسة العشرينيات و الوتريات و الشعراء الستة،[2]مما يدل على انفتاح ذهن الشيخ منذ زمن مبكر من حياته، مع اللغة العربية بالرغم من معيشته في بيئة عجمية في عمومها ، ويقول عن شيخه عثمان "صاحبته سفراً و حضراً ما فارقته منذ الصبا إلى أن حصل لي الآن قريب من خمسين سنة[3]" و يقول عن ذلك نظماً:

وَمَنْ بَعْدِهِ عُثْمَانَ ضُوْئِيْ وَ عُمَدِتِي سِرَاجِيْ فِيْ عِلْمِ الشَّرِيْعَةِ مَذْهَبِي

فَعَلَّمَنِي اَلْعَشْرِيْنِيَاْتِ وَ نَحْوِهَا وَلاَعْرَابَ وَالشُعُرَاءَ وَ تَعْلِيمَكَ اَلْصَّبِي

وَ فِيْ عِلْمِ تَوْحِيْدٍ وَعِلْمِ تَحْقِيْقِ سَاْقَنِيْ فَرَوَىْ اَلْحِسَابَ اَلْمُقَرَبِي

وَفِقْهٍ وَتَفْسِيْرٍ وَعِلْمِ اَلْحَدِيْثِ مَعْ تَوَاْلِيْفِ طَرًّا بِهَا نِلْتُ مَأْرَبِي.[4]

ويعتبر الشيخ عثمان بن فودي مربياً للشيخ عبد الله ، وكان معه في تعليمه مع شيوخه فقال في كتابه إيداع النسوخ أنه و أخوه قرأ مع أكثر من عشرين شيخا و نأتي على ذكرهم فمنهم:

الحاج مُحَّد بن رابح بن مؤدب بن حام بن عال و الشيخ مُحَّد بن مُحَّد و العالم عبد الله بن الحاج الحسن بن حام بن عال و الشيخ إبراهيم البرنوي و العالم مُحَّد موجي بن عبد الرحمان و العالم مجمد بن مُحَّد بن عبد الله بن أحمد بن حام بن عال و الشيخ إبراهيم المنداري و العالم الشهير مُحَّد الفربري بن مُحَّد بن حمل بن أحمد بن حام بن عال و الشيخ العالم أحمد بن أبي بكر بن عمر و العالم الرباني الشيخ أبو

[1]–أحمد مُحَّد كاني: مصدر سابق ، ص 13

[2]–هم الشعراء الست في الغالب أنهم من بين شعراء المعلقات، يرجع إلى أنها إشارة إلى كتاب الأعلام (الشنتمرى) المسمى بالشعراء الست.

[3]– أحمد سعيد: مصدر سابق، ص23

[4]– أدم بللو: مرجع سابق، ص11

عمر جبريل بن عمر و الإمام العالم مصطفي بن الحاج عثمان بن مُحَمَّد و العالم مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن الحاج عبد الرحمان بن غزي بم مُحَمَّد سنب الشيخ الأكبر مُحَمَّد العماري و الإمام الخطيب مُحَمَّد سنب بن عبد الرحمان و الشيخ المتفنن محمود الزنفري الطوي العالم عبد الرحمان بن مُحَمَّد و غيرهم من العلماء الراسخين في بلاد السودان[1].

كما نجد أن عبد الله بن فودي يتحدث عن شيوخه قائلاً: "الشيوخ الذين أخذت عنهم العلم لا أحصيهم الآن ولكن و هؤلاء مشاهيرهم"[2] فجمعهم الشيخ في قصيدته لكي يحفظهم ، وأنا هنا بنية أخذ بركاتهم بذكرهم، فبعد أبيه و أخي عثمان في الأبيات السابقة يأتي التفصيل في مشاهير شيوخه و العلوم التي أخذها عنهم فقال:

أَخَذْتُ مَقَامَاتَ اَلْحَرِيْرِيّ مِنْ أَخِيْ مُحَمَدٍ بُنُ اَلْخَالَةِ اَلْمُتَحَبِبِي

شُيُوْخِي بِعِلْمِ اَلْنَّحْوِ وَاَلْصَّرْفِ خَالُنَا وَذَاكَ عَبْدُ اَللهِ عَمِّيْ مِنْ أَبِي

وَمِنْ إِبْرَاهِيْمَ بَرْنُو وَمَنْدَرِوَسَمْبُو اَلْمَرْتِي الْذِي مِنْ أَقَارِبِي

وَمِنْ عَابِدِ اَلْرَّحْمَانِ نَجْلُ مُحَمّدِ مَسَائِلُ مَن نَحْو أَجَازَ بِمَطْلَبِي

وَكَمْ عَالِمٍ أَوْ طَالِبٍ قَدْ أَفَادَنِي عُلُوْمَا سِوَاهُمْ مَشْرِقِي وَ مَغْرِبِي.[3]

من خلال هاته الابيات السابقة يمكن ان نستنج أن معظم شيوخه هم من عائلته و أقربائه أخوه، أباه، عمه، ابن عمه...الخ، مما يدل على أنه نشأ في بيئة علم وه ما ساهم بشكل كبير في ميلاد علامة و فهامة في مختلف العلوم، ناهيك عن شيوخ في شرق البلاد و غربها الذين أخذ عنهم العلم، فصار الشيخ عبد الله ببركاتهم العالم العلامة النظارة الفهامة شيخ الشيوخ المنصف المفسر للحديث ...النحوي اللغوي البياني في كل العلوم المتصل بعلم اللغة ، كان المجتهد المطلق ففي سنة 1209هـ 1794م صنف منظومة تسمى

[1]–عبد الله بن فودي :(تعليق و مرجعة مُحَمَّد الشريف)، أخلاق المصطفى صلى الله عليه و سلم، ب. ط ، سنكوري، الموسوعة الإسلامية الإفريقية للدراسة العالمية ، 2009م- 1430هـ ،ص 05

[2]–أحمد مُحَمَّد كاني: مصدر سابق ص15.

[3]–أدم بيللو: مرجع سابق ص 12- 13..

مفتاح التفسير شرحاً على النقاية و الإتقان للسيوطي، وهو حين إذن في **دغل** مع الشيخ عثمان من بعد سنة صنف الشرح على الكتاب المسمى سلالة المفتاح في وجه الاختصار.[1]

ان الشيخ عبد الله بن فودي واحد من أبرز العلماء المجددين بغرب إفريقيا في عصره، ومن ابرز المجاهدين الذين قادوا حركة التجديد و الإصلاح الديني في القرن الثامن عشر للميلاد، وهو بذلك المؤسس والمعم القوي لقيام الخلافة الفودية في غرب إفريقيا، ومن أوائل العلماء الذين رفعوا لواء الدين الصحيح ، المتمثل في إحياء السنة و إخماد البدع و الخرافات، ونشر العلوم.[2]

كان الشيخ عبد الله بن فودي أيضا متأثرا بشكل مباشر بالشيخ جبريل بن عمر الذي هو أستاذ الشيخ عثمان بن فودي مثلما أشرنا له سابقا وهو المؤسس للحركة الإسلامية في أغاديس، ولد في القرن الثامن عشر ميلادي ، ولد الشيخ جبريل في منطقة (**الاقديز**) و تلقي العلم على علمائه ومن و شيوخه علي تجبو، و الشيخ أبو بكر بن الحاج عثمان، و لما رحل إلى الحجاز درس على يد إمام مُحَمَّد مرتضى الحسيني الزبيري صاحب تاج العروس، شرح قاموس المحيط و الشرح، وإحياء علوم الدين للغزالي، ولازمه الشيخ جبريل حتى نال منه الإجازة في كتب السنة و موطأ الإمام مالك و مسند أحمد أبن حنبل و غيرها من الكتب الفقهية، وألف في العلوم الشرعية من منثور و منظوم و سرد الكتب المجازة وختم بتاريخ تحريرها فقال: "لقد حررت هاته الإجازة في عشرة من شهر ربيع الثاني سنة ثمان وتسعين ومئة بعد ألف من الهجرة"، ثم رجع إلي النيجر بعد ما مكث في الحجاز و القاهرة و بدأ التدريس مع إنكار العوائد المخالفة للإسلام، [3]تعبيراً على أنه علامة و حبر و فهامة و داعية إلى سبيل الله و هادم البدع الرديئة، ومقيم للسنة المحمدية[4] تلميذ الشيخ مُحَمَّد المقروري، أخذ العلم عن الشيخ مُحَمَّد مرتضي وعن أخويه أبي بكر بن الحاج عثمان وعلي بن

[1]–عبد الله ابن فودي: مرجع سابق ، ص 05- 06.

[2]–الحنبلي مُحَمَّد ذكريا : وقفة مع الشخصية العظيمة في النيجر ، عل الحظ، ويكبيديا، 2019/08/07 ، 13:17د.

[3]–أحمد مُحَمَّد كاني: مصدر سابق، ص 14.

[4]–ادم عبد الله الإلوري: مرجع سابق، ص 90.

الحاج عثمان، حج مرتين ولقي يوسف الحفناوي المرتضي و أخذ عنهما[1] توفي الشيخ عام 1203هـ /1789 م رحمه الله تعالى رحمةً واسعة[2].

لم يستطع الشيخ عبد الله أن يفارق الشيخ جبريل بل لازمه لفترة طويلة، واستفاد منه فائدة عظيمة ، ويذكر عبد الله أن الشيخ جبريل بن عمر الطارقي قد لقنه كلمة التوحيد ، هو و أخوه عثمان بن فودي وجازهما أيضاً في كل مروياته، كذلك أعطاه كتاب ألفية السند الذي ألفه شيخه المصري مرتضي الزبيدي ، وألفية السند هذه عبارة عن إجازات متسللة تضم اسم جبريل بن عمر و بعض كبار العلماء.[3]

كما نجد أن الشيخ جبريل بن عمر فتراه يحدثنا دائما ويعبر عن شوقه إلى الالتقاء به فيقول عن ذلك الشيخ عبد الله "ثم بعد ذلك تحرك قلبي لزيارة شيخنا جبريل بن عمر ﷺ ثانيا لأننا قد زرناه أولاً قبل انتقالنا من بلادنا المسمى (طفل) إلى بلاد زنفرا "[4].

وقد تتلمذ على يد الشيخ عبد الله بن فودي خلف كثير من طلاب العلم من كل أنحاء المعمورة أنذاك ، أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر : أحمد بن سعد قاضي غندو، و أبو عبد الرحمان مصطفى التوردي، و لا أدل على ذلك من أنه ألف كتابا ما فيّ أي فن من الفنون إلا أعقبه بتلخيص يساعد على إستعابه و فهمه ثم يضيف تأليف أخر شرحا له ، استشعر صعوبته لدى الطلاب ، و الأمثلة على ذلك كثيرة، منها على سبيل المثال ، تلخيص كتابه: الحصن الرصين في علم التصريف الذي يتألف من 1022 بيتاً، وسمى التلخيص بتلخيص الحصن الرصين[5]، ومن تلامذته أيضاً نذكر :

[1]– مُحَمَّد ذكريا الحنبلي: مرجع سابق،ص125.

[2]–أحمد مُحَمَّد كاني: نفسه، ص 14.

[3]–أحمد سعيد عمر: مرجع سابق ،ص 23

[4]–العاطي أبو العيد الخذراوي: مرجع سابق، ص 07

[5]– ادم مُحَمَّد عمر: الاستثمار في اللغة العربية و مستقبلها الوطني و العربي و الدولي ، المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية، كلية كدونا للفنون التطبيقية ، نيجيريا : قسم اللغات (شعبة اللغة العربية) ، 07-10 ماي 2014 ، ص 08.

الشيخ مُحَمَّد سعد بن الشيخ عثمان بن فودي و الشيخ مُحَمَّد بيللو بن الشيخ عثمان بن فودي و السيدة العالمة أسماء بنت الشيخ عثمان فودي[1] و الشيخ العلامة سعد بن عبد الرحمان و الشيخ العلامة علي بن عبد الله بن فودي، الشيخ مُحَمَّد فودي و الشيخ مُحَمَّد البخاري[2].

2/مؤلفات الشيخ عبد الله بن فودي:

استطاع الشيخ عبد الله بن فودي رغم انشغاله الدئم بالدعوة أن يترك انتاج علمي وفير في شتى المجالات وهي واحدة من بين الكرامات التي ميزته عن باقي علماء عصره منها غزارة علمه الدالة عليها مؤلفاته التي لا يقل عددها عن 170 كتاب مع ما هو من الأشغال الشاقة وقت الهرج و المرج و قلت الراحة [3]حيث سنحاول إبراز أشهر تلك التآليف والمجالات التي كتب فيها .

أ- علوم القرآن:

01- مفتاح التفسير: ألفه عام 1209هـ /1794م، وهو نظم لما جاء في الاتفاق في علوم القرآن، كلاهما للسيوطي.

02- الفرائض الجليلة وسائط الفوائد الجميلة: ألفه الشيخ في اليوم الثاني من شوال 1211هـ/ 1796م، نظم في هذا الكتاب علوم القرآن التي أوردها أبو الحسين الشاشوي في كتابه المسمى "الفوائد الجميلة على الأبيات الجميلة".

03- سلالة المفتاح: ألفه الشيخ عبد الله عام 1210هـ /1795م، و هو تلخيص لمفتاح التفسير و لم يطبع.

---

[1]- نانا أسماء ابنة عثمان فودي ولدت سنة 1793م و توفيت سنة 1864م ولدت و تربت فيما يسمى اليوم نيجيريا حفظت القرآن و درست العلوم الاسلامية و أصول الفقه، كانت تعلم النساء، كتبت ما يزيد عن ستين كتابا و اصبحت بعد ذلك مستشارة لحكام البلاد و كتبت رسائل إلى أمراء المحافاظات تنصحهم . ويكبيديا 2020/06/02، 20:20.

[2]-_https//libris.kb.se/katalogisering/h wsw5134db1jnتاريخ الاطلاع : 24 فيفري 2019_ تاريخ النشر: 2 أكتوبر 2012، بوابة نيجريا للإعلام.

[3]- عبد الله بن فودي، مرجع سابق ، ص08.

ب التفسير:

01- ميل السؤال من تفاسير الرسول: هذا الكتاب هو تلخيص لما ختم به السيوطي كتابه "الاتفاق في العلوم" و يتضمن أقوال النبي صلى الله عليه و سلم في تفسير آيات القرآن.

02- ضياء التأويل في معاني التنزيل : ألفه عام 1231هـ/ 1816م، وهو أكبر كتبه طبع في أربعة أجزاء في مصر.

03- كفاية ضعفاء السودان[1] في بيان تفسير القرآن : هذا التفسير لخص ضياء التأويل في معان التنزيل.

ج- الحديث:

01- سراج الجامع البخاري: وهي منظومة اقتبسها في ضوء فتح الباري لأبن حجر

02- مصباح الراوي في علم الحديث: وهي منظومة من أنواع الحديث عقد الناظم بها في تعريف علم الحديث و موضعه و غايته بيان أنواع الحديث من الصحيح و الضعيف.

د- الفقه: نجد: **أصول الفقه:**

ألفية الاصول وبناء الفروع ،وله عدة مقالات بالغة منها: سبل النجاة ،ضياء أولي الامر، كتاب النصيحة، ضياء القواعد ، موصوفة السودان ،كتاب النسب ، نيل المرام من شيخ الكرام ، جودة السعادة [2].

تزيد مؤلفات الشيخ عبد الله بن فودي على مائة وسبعين كتابا عدا الرسائل والخطابات، ورغم مشاغله الكثيرة وظروف الجهاد المتأرجحة بين النصر والهزيمة، فإن الشيخ عبد الله قد اثرى المكتبة الاسلامية بالكثير من العمل الجاد، وأسهم إسهاما كبيرا وقدم عطاء عظيما في ميدان الشريعة والفقه أصوله والسياسة والادارة ونظام الحكم ، الحديث والتوحيد واللغة و الصرف ...الخ.

---

[2]ادم بللو ،مرجع سابق، ص 21

رابعا: نماذج من كتبه ومنهجيته في الكتابة:

والتي من أهمها:

أ-كتابه ضياء التأويل: والذي يروي تأليفه فيقول عن ذلك:

وبعد هذا لما اشتدت إليه حاجات الراغبين وإلحاح الملحين أن أكتب لهم تفسيرا يفهمون به كلام الله مع الاعتماد فيه على أرجح الاقوال بإعراب ما يحتاج إلى الاعراب منه ، والتنبيه للقراءة المشهورة.

السادة في بلاد الهوسا والسودانية ....وبيان الأحكام والتنبيه على ما يتعلق بالبلاغة ، فأجبته إلى ذلك من الله تيسيره و ثوابه وسميته ضياء التأويل في معاني التنزيل. [1]

يعتبر كتابه من التفاسير التي جمعت المعقول و المنقول، وأنتهج فيه مؤلفه منهج التلخيص و الاختصار دون إخلال بالمقصود كما هو عادته في التأليف وهذا المنهج هو ما كان سائداً في ذلك الوقت، في أكثر أنحاء العالم الإسلامي، وكان تأثير عبد الله بهذا المنهج طبيعياً ، لأن الكتب التي وصلت إليه والتي استفاد منها كانت قد ألفت على هذا المنهج ، فمثلاً تفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن لعبد الرحمن الثعالبي نقلها عمن سبقه من المفسرين. [2]

ألفية الاصول وبناء الفروع ،وله عدة مقالات بالغة منها: سبل النجاة ،ضياء أولي الامر، كتاب النصيحة، ضياء القواعد ، موصوفة السودان ،كتاب النسب ، نيل المرام من شيخ الكرام ، جودة السعادة [3].

تزيد مؤلفات الشيخ عبد الله بن فودي على مائة وسبعين كتابا عدا الرسائل والخطابات، ورغم مشاغله الكثيرة وظروف الجهاد المتأرجحة بين النصر والهزيمة، فإن الشيخ عبد الله قد اثرى المكتبة الاسلامية بالكثير من العمل الجاد، وأسهم إسهاما كبيرا وقدم عطاء عظيما في ميدان الشريعة والفقه أصوله والسياسة والادارة ونظام الحكم ، الحديث والتوحيد واللغة و الصرف ...الخ.

رابعا: نماذج من كتبه ومنهجيته في الكتابة:

والتي من أهمها:

أ-كتابه ضياء التأويل: والذي يروي تأليفه فيقول عن ذلك:

[1]- احمد محمد كاني : مصدر سابق ، ص : 40 .

[2]- ادم بللو: مرجع سابق ، ص : 31 .

[3]ادم بللو ،مرجع سابق، ص 21

وبعد هذا لما اشتدت إليه حاجات الراغبين وإلحاح الملحين أن أكتب لهم تفسيرا يفهمون به كلام الله مع الاعتماد فيه على أرجح الاقوال بإعراب ما يحتاج إلى الاعراب منه ، والتنبيه للقراءة المشهورة.

السادة في بلاد الهوسا والسودانية ....وبيان الأحكام والتنبيه على ما يتعلق بالبلاغة ، فأجبته إلى ذلك من الله تيسيره و ثوابه وسميته ضياء التأويل في معاني التنزيل. [1]

يعتبر كتابه من التفاسير التي جمعت المعقول و المنقول، وأنتهج فيه مؤلفه منهج التلخيص و الاختصار دون إخلال بالمقصود كما هو عادته في التأليف وهذا المنهج هو ما كان سائداً في ذلك الوقت، في أكثر أنحاء العالم الإسلامي، وكان تأثير عبد الله بهذا المنهج طبيعياً ، لأن الكتب التي وصلت إليه والتي استفاد منها كانت قد ألفت على هذا المنهج ، فمثلاً تفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن لعبد الرحمن الثعالبي نقلها عمن سبقه من المفسرين. [2]

01- ضياء الأمة أدلة الأئمة : تناول في هذا الكتاب عبادات كالطهارة و الصلاة...الخ.

02- اللؤلؤ المصون: لا يختلف عن سابقه إلا أن الأول منثور والثاني منظوم.

03- كتاب الترهيب : مقسم الى قسمين قسم في الترغيب في المحافظة على الصلاة ،وقسم فيه الترهيب عن الغفلة عن الصلاة.

04- ضوء المصلى :وهو عبارة عن منظومة تناولت حكم الفوائت و أحكام السهو في الصلاة.

[1]- احمد محمد كاني : مصدر سابق ، ص : 40 .

[2]- ادم بللو: مرجع سابق ، ص : 31 .

هـ: التوحيد:

01- نظم العقيدة الوسطى لسنوسي و شرحها.

02- العقيدة السنوسية.

03- وخلاصة الأصول.[1]

و- إيداع النسوخ في ما أخذت عنه من الشيوخ: وهو كتاب أرخ فيه الشيخ عبد الله عن حياته العلمية و شيوخه الذين تلقى عنهم العلم ،وقد قام بتحقيقه البدوي[2].

ز- التصوف و الآداب الإسلامية:

01- مطية الزائد إلى الميعاد

02- كتاب النصائح في أهم المصالح

03- من المنان لمن أراد شعب الإيمان

ح- النحو والصرف ، اللغة، العروض، القوافي.

01- البحر المحيط: هذا الكتاب في النحو شمل على أربعة ألاف و أربعة مئة بيت.

02- الحصن الرصين : وهو كتاب منظوم في النحو

03- جمع البرق: هو كتاب مختصر منظوم في النحو

04- فتح اللطيف الوافي لعلم العروض و القوافي

05- تزيين الورقات بجمع مالي من الأبيات : هو عبارة عن ديوان للمؤلف ، الذي يحتوي على تسعة عشر قصيدة و مقسم إلى:

[1]-ادم بللو: مرجع سابق، ص 15.

[2]- أدم علي أبو البشر:مرجع سابق، ص171.

ي–الإدارة و السياسة الشرعية:

01- ضياء الحكام في مالهم وعليهم من الاحكام: يحتوي على خمسة أبيات.

02-ضياء السلطان وغيرهم من الاخوان[1]

يعتبر الشيخ عبد الله من علماء اللغة العربية ويظهر ذالك في نظمه لكتاب السيوطي مع الجوامع شرح جمع الجوامع في كتاب :

ب– البحر المحيط : وهو من أهم مؤلفاته ، وهي عبارة منظومة طويلة تزيد أبياتها عن أربعة آلاف من مزدوج الرجز ، نظم النحو والصرف وعلم الخط ، توجد منه نسخ كثيرة لقد قام بطبعه ونشره في كانو (الحاج عبد الله اليسار التيجاني) .

افتتح الشيخ البحر المحيط باثنين وعشرون بيت عدد فيها أمهات الكتب النحوية التي استفاد منها في نظمه ومطلع ذلك:

اَلْحَمْدُ لِلّهِ عَلَىْ تسْهِيلِ *** فَتْحِ اَلْأَعَادِيْ اَلْمُغْنِيْ اَلنَّبِيْلِ

بِكَسْرِ وَخَفْضِ وَجَرِّ اَلهَوْلِ *** وَاَلْجَزْمِ فِيْهِم لَازِمُ اَلْسُّكُونِ

وَرَفَعِ أَهْلِ مِلَّةِ اَلإِسْلَامِ *** عَلَىْ سِوَاْهُمْ أَخِرُ اَلأَيَّاْمِ

بِنَصْبِ رَايَةَ اَلْمُجَاْهِدِينَ *** وَضَمِّ شَمْلِهِمْ فَشَاْدُواْ اَلْدِّيْنَ

و بالإطلاع على هذه المنظومة التي فاق عددها ألفية بن مالك وبن معطي في النحو اتضح لنا مقدرة الشيخ العظيمة على فن النظم. [2]

[1]ادم بللو:مرجع سابق ،ص 18-20

[2]- علي آدم أبو البشر : مرجع سابق ، ص : 186 .

استطاع الشيخ عبد الله أن يكون له دورا بارزا في الجهاد و نشر الحركة الاصلاحية الفودية، فقد أثرى المكتبة الإسلامية بالكثير من الكتب و المؤلفات في المجالات المختلفة كما لحظنا من قبل من تفسير وفقه وسياسة ...الخ. [1]

مثلما إحتل للشيخ عبد الله قدراً كبيرا من العلم الذي رفع منزلته، وجعله فائقاً لأقرانه في العلم و التأليف وقرض الشعر وتحرير المسائل ونقد الأقوال وحسن الرد، بالاعتماد على الكتاب والسنة و أقوال سلف الأئمة، مقتدياً بالأئمة الكبار من المفسرين والمحدثين والفقهاء.

إن ابن فودي كان ينظر إلى لأدلة من أقوال العلماء ويختار منها ما يظهر له أنه هو الراجح بغير تعصب لمذهب معين، و كان يدافع عن إمامه مالك بن أنس منصفا دون تعصب أو
تقليد وكان يستدرك على الأقوال و يصححها بما يراه ، بذكر الدليل كما أستدرك على السيوطي في سقوط الحر الذي لله على القاطع [2] .

تميز الشيخ عبد الله بن فودي بكونه عالما منصفاً عظيماً مما يشهد له بذلك أقوال العلماء فيه من ذلك :

حيث يقول احمد بللو الراوي الحافظ المقرئ المجود النحوي، ذو التحقيقات البديعة والأبحاث الأنيقة العربية المتفق على علمه وهديه ..كان راية في تحقيق العلوم مفرط الإطلاع على النقول في الفنون جامع شتى العلوم .

كما مدحه الأمير البخاري مُحَمَّد بن الشيخ عثمان في قصيدة طويلة بقوله :

وَقَدْ حَبَاْكَ اَلْدَّهْرُ شَيْخَاً مَاْلُهُ فِيْ اَلْعِلْمِ فِيْ تِلْكَ اَلْأَرَاْضِيْ مائل

أَعْنِي إِمَاْمَ اَلْعَصْرِ عَبْدَ اللهِ مِنْ سَاْدَ اَلْشُّيُوْخِ اَلْنُّبُلَ مَذْهَبَاً وَشَاْبِلُ

بَحْرٌ مُحِيْطٌ يَسْتَخْفِ اَلْفُلْكَ فِيْ نَحْوِ وَفِيْ اَلْأَهلين عَيْب وَاْبِل

[1]- منيرة أبو منقة : مرجع سابق ، ص : 240 .

[2]- ادم بللو : مرجع سابق ، ص : 21- 22 .

ووصفه الألوري بنادر الأزمان وعلامة السودان على الإطلاق .

وبعد هذا الاطلاع على ماكتبه الباحثون والعلماء عنه وما اطلع عليه الباحث في كتبه المتعددة و التي مزال أكثرها مخطوطا يتضح لنا أن الشيخ عبد الله كان عالماً علامة حيث أن تصنيفاته و تأليفاته لها قيمة كبيرة في شتى العلوم وفنون المعرفة وهوما يشهد له بهذا المدح و الاعتراف بالعلم والمعرفة. [1]

من خلال ما سبق ذكره نستنتج أنه كان من البديهي أن يختلف عبد الله مع أخيه المجدد عثمان في ما يخص المسائل الفرعية، وقد كتب العالم عبد القادر بن مصطفى كتاباً حول المسائل التي اختلف فيها الشيخ عبد الله مع أخيه عثمان ، وسماه (الفواكه الذواتي في مسائل الخلاف للشيخ عثمان و أخيه عبد الله) ومن بين هاته المسائل نذكر على سبيل المثال :

01- مسألة التسمي باسم الملك : فعثمان يرى أن ذلك مرادف للخلافة و الإمارة و الإمامة والولاية و السلطة ، أما عبد الله فيرى أن الملك إنما هو لملوك الدنيا وتخص ولاية الإسلام بالخلافة .

02- مسألة حكم آلة اللهو : فعثمان قال إنما هي من الأمور التي اختلف العلماء في حكمها ، أستدل بأدلة كثيرة منها ما جاء في كتابه (نجم الإخوان) أستدل بما في حديث أبن ماجة لأنه يضرب له الطبل في تحقيق المباني وتحريمها، والحديث محتمل أو لم يصح أو منسوخ ولولا ذلك لما تركه الجمهور . [2]

03- مسألة ما لبس من ما أخذه المسلمون من الكفار من لبس الذهب إظهار للنعمة من غير استدامة، ويرى الشيخ عثمان بن فودي أنه جائز وأستدل بما جاء في المعيار (للونشريسي) أن رسول الله ﷺ قال لسراقة بن مالك يوماً، كيف بك إذا سوارى كسرى ؟ فلما أتى عمر بن الخطاب بهما ألبسهما إياهما : فهذا محول على اللبس والنزع من غير استدامة ،ومحرم للتجميل .

لم يقتنع الشيخ عبد الله بن فودي بالحجج التي ساقها أخوه ، لهذا نجده يقول معلقاً على أراء الشيخ (لم يتضح لي دلالة قصة سراقة على جواز لبس النقدين ، إظهار للنعمة ، ولا رأيت أحد من

[1]- علي آدم أبو البشر : مرجع سابق ،ص : 175 .

[2]- ادم بيللو : مرجع سابق ، ص : 23 .

علمائنا المالكية نص على ذلك) ويستغرب من أخيه عندما يقول كيف يكون لباسهم إظهاار للنعمة وهو مما حرم علينا ؟ وإظهار النعمة إنما يكون فيما أحل [1] .

3/ دوره في الحركة الاصلاحية الفودية:

يعتبر الشيخ عبد الله بن فودي بمثابة القلب النابض للحركة نظرا للدور الفعال الذي لعبه، فملازمته لأخيه جعلت منه ذلك المستشار الكبير الذي يرجع إليه في أوقات الحل والربط وكان الشيخ رجلا حليما بعيداً عن الحقد، يظهر ذلك جليا في تصرفاته في الجهاد حيث كان بعيدا كل البعد عن التشفي والتجريح، اهتم بنشر العلم وتنوير العقول، كانت أخلاقه أخلاق بطبائع الإسلام .... فكان رمز الزهد مما أدى إلى تنظيم حياته وتقسيم نشاطه اليومي إلى أربعة أقسام :

- وقت يناجي فيه ربه
- وقت يحاسب فيه نفسه
- وقت لاكتساب العيش الحلال
- وقت للدعوة والإرشاد [2]

ففي وقت كان فيه المجتمع يعيش ويلات الحكم الجائر تحت ظل الوثنية كان الشيخ عبد الله بن فودي يساهم بعلمه وسيفه للرجوع الى الدين الصحيح وترك الأباطيل، حيث كان ملازما لأخيه عثمان بن فودي في دروسه الوعظية، ومتنقلا معه في شتى البقاع التي كانا يدعوان فيها باعتباره ساعده الأيمن، حاملين بذلك لواء الإصلاح الديني، وقد احتل مكانة هامة في مجتمعه لدرجة أنه كان غالبا ما يتولى الرد على الرسائل والهجمات المشينة التي تلحق دعوتهم مثلما فعل أثناء رده على مصطفى القوني أحد علماء زنفرة الذي انتقد مجالس الفوديون العلمية التي كان يحضرها النساء والرجال وكره بذلك الاختلاط قائلا:

أيا ابن فودي قم تنذر أولى الجهلا *** لعلهم يفقهون الدين والدونا

---

[1]- أحمد محمّد كاني : مصدر سابق ،ص : 31 .

[2]- عبد الله بن فودي : الحصن الرصين في علم التصريف ، ط : الأولى ، كانو، نيجيريا : دار الأمة لوكالة المطبوعات، 1428 هـ2007 م، ص : 30 .

فامنع زيارة نسوان لوعظك إذ ***لم يأمر الله عيبا كان يوذينا

فما كان من الشيخ عبد الله إلا أن يرد عليه بأمر من أخيه عثمان في قصيدة من بين أبياتها[1] ما يلي:

يا أيها ذا الذي جاء يرشدنا *** سمعنا لما قلت فاسمع أنت ما قلنا

نصحت جهدك لكن ليت تعذرنا *** وقلت سبحان هذا كان بهتانا

إن الشيطان إن جاؤا لمجلسنا *** هم ينتمون سوء القول طغيانا

لسنا نخالط لنسوان كيف وذا *** كنا نحذر لكن قلت سلمنا

إن كان ذاك ولكن لا أسلم أن***يتركن بالجهل هملا كان إحسانا

إن ارتكاب أخف الضر قد حتما***يكفر الجهل إن غذ كان عصيانا

هدي البلاد قد وجدنا قومها غرقوا***في الجهل يمنعه ان يفقهوا الدنيا

ذاك هو نمو ذجا من بين الأشعار التي كان ينظمها في مختلف المجالات، حيث نلتمس فيه قوة ملكته الشعرية وصدق الحجج المستعملة .

إثر النجاح القوي الذي حققته الحركة الاصلاحية في مختلف المجالات وأصبحت قوة إسلامية بارزة في المنطقة، قرر الشيخ عبدالله بن فودي أن يعتزل الحكم والسياسة والهجرة بعيدا عن الأمور التي كان يلاحظها ويعيشها يوميا عندما كان وزيرا لأخيه خاصة من طرف بعض قادة الجيوش وانصرافهم عن الهدف الأسمى لحركة الجهاد وانشغالهم بالغنائم، بالإضافة الى اعتراضه على أخيه في طريقة تسيير شؤون الرعية[2].

لم يعين الشيخ عثمان بن فودي خليفة له أثناء حياته، مما جعل ابنه يقوم بخلافته بعد وفاته متوليا بذلك مقاليد الحكم، الأمر الذي لم يرتح له الشيخ عبد الله وجعله ينسحب من أمور السياسة ويلجأ إلى الجزء الذي كان يقوم بإدارته أثناء حياة أخيه وقام بمقاطعة ابن أخيه مُحَمَّد بيللو مدة عام قضاها في العبادة والتأليف والزهد في الدنيا، الأمر الذي جعل المتمردين من بعض القبائل التي كانت تحت ولايته يقومون بمحاصرته، حتى وصل الأمر الى مُحَمَّد بيالو فجاءه مسرعا لفك حصاره سنة 1820م،

[1] عبد الله بن فودي: ضياء السياسات وفتاوى النوازل مما هو من فروع الدين من المسائل،مصدر سابق، ص17.

[2] بوبكي سكينة: الحركة العلمية بالهوسا في السودان الغربي خلال القرن 19م،مرجع سابق، ص105.

فتوطدت بذلك العلاقة من جديد بين العم وابن أخيه بل رد الجميل عبد الله بن فودي وقام بالاعتراف بابن أخيه وخلافته[1].

بمرور الوقت أصبح مُحَمَّد بيللو يشعر بحاجة ماسة الى عمه ومشورته وأخذ حكمته في مختلف المجالات وبالتالي ضرورة تقربه إليه، فأرسل اليه بقصيدة مطولة من أبياتها ما يلي:

يا أهل نوبة هذا الوقت للباري *** قصدتكم فأمدوني بأنواري

أنتم ذخيرتنا في كل نائبة *** وأنتم عوننا في نجح أو طاري

فكان الرد سريعا وقويا من عمه على شاكلته في بعض الابيات ومنها:

يا طالب النور محفوفا بأنوار *** يبقى سبيلا للدار وهو الدار

ويدعي غلق باب وهو منفتح *** في وجهه دون حجاب أو ستار

وبالتالي نستنج من هاته الابيات التي هي جزء من قصيدة طويلة زوال تلك الضغينة والشحناء التي كانت بينهما لتحل محلها المودة والمحبة والتعاون فيما بينهما الى وفاة الشيخ عبد الله بن فودي سنة 1245هـ / 1829م .

كان لوفاته أن ترك فراغا كبيرا بين تلامذته ومحبيه والخلافة الفودية بصفة عامة ورثاء العديد منهم ابن أخيه عبد الله بن فودي في مرثية منها:

ان الرزية لا رزية مثلها *** رزء غدا الإسلام مثلما به

خطب جليل حل من فقد الذي *** في العلم ليس له أخ من مشبه

وعفت مدارس للعلوم وأوح *** شت أركانها من فقد قاضي نحبه

تبكي فنون الشرع من فقدانه *** لا سيما التفسير حاد بسكينه[2]

وبهذا تكون نهاية ثاني رجل في الحركة الفودية الاصلاحية تاركا ورائه رصيدا كبير من التأليف وفي مختلف مجالات الحياة معظمها لا يزال عبارة عن مخطوطات كمادة دسمة للعلماء والمحققين حتى يمكن لطلبة العلم والمهتمين الاستفادة منها.

[1] عبد الله بن فودي: ضياء السياسات وفتاوى النوازل مما هو من فروع الدين من المسائل،مصدر سابق، ص51.

[2] عبد الله بن فودي: ضياء الساسات، مصدر سابق، ص53.

الفصل الثالث : مُحَمَّد بللو ودوره في الحركة الاصلاحية

1. مسيرة مُحَمَّد بللو :

ان معظم الحركات الاصلاحية التي ظهرت في العالم الاسلامي كانت تبنى على أسس متينة حتى تستطيع تحقيق أهدافها الاصلاحية، ولعلى ابرز عوامل النجاح نجد الاعتماد على الجانب البشري بتكوينه وفق قواعد متينة تستمد مبادئها من القرآن والسنة النبوية وهو ما نجده يتحقق في أبرز قيادات الحركة الاصلاحية الفودية ومن بين رجالاتها الأوفياء الذين كانوا في مقدمة الركب نجد مُحَمَّد بللو[1] الذي ولد سنة (1195 هـ - 1780 م) في بيت علم ودين، فهو ابن الشيخ عثمان بن فودي مؤسس الدولة الفولانية الإسلامية التي استمرت أكثر من مائة سنة (1219 هـ - 1320 هـ ، 1804 م ، 1903م) رغم الأخطار والتحديات التي واجهاتها في كل مراحلها.

وكان بللو قد نشأ منذ نعومة أظافره في بيئة كلها علم، حيث كانت الظروف مهيأة له ليتشبع لتعاليم الإسلام منذ صغره، درس على يد عمه والد العلوم الإنسانية، وأخذ على عمه العربية والبلاغة، كما تنقل من بلد إلى آخر بحثاً عن المزيد من العلم[2] .

اشتهر مُحَمَّد بللو بحبه للعلم وتجواله عبر البلدان بحثاً عن العلم و الكتب للدراسة، عرف بشغفه بالثقافة العربية و إكرامه للعلماء،[3] حتى أصبح ملجأ للعديد منهم العلماء، التجأ إليه الحاج عمر طل طالباً للعلم مقتدياً بآرائه، فاستضافه بللو و جعله بجواره و مكث بجانبه مدة تقرب من اثني عشرة

[1]- بللو : لفظة بيلو أو بللو تعني باللغة الفولاني الصاحب والوزير و النصير.

[2] بوبكي سكينة: الحركة العلمية بالهوسا في السودان الغربي خلال القرن19م، رسالة ماجيستير في التاريخ والحضارة الاسلامية، إشراف عبدالمجيد بن نعيمة، كلية العلوم الاسلامية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران،السنة الجامعية 2010/2009،ص 126.

[3]- مُحَمَّد بللو : المصدر السابق ، ص : 09.

سنة[1] استطاع خلالها ان يتزود بما شاء من العلوم المختلفة متفوقا في ذلك على أقرانه ومحبي الشيخ.

كان مُحَمَّد بللو يكره الجهل و الجهلاء ، و يجبر الناس على التعليم ، و يقرهم على عدم تركه ، ويتدارسه[2] محاربا الجهل والأمية باعتبارهما أساس مهلكات المجتمع.

ذاع صوت مُحَمَّد بللو في مختلف أمصار إفريقيا حيث في عهده عمرت بلاد الهوسا، بمختلف الأقوام والشعوب وبث فيهم العلم و أتاه العلماء من كل البلاد ، قبلهم بعين الرضى، وأحسن إليهم أحسن إحسان ، إذ كان كلما جاءه عالما لا يرده فيكرمه و يوفر له كل ما يجب ، ومن خلال هذا العمل عرف بللو بحبه للعلم و تقريبه للعلماء[3] وتلك ميزة كان يحاكي فيها والده.

إن المتتبع لدراسة شخصية بللو يجد أنها تميزت بالعديد من الخصال والصفات النادرة في قومه فامتاز بقوة شخصيته الناضجة و العظيمة وبعد نظره للوسط الذي نشأ فيه ، إذ ترعرع في وسط بيت اشتهر بالعلم أبا عن جد، واعتناقه تعاليم الإسلام الصحيحة الخالية من الشوائب الجاهلية البائدة التي كانت تنتشر بالمنطقة[4]، وعرف بزهده في الحياة و بساطته، إذ كان يزرع مزرعته بنفسه و يعمل فيها لكي يأكل من كسب يده، كما كان يحرص على تعليم أفراد مجتمعه مختلف الصناعات، فيه يقول صاحب تاريخ سوكوتو : " كان عادلاً ورعاً، يأكل من كسب يده، ولا يأكل من بيت المال أصلاً ، وقد قال لوالده في ابتداء الجهاد

[1]- مُحَمَّد بللو : المصدر السابق ، ص 09.

[2]- Thomas Hodgkin : Nigerian perspectives , an historical anthology second Edition ,Oxford University Press,London,1969, p 290 .

[3]- مُحَمَّد بللو : المصدر السابق ، ص : 09 .

[4] بوبكي سكينة: الحركة العلمية بالهوسا في السودان الغربي خلال القرن19م، رسالة ماجيستير في التاريخ والحضارة الاسلامية،مرجع سابق،ص124.

: " يا شيخ قد عدم الحال ، وأنت لا بد أن تأكل قدر الضرورة من هذا المال، وأما أنا فأكسب لنفسي لأني شاب. "[1]

و بعد أن تحدثنا عن هذه الشخصية القوية فلا يسعنا إلا أن نذكر صفاته الحميدة حسب ما ذكره صاحب تاريخ سوكوتو الذي كان معاصراً له :" كان طويل أصلع ، طويل اللحية، كثيفة ملثم دائما، لا يحسر اللثام عن وجهه " كما عرف بجرأته و كفاءته الحربية، فقد كان يخوض معاركه، و يقود الجيوش بنفسه خلال حروبه ضد أمراء الهوسا. [2]

2-منهج مُحَّد بللو :

يتميز العصر الذي ولد فيه مُحَّد بللو باختلاف وتمازج الثقافات بين شعوب المنطقة والتي كان بعضها حديث الاسلام، ففي عصر بللو كانت تسيطر عليه العديد من المعتقدات الجاهلية، وسيادة الحكم وبطشه على أولياء الأمر الظالمون[3]، في مقابل ذلك كانت من جهة أخرى تنتشر الحركة التبشيرية والتي كانت لها تطلعات واسعة المدى ذات أبعاد تبشيرية عالمية تسعى في الأفق الى ابتلاع ما تبقى من العالم الاسلامي الذي ما زال لم يدخل تحت سيطرتها ، ونظرا لشدة ذكاء مُحَّد بللو فقد استطاع تعلم أصول الدين في وقت مبكرة، حيث أنه لما بدأ الشيخ عثمان بن فودي حركته ، كان مُحَّد بللو مراهقاً،ورغم ذلك لم يمنعه ذلك أن يبقى ملازما لوالده في كل رحلاته من أجل نشر دعوته ، وأبلى البلاء الحسن في تأييده و نصرته في معظم محطاته الجهادية الفكرية أو في حمل السلاح، و بعد أن تغلغلت المبادئ العقائدية والفكرية في قلبه و صار من قادة الجيوش و

[1]- مؤلف مجهول : تاريخ سوكوتو ، منشور بآخرة تذكرة النسيان ، باريس 1901 م ، ص ، 197 ، نقلاعن مُحَّد بيللو : المصدر السابق ، ص : 10 ، و : Thomas Hodgkin , op CIT , P 290

[2]- مُحَّد بيللو : المصدر السابق ، ص : 10

[3] بوبكي سكينة: الحركة العلمية بالهوسا، مرجع سابق، ص 125.

من بين أبرز الوزراء والمستشارين المقربين الى الشيخ وكأنه بذلك كان يهيئه لتولى القيادة من بعده وإكمال مسيرة الجهاد الاسلامية من أجل النهوض بالأمة، وقد شهد العديد من الغزوات وانتصر في العديد منها مثل الغزو على غوبير و فتحها.[1]ليكون بذلك أحد الأركان الأساسية لقيام الخلافة الاسلامية الفودية.

ويظهر مدى قوة ورزانة شخصية مُحَمَّد بللو في العديد من المواقف والمهام التي استطاع ان يقوم بها بنجاح منذ شبابه نتيجة، حيث امتاز بقوة العزيمة وشدتها أثناء المواقف الصعبة، استطاع من خلالها ان يكسب ثقة والده ويكلف بعدة مهام منها منصب قيادة الجيش على الناحية الشرقية و تم ذلك في سنة 1223 هـ، 1808 م[2]، وكان هذا القسم الذي استطاع أبوه أن يقوم بتوريثه له يعتبر واحد من أبرز وأهم الأقسام من حيث ممالك الإمارة، وهذا الأخير قام ببناء عاصمة له و سماها سوكوتو، وقام بالإشراف على تشييدها بنفسه وكان هذا في سنة 1224 هـ ، 1809 م[3]وتصبح فيما بعدة منارة علمية وفكرية ذات أبعاد حضارية وصل إشعاعها الى مختلف مناطق السودان الغربي.

استطاع مُحَمَّد بللو في فترة وجيزة بسب حرصه الشخصي وقوة ارادته ان ينهي بنائها بكل معالمها الحضارية، ولما أتم بناؤها استأذن من أباه قصد الاقامة بها ، وكان آنذاك بسيغاواsigawa معتزلا أمور الحكم ويتفرغ من أجل حلقات العلم لطلبته وتدريسهم مختلف العلوم وكذلك تعليم الناس ، ونشر دعوته في مدينة سوكوتو نزل في منزل بناه له مُحَمَّد بللو و بقي هناك إلى أن توفي سنة 1233 هـ ، 1817 م[4]بعد ما أفنى حياته كلها من

[1]- أيوب ناجي : المرجع السابق ، ص : 119 .

[2]بوبكي سكينة: الحركة العلمية بالهوسا، مرجع سابق، ص 125.

[3]- إسماعيل العربي : حاضر الدولة الإسلامية في القارة الإفريقية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 3ش زيغوت يوسف الجزائر ، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية ، ط : 1984 م، ص 280.

[4]- علي أيوب ناجي ، المرجع السابق ، ص : 119 .

أجل نشر الدعوة الاسلامية ومحاربة البدع والاساطير التي كانت منتشرة في وقته وكادت أن تقضي على الاسلام وتطمس أركانه السمحة[1].

شعر مُحَمَّد بللو بعد وفاة والده بالحزن وأدرك مدى ثقل المسؤولية التي تركها والده بدون تعيين لخلافته فوجد نفسه مجبرا على تنصيب نفسه بصفته خليفة لأبيه، وبهذا تمت له البيعة بصفته أجدر من يقوم بالخلافة خلقا وعلما و ومسؤولية، ودراية بالسياسة ، استعدادا للتصرف الحكيم و السريع عند الضرورة و مواصلا بذلك إكمال رسالة أبيه التي كان لها أثرا كبير في إحياء الدعوة الإسلامية وإحياء للعلوم الدينية الاسلامية الخالية من المعتقدات والأفكار الوثنية.[2]

ان أبرز ما يمكن ملاحظته على العصر الذي تولى فيه مُحَمَّد بللو خلافة والده انه كان مرحلة حاسمة وخطيرة نظرا لانتشارالفتن و الاضطرابات، و الحروب الأهلية مع القبائل التي رفضت الخضوع لسلطانه معلنة بذلك حركة تمردية انفصالية ضد الخلافة[3] و بهذا يكون قد واجهه مشكلا أمامه و هي نوعية السياسة التي يمكن انتهاجها مع هذه القبائل حديثة العهد بالإسلام، و التي تقوم بالإنتفاضة والخروج على عصى الطاعة بين الفينة و الأخرى، وقد امتد نفوذه على مجموعة قبائل الهوسا الممتدة ما بين نهر النيجر و بحيرة تشاد، الامر الذي صعب عليه إمكانية ضبطها انطلاقاً من العاصمة سوكوتو، فكان لزاما عليه أن يقوم بتكوين إمارات الهوسا السبع من اجل محاولة السيطرة التامة على مقاليد الحكم والتخفيف على نفسه من ثقل المسؤولية[4].

يذكر مُحَمَّد بللو في كتابه" إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور" أنه استطا في فترة قصيرة أن يتولى زمام أمور الحكم ويحاول نشر الامن والاستقرار بين أرجاء

[1] بوبكي سكينة: الحركة العلمية بالهوسا، مرجع سابق، ص 126.

[2]– جمال زكرياء قاسم : المرجع السابق ، ص ، 331.

[3]–حسين إبراهيم : المرجع السابق، ص 122

[4]–مُحَمَّد بللو: المصدر السابق، ص 11.

الممالك قصد التفرغ من أجل محاربة الوثنية ويرجع الفضل في ذلك الى مجموعة من القواعد والأسس نجد منها ما يلي:

1-الناحية الأمنية.

يعتبر الاستقرار الأمني أول الركائز الأساسية لتطوير الخلافة لذا فقد حاول الخليفة بكل الوسائل لتحقيق غايته فقام باختيار أسلوب الرباط الذي كان يعتبره بمثابة هجرة ثانية، هجرة في هذه المرة لإعداد النفس و تدريبها، وذلك لحماية المجتمع الاسلامي[1]، فقد كان أسلوب الرباط خير وسيلة لمواجهة الاضطرابات و عمل بيللو على أن يشمل كل رباط على طبقة محاربة بالإضافة إلى نواة دينية مكتملة لبث تعاليم الإسلام بين الناس، وتفقيههم في شؤون الدين، وهو بذلك نجد أنه كان يحاول أن يطبق فكرة والده في جعل نظام الرباط نظاما للمجتمع، ونجح فعلا في محاولته ، حيث أصبح الرباط نظاماً دفاعيا و اجتماعيا للمجتمع الجديد الذي استطاع أن يصمد ضد الاخطار والتيارات الوثنية التي كانت تتربص بالخلافة.

ومنه نستنتج انه استطاع بفضل قوة شخصيته وتكوينها أن تصدى للدفاع عن أرضه و يحقق جزء من توطيد العلاقة بين الخليفة ورعيته وتلك هي الحلقة المفقودة عن بعض الخلفاء في عصره.

2-الاعتماد على الشريعة الإسلامية

بعد ما شهدت الخلافة في بداية حكم مُحَّد بللو نوعا من الاستقرار في معظم الأقاليم والممالك حاول أن يتبع سياسة دقيقة خاضعة لمبادئ الشريعة الإسلامية، واستطاع الى حد كبير تطبيق هذه السياسة في جميع المجالات، فقد حاول أن يثبت و يرسخ الدين الإسلامي في نفوس الرعية، رغم الصعوبات التي واجهته من أجل إخراجهم من جاهلية الوثنية التي كانت طاغية عليهم، بفضل عزيمته[2] كما كان يحاول القيام بإصلاحات شاملة خاصة على المستوى

[1] بوبكي سكينة: الحركة العلمية بالهوسا في السودان الغربي خلال القرن19م، رسالة ماجيستير في التاريخ والحضارة الاسلامية،ص 127.

[2] جمال زكرياء قاسم : المرجع السابق ، ص ، 333.

الاجتماعي والديني، فكان يطبق حدود الله على الأفعال مثلما جاء في كتاب الله و سنة نبيه المصطفى صلى الله عليه و سلم، فطبق الحد على السرقة و الزنى و غيرها، محارباً بذلك كل الافات الاجتماعية التي كانت متفشية وتنخر في أوساط الناس مما يقلل من اسلامهم.

ومن بين المواقف مثلا التي قام فيها بتطبيق الشريعة الاسلامية ما نجده في قول صاحب تاريخ سوكوتو "و بعد رجوعه من بربوش، أوتي بالزانيات، وأمر الشيخ عمرو إمام المسجد خليل بن عبد الله مع كثير من العلماء برجمهن" دلاللة تامة على تطبيق حدود الله وهي الامور التي لم تكن سابقة قبل خلافته[1].

كما أن مُحَمَّد بللو كان شديد الحرص على تطبيق هذه السياسة في كل المجالات التي تهم أمور الرعية حيث كان يراقب بنفسه الحكام و القضاة و ينقض أحكامهم التي وقعت على وفق أهوائهم الشخصية ولا تستند الى كتاب الله وسنة نبيه.

ووصل به الأمر في تطبيق الشريعة الإسلامية على كافة اقاليم بلاده بل أنه كان يقلد أعمال الرسول صلى الله عليه و سلم، ففي ميدان الدفاع مثلا، قلد الرسول الكريم في فكرة حفر الخنادق، وتحصين المدن، وكان يشارك بنفسه في تحصين المدن وتشيد المباني والقلاع الحربية التي أنشأها اقتداء بالرسول صلى الله عليه و سلم، حيث أحاط المدينة المنورة بخندق كبير وعميق قصد الحفاظ على أمن المدينة وحمايتها من الغزو والاعتداءات المتكررة باعتبار ان الخلافة كانت حدودها واسعة ومحاطة بالأعداء[2].

ومنه نصل الى أن مُحَمَّد بللو قد حاول بكل الطرق والوسائل تطبيق الشريعة الإسلامية بأكمل وجه، محاولا مواصلة رسالة أبيه التي كان قد بدأها، إضافة إلى هذه السياسة المحكمة التي اتبعها فقد اتبع سياسة أخرى خارج بلدته مبنية على الحكمة والوعي الشديد من بطش العدو.

[1] بوبكي سكينة: الحركة العلمية بالهوسا في السودان الغربي خلال القرن19م، رسالة ماجيستير في التاريخ والحضارة الاسلامية،ص 128.

[2] -مُحَمَّد بيللو: المصدر السابق، ص 13.

3-العلاقات الخارجية:

لم تكن الخلافة الاسلامية في عهد مُحَمَّد بللو في عزلة عن العالم الخارجي بل كانت تتطلع الى ما يجرى في ممالك الجوار من تطور وازدهار حضاري في مختلف المجالات، لذا فقد حرص مُحَمَّد بللو على ربط علاقات طيبة، مع الخارج فاشتهر بالعدل والمساواة وإرجاع المظالم الى أصحابها، حتى تكلم المؤرخون المسلمون وغير المسلمين عنه، ولعل من أبرزهم الألماني بارث وكلابارتون الإنجليزي اللذان كانت لهما رحلات استكشافية لمختلف مناطق افريقيا وفي سنة 1240هـ ،1824م قاما بزيارة مملكة سوكوتو، ولاحظا أن خليفتها يتميز بعدة صفات حيث كان زاهدا، ورعا، كريما العفة و الحياء[1]وهي شهاد اعترف بها الغربيون من خلال ما تم ملاحظته وعايشتهم لسكان المنطقة اثناء زيارتهم في تلك الفترة.

وقبل مغادرة كلابارتون لمملكة سوكوتو كتب رسالة بعث بها إلى ملك إنجلترا يحثه فيها على حسن معاملة الرعايا المسلمين الافارقة[2]، كما طلب منه تزويده بطبيب و قنصل، إلا أنهما كانا يحتفظا بالمسيحية خوفا من مقتلهم.

ومن جهة أخرى فقد استطاع مُحَمَّد بللو ربط علاقات حسنة مع بعض الدول العربية، من بينها علاقته مع سلطان المغرب مولاي سليمان الذي أرسل له و لوالده الشيخ عثمان بن فودي رسالتين يشجعهما فيهما على حركتهما الإصلاحية و إحيائها للديانة الإسلامية في تلك الأقطار ويحثهما على مواصلة حركتهما التجديدية مقدما بذلك لهما كافة الدعم[3]، إضافة إلى علاقته مع ليبيا، طرابلس، و سلطان أهير مُحَمَّد الباقري وغيرها من الممالك العربية الاسلامية التي أعلنت دعمها للخلافة وكانت تسعى بكل الوسائل من أجل محاولة إقامة تحالف يسعى للتصدي للزحف الاروبي الصليبي على افريقيا بشكل عام والمنطقة بشكل خاص.[4]

4-نهاية مُحَمَّد بللو(وفاته):

[1]- علي أيوب ناجين: المرجع السابق، ص 120.

[2]- حسن ابراهيم حسن: المرجع السابق، ص 122، مُحَمَّد بيلو، المصدر السابق، ص 13

[3]-مُحَمَّد بللو: المصدر السابق، ص 13

[4]- للاطلاع أكثر يرجى الرجوع الى نص هذه الرسالتين الموجودتان في كتاب مُحَمَّد بللو، المصدر السابق، ص 292.

استطاع مُحَمَّد بللو أن يبسط سيطرته على الخلافة ويرسى دعائم الحكم الاسلامي على جميع أقاليم المنطقة التي كانت تحت لواء والده وبعد أن تمكن من القضاء على معارضيه في سنة 1236هـ ، 1820م حول عاصمته من سوكوتو إلى ورنو، نظراً لموقعها المنفرد بينها و بين غوبير، فهي تقع نحو خمسة و عشرين ميلا من سوكوتو، متخذا إياها رباطاً له و ذلك لموقعها الاستراتيجي بينه و بين غوبير و الطوارق، ورغب في أن يموت و يدفن بها مرابطا كما أن المنطقة كانت أكثر أمننا من مملكة سوكوتو التي بدأ يحوم حولها نوعا من الفوضى وحالة أللاستقرار[1].

لم يستطع مُحَمَّد بللو البقاء كثيرا في هاته المدينة إذا أن المرض ألزمه الفراش لمدة سبعة أشهر بسبب مرض أصابه، وعندما اقترب أجل وفاته أوصى أبناءه بألا يطلبوا الملك بعده، و رفض أن يعين خليفة من بعده، و سأله أحد قبل موته، تتركنا في يد من؟ قال : تركتكم في يد الله، فقال له: الشيخ قدمك في هذا الأمر، قال الشيخ يعرفني وأنا لا أعرف أحد منكم كمعرفة الشيخ لي، وأنا لا أوصي أحد يتنعم في ملكه، أعذب بسببه في البرزخ كلا، و لكن إياكم و الاختلاف والتفرقة وعليكم بكتاب وسنة نبيه[2].

3- أبرز مؤلفات مُحَمَّد بللو:

امتاز مُحَمَّد بللو عن باقي الخلفاء والملوك في عصره بغزارة تأليفه رغم انشغاله الدائم بشأن الرعية، ولعل مرد ذلك الى شغفه بالعلم وسعيه لطلبه، وتعمقه في أمور السياسة و الدين في آن واحد. فزيادة على انه كان رجل حرب و سياسة ، فقد كان أيضا يهتم بمشاكل رعيته الدينية و الدنيوية و الأخلاقية، فكان هذا من الأسباب التي جعلت إنتاجه يأتي بالإضافة إلى غزارته، متنوعاً في مواضيعه التي تجمع بين الدين وأمور الرعية .

فكثرت وتنوعت مؤلفاته بتنوع مشاغله، فجاءت معبرة عن شخصيته و بيئته التي كان يعيش فيها من اجل نشر رسالته الدعوية، مصورة لأهم الأحداث التاريخية التي عاصرها ، وللمميزات الاجتماعية لعصره، لقد ترك مُحَمَّد بيلو رصيدا

[1]-علي أيوب ناجي : المرجع السابق ،ص:120.

[2]-مُحَمَّد بللو :المصدر السابق،ص14.

مهما من المؤلفات التي لم يتركها أي عالم سوداني قبله و لا بعده، حيث كتب ما يفوق عن مائة مؤلف في مختلف مجالات الحياة[1].

ومن أبرز مؤلفاته نجد ما يلي :

1/ في الدين:

أفراد من يصلي الله عليه و ملائكته

إشارة و إعلام في بعض أمور صلة الأرحام

أقسام المجاهدين

الترجمان في كيفية وعظ الشيخ عثمان

تمهيد العباد، فيما زاد عن عمدة العباد

- 2- في التصوف:
- الدرر الظاهرية و السلاسل القادرية
- رفع الاشتباه، في التعلق بالله و بأهل الله
- البرد اللامع في الورد الجامع.
- البدو المسفرة في الخصال التي تدرك بها المغفرة
- كتاب الرغبة

3- في الجهاد:

أقوى أسباب النصر للمجاهدين

كتاب الرباط و الحراسة.

كفاية المهتدين في أمر المخلفين في المجاهدين

كشف الغطاء والستر في موالاة الكفار

قدح الزناد في أمر هذا الجهاد

4/ في التاريخ:

- إنفاق الميسور في بلاد التكرور، هو عبارة عن تاريخ علماء تكرور عامة بما في ذلك تحركات الفولاني، هذا بالإضافة إلى أوصاف المعارك الكلامية

[1]-مُحَمَّد بيللو: المصدر نفسه ،ص14-16

و الفكرية في مفهوم دار الحرب و دار السلام بين مُحَمَّد الأمين الكانمي سلطان برنو و عثمان بن فودي، مع وصف المعارك الحربية بدقة وصدق.

- البرد اليمني في أخبار أويس القرني[1]
- مفتاح السداد، في أقسام هذه البلاد
- النقول النواطق في شأن البربر و الطوارق

وثيقة إلى جماعة المسلمين

5-في الطب:

تلخيص مصوغ اللجين، في أمراض العين

تنبيه الإخوان على أدوية الديدان

طب النبي

الطب الهين في أوجاع العين

القول المنثور في بيان أدوية الباسور

6-في السياسة:

- الاتصاف في ذكر مسائل الخلافة من وفاق الخلاف
- أصول السياسة و كيفية المخلص في أمور السياسة
- إفادة الإخوان يتناول سياسة الإمام مع رعيته و متى يحق له عزل نفسه و تعيين غيره
- الإشاعة في حكم الخارجين عن الطاعة
- شفاء الأسقام في مدارك الأحكام

7-الشعر:

- تخميس البردة
- تخميس بانت سعاد
- تخميس همزية البوصيري
- منظومة في فتن المتصلة بخروج المهدي

[1]_

- شرح القصيدة الطائية البدماصية نسبة إلى أبي عبد الله شمس الدين مُحَمَّد البدماصي المالكي.

8-في العلوم:

- التنوير في علم التبصير.
- الكافي، في علم آل جعفر والخوافي
- سؤال جمع غفير عن شأن نجم طلع في صفر 1241هـ/ 1825م.

9-مراسلات و مواضيع مختلفة:

- رسالة إلى جماعة المسلمين
- رسالة في أصل السعادة
- رسالة للأمراض شافية فيها نصيحة لأغراض الكافية
- حاشية على مقدمة إيداع النسوخ وإيداع النسوخ هو مؤلف لعمه عبد الله بن فودي يتناول فيه تراجم للشيوخ الذين قرأ عليهم.

مما سبق ذكره حول شخصية مُحَمَّد بللو التي نشئت في بيت علم شربت منه مبادئ الشريعة الاسلامية الصحيحة المتشبعة بعقائد التوحيد لله والنافرة من الشرك والعقائد البدائية المشركة التي كانت تنتشر في المنطقة مما جعله يكرس حياته من أجل محاربتها والنهوض بمجتمع سليم متشبع بروح العقيدة الاسلامية الصحيحة القائمة على كتاب الله وسنة نبيه مُحَمَّد(صلى الله عليه وسلم) وهو ما استطاع الوصول إليه وعجز عنه سابقوه بشهادة بعض الاروبيون الذين زاروا المنطقة في عهده واحتكوا بسكانها.

خلاصة الباب الأول:

مما سبق ذكره نستنتج أن العائلة الفودية هي عائلة عريقة ضاربة في القدم ذات أصول معروفة في بلاد السودان بصفة خاصة، حيث تنتسب الى تلك القبائل الفولانية المنتشرة في إفريقيا، وتوارثت العلم أبا عن جد، على أننا اقتصرنا الحديث في هذا المجال على كل من عثمان بن فودي وأخاه عبد الله بن فودي ثم إبنه مُحَّد بيللو ويرجع سبب ذلك الى تحديدنا للمجال الزماني والمكاني والمتمثل في السودان الأوسط في فترة القرن التاسع عشر، حيث استطعنا الوصول الى معرفة حياتهم قبل وبعد بداية الحركة الاصلاحية الفودية ومعرفة العوامل والظروف العامة التي نشأة فيها هاته الشخصيات وبالتالي الوصول الى التأثير الحضاري الذي خلفته هاته الحركة وهو ما سوف نتناوله في الباب الثاني من هذا البحث الذي جاء تحت عنوان مظاهر إصلاحات العائلة الفودية.

البـــاب الثـانـــي

الباب الثاني : مظاهر إصلاحات العائلة الفودية

- الفصل الاول: أسباب وأسس الإصلاحات
- الفصل الثاني: الإصلاحات السياسية والعسكرية
- الفصل الثالث:الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية

الباب الثاني: مظاهر إصلاحات العائلة الفودية

الفصل الأول: أسباب وأسس الإصلاحات

01/ أسباب الإصلاحات

الحديث عن الإصلاحات التي قامت بها العائلة الفودية في بيئتها والتي شملت كل المجالات، يجرنا للبحث عن تلك الأسباب والدوافع التي أدت إلى ظهورها وبالتالي معرفة الأوضاع المختلفة التي كانت سائدة في المنطقة قبل ظهور تلك الحركة ومن أبرزها ما يلي:

1 –1 الحياة السياسية في السودان الأوسط قبل ظهور الإصلاحات

كانت الأوضاع السياسية في منطقة بلاد السودان الأوسط تسودها حالة من الفوضى والحروب المتتالية، حيث أن كل قبيلة تعيش في استقلالية عن الأخرى وهذا ما يؤكده مُحَمَّد بيللو متحدثا عن ممالك الهوسا قائلا: "وهذه الأقاليم السبعة قد كان فيها من العجائب والغرائب أمور كثيرة وأول من وهبت له الدولة فيها على ما زعموا آمنة بنت زكزك، غزت هذه البلاد واستولت عليها قهرا حتى أدت إليها الخراج من كاشنة وكانو وغزت بلاد بوش حتى وصلت البحر المحيط من جانب اليمن."[1]

ولم تستطع القبائل الكبرى ان تفرض لغايتها وعاداتها وتقاليدها على الشعوب التي كانت تسيطر عليها أحيانا مما يجعل استحالة تكوين وحدة سياسية شاملة موحدة إذا ما استثنينا البعض منها على غرار مملكة كانو ومالي أو مملكة صنغاي هاته الأخيرة التي عرفت انتعاشا واتساعا جيو استراتيجي خاصة في فترة حكم الأسكيا مُحَمَّد بن أبي بكر الطوري (1493هـ – 1528 م) حيث استطاع السيطرة على عدة أقاليم مثل مالي التكرور والهوسا والصحراء الشمالية.[2]

وحاول بكل قواه لم الشعب والقبائل باختلاف لغاتها وعاداتها تحت راية واحدة، واستطاعت الصمود كثير رغم المتناقضات التي كانت تحويها في كيانها السياسي إلى أن سقطت إثر الحملة التي شنها المنصور الذهبي المغربي وتسقط 1591م،[3] على أن المغاربة لم يستطيعوا التحكم والسيطرة على أقاليم المنطقة كلها، إذا ما قمنا باستثناء كل من جاو

[1] مُحَمَّد بللو: انفاق الميسور، المصدر السابق، ص68.

[2] عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الاسيقين، الجزائر، الشركة الوطنية، للنشر والتوزيع، ب.ت، ص39.

[3] حسن ابراهيم حسن: انتشار الاسلام في القارة الإفريقية، ط3، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1984، ص113.

وتمبكتو وجني التي كانوا يقومون باستخدامها كقواعد عسكرية، ولعل مرد ذلك إلى تلك الثورات الداخلية التي كانت تقوم بها قبائل الفولاني والطوارق والبمبارا التي اعتادت على حياة السلب والنهب وعدم الخضوع للأجنبي[1].

وما يمكن ملاحظته على منطقة بلاد الهوسا هو التشتت والانقسام والصراع الدائم بينهم، فبالرغم من وجود عوامل الوحدة والقوة كاللغة والتشابه في العادات والتقاليد إلا أنهم لم يستطيعوا النجاح في إقامة كيان سياسي موحد إلا في عهد عثمان بن فودي[2].

ونجد أن ولايات الهوسا كانت في صراع دائم فيما بينها فكلما قوى نفوذ ولاية معينة إلا وسعت للتوسع على حساب جارتها قصد إخضاعها لسيطرتها وهو ما يؤدي إلى ضعفها وتعرضها للسيطرة الأجنبية[3] في حين أن بعض الممالك استطاعت لفترات طويلة ان تحافظ على قوتها، مثل مملكة "كاب" التي صمدت لأكثر من قرن من الزمن وبسطت نفوذها على معظم مناطق بلاد السودان الأوسط إلى أن سقطت مع بداية القرن الثامن عشر على يد سلاطين "غوبر" و"اهير" و"زنفرا" وقاموا باقتسامها فيما بينهم لتظهر على مسرح الوجود مملكة "زنفرا"[4] كوريثة لممالك الهوسا لكن زعامتها لم تدم طويلا حيث سقطت على يد سلطان غوبر سنة 1864م هاته الأخيرة التي استطاعت أن تسيطر على العديد من المناطق على غرار كانو، كاتسينا، غرما، بل وصلت حدودها الإقليمية إلى غاية الجنوب بفضل قوتها العسكرية.[5]

ومما سبق ذكره نصل إلى ان منطقة بلاد السودان قبل قيام الحركة الإصلاحية للشيخ عثمان بن فودي مع مطلع القرن التاسع عشر كانت تشهد اضطرابات سياسية وكان العداء سائدا بينهم ولم يجد الأمن والاستقرار طريقا لهم مجسدا بذلك التفرقة السياسية التي كانت خارطتها كما يلي:

. مملكة برنو وكانت سيدة على منطقة الجنوب الشرقي .

. الشمال الغربي تحت حكم مملكة غوبير

---

[1] عبد الرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا، مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1958، ص84.

[2] محمد بيللو: انفاق الميسور في بلاد التكرو، مصدر سابق، ص32.

[3] Kami.A.M : The political and soaal basis of thesokoto jihad. Seminor pobers of Department of vistory.Ahmadu Bello university Zarid 1981. p11.

[4] آدم عبد الله الألوري: موجز تاريخ نيجيريا، ب ط، مكتبة الحياة، بيروت، 1965، ص78.

[5] حسن عيسى عبد الظاهر: الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا، مرجع سابق، ص144.

. مملكة نيب شهدت ضعفا كبيرا بسبب الحروب الأهلية

. مملكة زاريا وكاتسينا كانتا مستقلتين شكليا أما واقعيا فكانتا تحت وصاية مملكة برنو.

. مملكة برنو كانت تحاول السيطرة على الأقاليم المجاورة لهافي كل الجوانب.[1]

وبالتالي فإن هذا التمزق السياسي ساهم بشكل كبير في ظهور الاضطرابات والفوضى التي أدت إلى ظهور اللأمن فلم يعد الإنسان يأمن على نفسه وماله وعرضه وهو ما أثر سلبا على الحياة اجتماعية والاقتصادية في المنطقة.

2-1الأوضاع الدينية

تؤكد بعض المصادر التاريخية الإسلامية القديمة بأن وصول الإسلام إلى منطقة السودان الأوسط كان منذ القرن الثامن الميلادي بواسطة التجار المسلمون الذين كانوا همزة وصل بين شمال إفريقيا والسودان مرورا بالصحراء الإفريقية الكبرى، ثم قوية دعامة الإسلام في القرن 13م بعد النفوذ الذي عرفته الدولة المرابطية [2] حيث استطاع الإسلام أن يتغلغل إلى معظم القبائل الإفريقية الكبرى على غرار شعوب الهوسا، التي بدأت قبائلها تعتنق الإسلام فرادى وجماعات على أيدي فقهاء مملكة مالي الإسلامية خاصة بعد مراسلة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي لسلطان إمارة "كانو" داعيا إياه إلى محاربة كل أنواع الشرك والمظاهر الاجتماعية المحرمة (شرب الخمور وكشف العورة...الخ) .

وبحكم الموقع الجغرافي للمنطقة وتوسطها لمختلف مناطق القارة جعلها همزة وصل ومكان تفاعل لمختلف الحضارات وأبرز تأثير عليها كان من منطقة شمال إفريقيا حيث بفضلها استطاع الإسلام أن يتوغل في داخل بيئاتهم ويرسخ إلى يومنا هذا،منذ القرن الثاني للهجرة الموافق للقرن الثامن ميلادي نتيجة عدة عوامل ولعل من أبرزها:

الفتح الإسلامي.

كان للفتوحات الإسلامية التي تواصلت بعد وفاة الرسول (ص) دورا كبيرا في انتشار الاسلام في مختلف مناطق العالم وخاصة في افريقيا خلال حكم الخليفة عمر بن الخطاب عندما طلب من عمرو بن العاص التوجه نحو فتح مصر سنة 19هـ واستطاع الاسلام بفضل سماحته وبساطته ان يجلب الكثير من الأفارقة الى اعتناقه بطرق سلمية دون مشقة على أن الاسلام تلائم مع مختلف البيئات

[1] زاهر رياض: الممالك الاسلامية في غرب إفريقيا ، مرجع سابق، ص290.

[2] أحمد عمر عبيد الله: الاسلام في نيجيريا، مجلة رسالة الجهاد،العدد 89 ليبيا، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان،مارس 1990، ص 11.

الإفريقية [1]وهو ما يؤكده قول توماس أرنو لد: "أن ما كان يلقاه السود الوثنيون من ترحيب المسلمين بدخولهم في الاسلام هو الذي كان يرغبهم في الانضمام الى مجتمع ديني تتطلب حضارته التي تفوق حضارتهم أن يؤثروا التخلي عن كثير من عاداتهم وطباعهم البربرية، ومما يساعد في نفس الوقت مساعدة كبيرة جدا على تفسير نجاح هذا الدين أن مجرد الدخول في الاسلام يدل ضمنا على الترقي في الحضارة، وأنه خطوة جد متميزة في تقدم القبيلة الزنجية عقليا وماديا"[2].

كما أن الاسلام أخي بين جميع طوائف المجتمع وضمن الحقوق والواجبات وهو ما جعل الأفارقة يعتنقون هذا الدين بشكل كبير خاصة بعد معاناتهم الشديدة من الذل والعبودية تحت وطأة الوثنية ،الدعاة المسلمون كانوا منذ البداية يدعون الى المساواة ونبذ التفرقة والعنصرية بكل أشكالها الجنسية والعرقية والطبقية التي كانت متفشية في المجتمعات الإفريقية[3].

ومن ناحية أخرى فان الاسلام لم يكن دين سماوي بتعاليمه فحسب بل كان يحمل في ثناياه حب العلم والسعي للتزود بالمعارف الأمر الذي فرض على الزنوج ضرورة معرفة القراءة والكتابة قصد إثراء رصيدهم الثقافي بعلوم الدين وهو ما زاد من الانتشار الواسع للكتاتيب وحلقات الذكر وهو ما دفع الأفارقة للتنافس واعتناق هذا الدين الجديد.[4]

التجارة والتجار:

كان الدين الإسلامي يرافق القوافل التجارية التي كانت تجوب الصحراء الإفريقية وتربط بين شمال إفريقيا ومناطقها الأخرى وبحكم معاملات المسلمين التجارية وممارسة عباداتهم اليومية من صلاة وصيام وقيام أثناء مكوثهم بهاته البلدان، مما جعل السكان المحليين يتهافتون أفرادا وجماعات من أجل معرفة هذا الدين واعتناقهم بل وأحيانا وصل الأمر إلى ملوك وقادة أفارقة، مما سهل مهمة انتشار الدين الإسلامي بين عامة الناس كما صاحب انتشار هذا الدين ظهور مراكز علمية لمعرفة الإسلام وتعاليمه وتلقين مبادئه لمختلف شرائح المجتمع على غرار مدن كانو، كاتسينا وزاريا حيث شهدت

[1]حسن أحمد محمود : الاسلام والثقافة العربية في افريقيا ،مرجع سابق ،ص37.

[2]أرنولد السير توماس : الدعوة إلى الإسلام (بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية)، ترجمه إلى العربية وعلق عليه د حسن إبراهيم حسن ود عبد المجيد عابدين وإسماعيل النحراوي، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1957،ص396.

[3]حسن علي ابراهيم الشيخي :تأثير الاسلام وثقافته في السودان الغربي منذ ق11م الى نهاية ق16م ، أطروحة دكتوراه، إشراف مُحَّد علي مُحَّد الطيب، قسم التاريخ والحضارة الاسلامية ،كلية الآداب، جامعة أم درمان الإسلامية، الموسم الدراسي2009/2008، ص200.

[4]حسن أحمد محمود :الاسلام والثقافة العربية في أفريقيا، مرجع سابق ،ص37.

هاته المدن زيارة العديد من العلماء أمثال الشيخ مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي ،الذي كان يسعى دائما لمحاربة البدع وتطهير الدين الإسلامي من الشوائب الوثنية التي لحقت به.[1]

وبحكم الاحتكاك القائم بين منطقة بلاد المغرب والسودان الغربي فقد كان من الطبيعي أن ينتشر المذهب المالكي بينهم في إطار معاملاتهم الدينية (الفقهية) والدنيوية، وكان يتم تعيين القاضي من طرف الحاكم ويشترط فيه التفقه في الدين والمعرفة بأموره، ثم تحول فيما بعد منصب القاضي يخضع إلى التوارث حتى ولو لم يكن عالما بذلك.[2]

كما استطاع التجار الوافدون من تمبكتو أن يستقروا بكل من "كانو" و"كاتسينا" إثر ازدهارالتجارة الهوسوية محاولين بذلك نشر المذهب المالكي وهو ما أعطى دفعا قويا لانتشار الإسلام بالمنطقة واستقراره.[3]

تعتبرمملكة "كانو" من أسبق ممالك الهوسا[4]دخولا للإسلام ،وذلك منذ القرن8هـ، 12 م من خلال تلك الروابط الحضارية التي كانت تجمعها مع مملكة مالي لتصبح مركز إشعاع حضاري كبير قبل أن تنافسها مملكة برنو بينما مملكة زاريا (زكزك) لم يصلها الإسلام إلا بعد حركة الشيخ عثمان بن فودي في عهد أميرها "جاتاو" (1776-1806) في وقت كانت مملكة كاتسينا التي كانت تعتبر بمثابة معبر للقوافل التجارية القادمة من تمبكتو نحو برنو وهو ما جعلها تأخذ شهرة كبيرة في مجال التجارة وتتحول إلى مركز ثقافي إسلامي خاصة في عهد أميرها "مُحَمَّد كوراو."[5]

وما يمكن الإشارةّ إليه هنا هو أن هاته الممالك كانت تعيش صراعات سياسية فيما بينها حول مناطق النفوذ مما جعل استحالة اتخاذها تحت راية واحدة، بالرغم من انتشار الإسلام وتوغله في أجزاء

---

[1] مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد السكاكر: دعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن فودي، مرجع سابق، ص66.

[2] عبد القادر زبادية:مملكة سنغاي في عهد الأسقيين: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص76.

[3] أحمد مُحَمَّد كاني: ضياء السياسات وفتاوى النوازل، دار الزهراء للأعلام العربي، ط1، 1988، ص14.

[4] ممالك الهوسا هي سبع أصلية يطلق عليها (هوساباكواي) وهي غوبر،زكزك، دووا،كانو، كاتشة(كاتسينا)، جازان جايا(بيرام)، وأنواعها ، كما يوجد سبع ممالك فرعية يطلق عليها (بانزابا باكواي) وهي زنفرا، كب، ياور، نفي، يرب،برغ، غرم ، ينظر حسن عيسى عبدالظاهر: الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفولاني مطلع ق12هـ 19م، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الرياض، 1981 ص133.

[5] Hogben,S.J: Antruduction to history of the Islamic States Of Noryheran Nigeria ,Oscford University press ,1967,p82.

كبيرة من أقاليمها[1] واستمر الصراع طويلا بين هاته الممالك الإسلامية مما جعلها هدفا للتدخلات الخارجية.

الطرق الصوفية

كانت الطرق الصوفية إحدى أهم العوامل التي تلاءمت مع دهنيات الفرد الإفريقي تحت ظل الاسلام حيث لم تقم بإلغاء معتقداته الوثنية السابقة بشكل كلي ومباشر، وانما عن طريق التدرج فمثلا أحيانا كان يحضر حلقات الذكر الصوفية بعض العصاة المخمورين حتى يتم استمالتهم للدين الاسلامي[2]،كما إنهم كانوا يصفون أشياء وجدانية وخر وقات لامادية محسوسة داعين بذلك الى الزهد والتقرب الى الله بالصلاة والصيام والدعاء، والتقرب الى الله بأعمال الخير كما أن اتصاف شيوخ الطرق الصوفية بخصال حميدة كالتواضع والتقوى والصلاح، وهو ما جعل الأفارقة يحتكون بهم ويحاولون تقليدهم ثم أصبحوا دعاة مثلهم، ناهيك عن استعمال بعض الطقوس الصوفية التي كانت شبيهة بثقافة الأفارقة كاستعمال الطبول والدف في مجالس الذكر.[3]

جدير بالذكر أنه كان لكل طريقة صوفية شيخ وأتباعه ومريديه الذين يظهرون له الولاء التام والامتثال لأوامره والمساهمة بشكل مادي في تقديم ما جادة به أيديهم، ووصلوا أحيانا الى بناء المساجد والمدارس وكانوا يسعون دوما لتحقيق التكافل الاجتماعي بين مختلف شرائح المجتمع وأحيانا يقومون بجع الأموال من أجل تحرير العبيد مقابل دخولهم الى الاسلام.[4]

وانتشرت في منطقة السودان الأوسط طرق صوفية عديد مثل: الشاذلية والتيجانية والقادرية حيث ان هاته الأخيرة كانت منتشرة بشكل كبير في منطقة شمال افريقيا نظرا لكون نواتها الاولى ظهرت على يد ابي مدين الغوث الذي قابل الشيخ عبدا لقادر الجيلاني في مكة أثناء تأدية فريضة الحج ثم وضع نواة هاته الطريقة في مدينة فاس وانتشرت بشكل كبير في مراكش ومنها انتشرت الى باقي المناطق مرورا بمنطقة توات وولاته ثم تنمبكتو وغاو وباقي الحواضر الإفريقية، بفضل النشاط الدائم لقبائل الكنتية ومنهم الشيخ أحمد الكنتي الكبير والشيخ المختار الكنتي الكبير بالإضافة الى الشيخ مُحَمَّد بن

[1]عبد الرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا، مرجع سابق ص84.

[2]ابن خلدون عبد الرحمن: المقدمة ،مصدر سابق ،ص298.

[3]مطير سعد غيث: التأثير العربي الإسلامي في السودان الغربي ،مرجع سابق،ص179.

[4]حسن ابراهيم حسن: انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، ط2، مكتبة النهضة العربية، القاهرة،1948، ص42.

عبد الكريم المغيلي وغيرهم حيث كان لهؤلاء دورا كبيرا وفعالا في انتشار الطرق الصوفية خاصة القادرية ومن ورائها انتشار الاسلام.[1]

وعليه فقد اكتسب نشاط دعاة الطريقة القادرية طابع السلمية من خلال اعتماده على النصح والإرشاد وهو ما ساعد على زوال العديد من المعتقدات الفاسدة التي كانت متفشية داخل المجتمعات الإفريقية وجعل الناس يدخلون أفواجا الى الدين الإسلامي.

3 الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية

من الناحية الاجتماعية لمنطقة السودان نجد أن تركيبة المجتمع كانت عبارة عن أجناس بشرية متعددة القبائل والأصول، مما يجعلها تختلف في العادات والتقاليد والثقافات المتوارثة عن الأجداد، فالمجتمع الهوساوي مثلا كان يتشكل من الحضر الذين امتازت سكناتهم بالحصانة والحماية المنيعة خوفا من الغزاة، أما البدو فكانوا يعيشون حياة التنقل والترحال بحثا عن الكلأ وهم بذلك يشكلون فئة قليلة من المجتمع.[2]

والمجتمع الحضري كان يخضع في سلطته إلى كبير السن في القرية وكانت كل قبيلة ترى غيرها من القبائل عبيدا لهم مما يجعلها في حالة تأهب دائم للإغارة عليها وسلبها مما يؤدي إلى انتشار ظاهرة الاسترقاق بينما علاقة الرعية بالحاكم فكانت أحيانا يسودها نوعا من الظلم والكراهية بسبب الضرائب المجحفة في حقهم الأمر الذي خلق فجوة بين الحاكم والمحكوم[3].

أما الصنف الثاني من سكان السودان هم البدو الذين كانوا فئة قليلة من السكان الذين يمتهنون حرفة الرعي وغالبيتهم من الفولانين حيث اختلفت عاداتهم وتقاليدهم من قبيلة إلى أخرى وتشبثوا بها حتى بعد دخولهم الإسلام، كما غلب على طابعهم الشجاعة والاندفاع نحو الحرية وهي صفات اكتسبوها من طبيعة البداوة.[4]

كما أنهم لم يسلموا بدورهم من ضريبة الرعي التي كانت تسلط عليهم من طرف الحكام، وكانوا يلجئون غالبا إلى سكان الحضر من أجل التزود بالمواد الفلاحية التي تتميز بها المنطقة كالذرة، الأرز

---

[1] عزيز بطران :الشيخ المختار الكنتي الكبير ودوره في نشر الاسلام والطريقة القادرية في الصحراء وغرب افريقيا ،مجلة البحوث التاريخية،عدد2،مركز دراسات جهاد الليبين ضد الغزو الإيطالي ،طرابلس،1981،ص314.

[2] حسن ابراهيم حسن: انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، مرجع سابق، ص16.

[3] مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد السكاكر: دعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن فودي ، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1998،ص56.

[4] شيخو أحمد سعيد بلادنت: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا ، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ، ص42.

والمنجو وغيرها من المنتجات الزراعية باعتبارها النشاط الأول لمعظم سكان الحضر ويستخدمون أدوات مصنوعة محليا بالإضافة إلى استعمالهم لفضلات الحيوانات كأسمدة وبقايا النبات بعد حرقها.[1]

ومع تزايد النشاط الزراعي بالسودان الغربي تضاعفت بذلك المبادلات التجارية بعد أن كانت تمارس على المستوى المحلي، لتشمل أبعاد مختلفة وتتوسع خارج ممالك الهوسا السبعة إلى ما جاورها من الأمم والشعوب الإفريقية مما ساهم في انتشار لغة الهوسا، ومن أبرز أصناف التجارة إقبالا نجد تجارة الرقيق التي أصبحت رائجة بعد دخول الأوروبيون المنطقة لكونها كانت تدر أمولا طائلة للقبائل الإفريقية والدول الأوروبية على حد سواء، كما أن تجارة المقايضة ازدهرت مع منطقة شمال إفريقيا، حيث كانت تتم مقايضة الذهب بالملح وبعض المنتجات الصناعية مما أكسب المنطقة أهمية كبيرة عن باقي مناطق افريقية[2].

وبالتالي يمكن أن نستنتج مما سبق بأن الأوضاع العامة بمنطقة السودان قبل قيام حركة عثمان بن فودي الإصلاحية تميزت بانتشار الإسلام بصفة كبيرة لكنه لم يكن يخلوا من الشوائب والخرافات الوثنية الدخيلة على الإسلام كتقديس بعض الأماكن والاستعانة بالسحرة والمشعوذين والحلف بغير الله وشرب الخمور والقمار وجلسات اللهو والاختلاط بين الجنسين وما يصطحبه من موبقات شتى[3].

كل هاته البدع والخرافات كانت منتشرة بين المجتمعات الإسلامية في غرب إفريقيا مما جعل الشيخ عثمان بن فودي ومن جاء بعده من المصلحين يسعون جاهدين لتغيير هاته الذهنيات ومحاولة تطبيق الإسلام الصحيح الخالي من الشوائب.

ومما سبق ذكره نستنتج أن منطقة السودان قبل قيام حركة الشيخ عثمان بن فودي كانت تعيش صراع دائم فيما بينها، مما يجعلها في تجزئة سياسية دائمة بالرغم من وجود عامل الدين كأساس لقيام وحدة سياسية متجانسة تحت راية واحدة، الأمر الذي أثر سلبا على الحياة الاجتماعية والاقتصادية بالمنطقة.

[1] دنيس بولم: الحضارات الإفريقية، ترجمة علي شاهين، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1974،ص 195.

[2] زاهر رياض: الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، مرجع سابق، ص 288.

[3] عثمان بن فودي: إحياء السنة وإخماد البدعة، ط2، المكتبة الإفريقية للطبع والنشر، القاهرة، ب ت، ص 102.

3 طرق الإصلاح عند الفوديون:

من أجل نجاح الدعوة الاصلاحية للفوديون سعوا لاستخدام كل الوسائل الفكرية والعلمية من وعظ وإرشاد واتصال بمختلف القبائل والملوك وصولا إلى استخدام الأسلحة لمواجهة أعداءهم.

أما عن الطرق الفكرية فقام عثمان بن فودي بتقسيم أفراد مجتمعه حسب عقيدتهم إلى مسلمون حقيقيون متمسكون بالتعاليم الحقيقية للدين الإسلامي، أما الفئة الثانية فهم الذين يخلطون العقيدة الإسلامية بأعمال المشركين، والفئة الثالثة تتمثل في الكفار الذين لم يدخلوا إلى الإسلام بعد ولا زالوا متمسكين بمعتقداتهم الدينية التي ورثوها عن أجدادهم.[1]

وبعد تقسيم فئات المجتمع على حسب المعتقد سعى لتخصيص معظم أوقاته للوعظ والإرشاد والتنقل من مكان لآخر قصد تصحيح المعتقدات الدينية، فخصص يوم الجمعة للوعظ وإبراز التعاليم الأساسية للإسلام أما بعد صلاة العصر من كل يوم فكان يخصصه لتدريس القرآن والأحكام الفقهية، وما يمكن ملاحظته في طريقة شرحه وتدريسه للفقه فقد كان ينطلق في إرشاداته الإسلامية من أولها إلى آخرها ويتم شرحها بأسلوب بسيط وعلمي حتى يتسنى للمتلقي تقبلها بطريقة عقلية، انطلاقا من أبسط الأمور إلى أصعبها مسايرا في ذلك علماء الصوفية القادرية.[2]

وعن استخدام الفوديون للوسائل العلمية فتمثلت في دعوتهم لملوك وسلاطين الممالك المجاورة لهم خاصة مملكة غوبير التي كانت تشكل قوة عسكرية كبيرة في عصره وتأتي دعوتهم للملوك بعدما جنوا ثمارها من دعوتهم لعامة الناس وبعض علماء عصرهم، وكان هدفهم من دعوة الملوك والسلاطين هو اعتناق الإسلام الصحيح باعتبارهم قدوة لرعيتهم ويتقبلون الدعوة الإسلامية، إما رغبة منهم أو خوفا من بطشهم وأصدر عثمان بن فودي فتوى تقضي بضرورة دعوة الحاكم إلى الإسلام الصحيح والنهي عن المنكر وإذا لم يقم العالم بذلك وسكت فيعتبر مشاركا معه في البطش والظلم[3].

[1] مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد السكاكر: دعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن فودي، مرجع سابق، ص187.

[2] مُحَمَّد بيلو: انفاق الميسور في بلاد التكرور، مرجع سابق، ص56.

[3] عثمان بن فودي: إحياء السنة وإخماد البدعة ، مصدر سابق، ص211.

مما سبق يمكن ان نفسر نجاح الدعوة الإصلاحية للفودين هو قيامها على أسس ومرتكزات عديدة ومتكاملة شملت كل شرائح المجتمع التي لها فاعلية في التجديد كل ذلك من أجل القضاء على الوثنية والمعتقدات الدخيلة على الإسلام.

الفصل الثاني: الإصلاحات السياسية والعسكرية

1)الإصلاحات السياسية.

بحلول سنه 1810م كانت حركه الجهاد التي قادها الشيخ عثمان بن فودي في أوج قوتها، مما أهلها لإقامة خلافه إسلامية مستقلة ذات حدود جغرافية واسعة، ويخضع لها مليون فرد من مختلف القبائل والأجناس تحت راية واحدة، في حين كانت منطقه بلاد الهوسا في وقت سابق صفة الحروب والصراعات غالبة على شعوبها، مما أدى الى مشكلة انعدام الأمن بالمنطقة وانتشار ظاهره الاسترقاق.[1]

وترتب عن تلك النجاحات التي استطاع عثمان بن فودي ان يحققها مع أتباعه في هذه المنطقة من افريقيا، ان يقوده الى إعادة الاعتبار في المسؤوليات والتحديات التي أصبحت تمثل لبنه أساسية لقيام دولة إسلاميه حديثة، على أنقاض الممالك الوثنية، مما استوجب ضرورة التجسيد لإصلاحات سياسيه وإقتصادية واجتماعيه ودينيه تحت إطار مملكة واحدة، الأمر الذي جعل عثمان بن فودي يقوم بتقسيم الحكم بين ابنه مُحَمَّد بيللو وأخاه عبد الله، حيث وضعوا لأنفسهم نواب على مستوى الأقاليم مثل تعيين "عمر بن دلاج" على اقليم كتشنا و"يعقوب" في اقليم بوشي و"موسى" في اقليم زكزك و"ابراهيم" في اقليم برنو.[2]

بظهور شخصية عثمان بن فودي أدى الى ظهور نمط جديد في التسيير السياسي، فبدلا من حكم السكان المحليين وفق تقاليدهم القديمة ومعتقداتهم الوثنية، فظهر نمط جديد يختلف عن السلطة السياسية التقليدية، وأصبح الحكم بيد الفقهاء والعلماء وهو ماساعد بشكل كبير في انتشار الاسلام في مختلف الأقاليم[3]في مقابل ذلك فقد كان يصعب تطبيق المركزية في التسيير الإداري، بسبب اتساع المساحة وهو ما جعله يلجأ الى استحداث نظام الدواوين الذي يتلائم مع خصوصية البيئة وسكانها،[4]وهو نفسه نظام التسيير الذي كانت تعتمده الدولة العباسية في حكمها لأقاليمها المترامية الأطراف.

لقد نتج عن هذا النجاح الكبير الذي استطاع الشيخ أن يحققه مع أتباعه متمثلا في نشأة كيان سياسي موحد جديد ذو حدود مترامية الأطراف تخضع له جميع ممالك الهوسا التي كانت منقسمة بالإضافة الى اقليم برنو مما تولد لدى الشيخ عثمان مهام أخرى جديدة تضاف الى مهام الدعوة

---

[1] عبد الله عبد الرزاق ابراهيم : الإسلام والحضارة الاسلامية في نيجيريا ،ب.ط،مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة، ب.س،ص 52.

[2] أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي ،ج06،مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة،ص 116.

[3] عبد الله عبد الرزاق ابراهيم : الإسلام والحضارة الاسلامية في نيجيريا،نفسه ، ص 47.

[4] مُحَمَّد باي بلعالم : قبيلة فلان في الماضي والحاضر وما لها من العلوم والمعرفة والمآثر، الجزائر، سنة 2004، ص 113 .

والجهاد في سبيل الله، فكان لزاما عليه أن يقوم بتوحيد الإمارات وتنظيم شؤونها فانتقل الى مدينة سوكوتو التي أصبحت عاصمة الدولة، ثم منها انتقل للاستقرار في منطقة تدعى " السيفاوا" التي تبعد عنها حوالي 40ميلا[1] ويتفرغ للدعوة والتأليف وذلك بعدما قام بتقسيم مسؤولية حكم الدولة الاسلامية سنة 1812م بين أخيه عبد الله وابنه مُحَمَّد بيللوكما يلي:

. القسم الشرقي : تحت حكم أبنه مُحَمَّد بيللو كان يضم كل من مناطق باوتشي، داورا، كاتسينا، زنفرا، كتاغون، كانو.

. القسم الغربي: تحت حكم أخيه عبد الله بن فودي، ويشمل على ليبتاكو، ديندي، ألورين، برغو، غواندو بالإضافة الى بلاد نوبي.[2]

كما قاما بدورهما بتعيين نواب لهم على مستوى الأقاليم من أجل مساعدتهما في شؤون إداراتها، وتسلم لهم أعلاما خضراء دلالة على التبعية والاعتراف بالحاكم، ومنهم (مويوجو) في إقليم "كب" و(أبالحامد)في إقليم "زنفرا" و(عمر دلاج) في " كاتسينا" و(إسحاق) في " دورا" و(موسى) في "زاريا" و (سليمان بن أبجم) في "كانو" و(إبراهيم زاكي) في "برنو كاناجم" و (أبابكر وأخاه داجما) على إقليم " برنو هاديجيا" و (ليرليما) في " برنو مارمار" و(مُحَمَّد ماجنا) في اقليم " ميسو" و(مُحَمَّد نيما) في الغرب و (مُحَمَّد وابي) في منطقة " جاماري" و (بوبابرو) في " جومبي" و (يعقوب) في "بوشي" و(أداما) في إقليم " أدماوا" و (مُحَمَّد الحاج أمين) في منطقة "باجرمي"[3] وغيرها من باقي المناطق التي كانت تخضع لحكم هاته سواء بصفة مباشرة أو مستقلة استقلال ذاتي مع إعلان الولاء للحاكم .

وما يمكن ملاحظته من الناحية الإدارية حول تسيير أمور هاته الدولة أنها اتبعت نظام سياسي مغاير لطريقة الحكم المتبعة في بلاد السودان في تلك الحقبة، ويظهر ذلك جليا من خلال وضع نظام الدواوين الذي كان يتبعه الحكام العباسيين دلالة على مدى إطلاعهم وتأثرهم بهم كاستحداث ديوان الخلافة العامة والوزارة وديوان القضاء وديوان الجهاد وقسم للغنيمة وديوان الكتابة وديوان رد المظالم، بالإضافة الى قسم الصلاة وقسم الصدقة والحج والسنة وغيرها من الأمور الدينية التي يحتاج إليها الفرد

[1] براميا باري عثمان : جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، ط01، دار الأمين، مصر، سنة2000م، ص 115.

[2] آدم عبد الله الآلوري: موجز تاريخ إفريقيا، مرجع سابق،ص 115.

[3] عبد الرزاق ابراهيم : الإسلام والحضارة الاسلامية في نيجيريا،مرجع سابق ، ص 51.

المسلم في حياته اليومية كما قام بتحديد وضبط مهام كل ديوان من هاته الدواوين[1] حتى يتسنى إرساء معالم الدولة الاسلامية الموحدة.

وشهدت هاته الدولة نهضة حضارية راقية في شتى المجالات بسبب الأمن والاستقرار وعدالة التسيير المستمد من الشريعة الإسلامية، حتى أصبح يطلق عليها الخلافة الإسلامية ولقب الحاكم بأمير المؤمنين، واتخذت من مدينة سوكوتو عاصمة لها وقسمت البلاد الى عشرون ولاية وكل مقاطعة قسمت الى قرى ويحكم هذا التنظيم مجموعة من العمال تحت إشراف الأمير الذي كان يلقب بالأمير الكبير، بينما حاكم المدينة كان يدعى الأمير الصغير على أن بعض الأقاليم كانت تمتاز بالاستقلال الذاتي في التسيير مثلما هو الحال بالنسبة لقبائل الطوارق التي انضوت تحت خلافة عثمان بن فودي بالاسم فقط[2]دلالة على قدرته في التسيير والتسامح الدبلوماسي[3] .

أما عن نظام الحكم الذي انتهجه الشيخ عثمان بن فودي ومن جاء بعده كان مشابها لتلك الأنظمة السائدة في الدولة العباسية في تلك الحقبة دلالة على ذلك التفاعل والاحتكاك الحضاري الذي كانت تشهد الدولة الإسلامية مشرقا ومغربا، وكرسه الشيخ في النظام الاتحادي الذي يعطي صلاحيات واسعة للحاكم في التسيير، على أن الحاكم كان يجمع بين صفتي الخلافة والإمامة وهو ما يعطي الصفة التامة للخليفة في تعيين وتكليف من يشاء في مختلف المناصب شريطة أن يكون أهلا لها بعيد عن النظام الملكي الوراثي المطلق[4]وهو ما يعطي الصبغة الديمقراطية في التسيير .

ومن جهة التسيير الإداري فقد كان الخليفة غالبا ما يلجأ في تحديد قراراته الى مجلسين لكبار علمائه ومستشاريه، أحدهما يدعى المجلس الاستشاري الذي يضم المساعدين والأعوان المكلفين بمختلف المهام المنوطة بهم، أما المجلس الثاني فهو بمثابة مجلس تنفيذي للقرارات المجلس الاستشاري وأوامر الخليفة حيث يضم القاضي والمحتسب والوزير، على أن الخليفة يسهر بصفة مباشرة على ضمان حقوق الرعية وتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية بالإضافة الى ضمان أمن الأشخاص وحماية حدود الدولة من الاعتداءات الخارجية التي تلحق بها[5].

---

[1]مهدي رزق الله أحمد: حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقيا قبل الإستعمار وآثارها الحضارية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط01، سنة 1998،ص 255.

[2]أحمد محمد كاني : حركة الجهاد الاسلامي في غرب إفريقيا ،مرجع سابق، ص64.

[3]السر أحمد العراقي : نظام الحكم في الخلافة الصكتية ،ط01، مرجع سابق، ص، 88.

[4]عبد الله عبد الرزاق ابراهيم: حركة الشيخ عثمان في غرب افريقيا وآثارها الدينية، مرجع سابق، ص 255 .

[5]أحمد بوعتروس:الحركة الإصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء، مرجع سابق، ص 159.

ان المتتبع لهاته الديناميكية في التسيير الإداري لنظام الحكم عند عثمان بن فودي، يمكن أن يستنبط مدى التشابه والترابط الوثيق مع الدولة العباسية في إدارتها، فبالرغم من تحديد شخصية الخليفة في عثمان بن فودي وعائلته إلا أن ولاية العهد كانت دائما تعتمد على نمط الكفاءة والنزاهة في طريقة الاختيار، ويتم تعيين الخليفة بعد وفاة الخليفة باستشارة العلماء وأهل الحل والربط والخليفة بعد ما تعطى له الحرية المطلقة في ممارسة كافة صلاحياته دون الخروج عن أحكام الشريعة الاسلامية.[1]

وحتى يتمكن الخليفة أن يقوم بمهامه فقد وضع عثمان بن فودي مجموعة من القواعد والأسس، أصبحت بمثابة دستور للدولة والحكام الذين جاؤا بعده جسدها في مؤلفه المعنون ب " بيان وجوب الهجرة على العباد" ومن أبرز القواعد التي يستوجب على من تولى أمور المسلمين أن يتبعها ما يلي :

. على الحاكم أن يلتزم في حكمه على ما جاء في كتاب الله وسنة الرسول ﷺ.

. لا يمكن بالضرورة أن يكون الحاكم أحسن الناس وأفضلهم عليهم.

. يخضع جميع الناس وحكامهم لأوامر الشريعة الإسلامية .

. يحق للمسلمين الخروج عن طاعة أوامر الحاكم الجائر عند ما يحكم بأوامر خارج الشريعة الإسلامية.

. على الحاكم أن يلجأ الى مشاورة أهل العلم ومشاركتهم في حكم وإدارة شؤون المسلمين .

. حاكم المسلمين يسعى جاهدا لتوفير الأمن للرعية والمساهمة في الجهاد من أجل إعلاء كلمة الحق .

. على الحاكم أن يشرف على إدارة حقوق الرعية والمحافظة عليها داخل المجتمع وفق ما تأمر به الشريعة الاسلامية[2] .

. يسعى الحاكم للحفاظ على بيت مال المسلمين وعدم تبذيرها.

. يقوم الحاكم بالسهر على حماية حدود الدولة الإقليمية وتحصين المدن وتصويرها قصد المنع والتصدي للهجمات التي يقوم الغزاة والأعداء .

. يجب على الحاكم أن يخاف الله عز وجل ويتواضع للرعية مبتغيا في ذلك مرضاة الله.[3]

---

[1] عبد الله عبد الرزاق ابراهيم: حركة الشيخ عثمان في غرب افريقيا وآثارها الدينية، مرجع سابق، ص 255 .

[2] أحمد بوعتروس : الحركات الإصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء إبان القرن 18م/19م ، دار الهدى ، الجزائر ، 2009،ص 159.

[3] أحمد عمر سعيد و عبد القيوم عبد الحليم الحسن: الشيخ عثمان بن فودي، بحوث الندوة العالمية التي عقدتها الجامعة بالتعاون مع المنظمة احتفاء بذكراه، مرجع سابق، ص 170.

وكان الشيخ يعتمد في اختيار وزرائه وقادته على مبدأ الأهلية الفكرية والجسدية في التسيير على أن يكون هذا الحاكم غيورا على بلده ورعيته، عارفا بأحكام الشريعة الإسلامية ومحتكا بأمور الرعية مخالطا إياهم يومياتهم حتى يتسنى له معرفة كل صغيرة وكبيرة عنهم[1] .

وبعدما وضع الشيخ الأسس والقواعد التي ينبغي للحاكم إتباعها في إدارة شؤون المسلمين تفرغ هو بدوره للوعظ والتأليف والقضاء وتفقد أحوال الرعية في مختلف المناطق على أنه في هذا المجال لم يقم بتعيين خليفة له أثناء حياته بل ترك الأمر للشورى في اختيار الخليفة[2]

وبقي حال هاته الدولة في التسيير والإدارة الى غاية وفاة الشيخ عثمان بن فودي يوم الأحد ليلة الاثنين 03 جمادي الثانية 1232هـ الموافق ل 20ابريل 1817م ودفن في بيت زوجته حواء وكان عمره عند وفاته 63 سنة وخمسة أشهر ليتولى إبنه الخلافة بعده[3]،مخلفا بذلك دولة متماسكة متكاملة في جميع النواحي استطاعت أن تصمد أكثر من مئة سنة.

لقد كان مبدأ الحكم الذي وضعه الشيخ عثمان بمثابة دستور للدولة سار عليه من تولى الخلافة بعده، قوامه أن الحكم لمن هو أهلا له لا للورثة مستمدا شرعيته من الشورى، كما كان هناك انفصال بين السلطة القضائية والحاكم الذي لا يمكن ان يتدخل في صلاحيات القاضي وقراراته[4] ناهيك عن اتخاذها للدولة العباسية في المشرق نموذجا لها في فنون الإدارة والتسيير ومن الخلافة الاسلامية في عهد الخلفاء الراشدين قدوة ليكون بذلك نظام حكم فريد من نوعه بالمنطقة.[5]

وبالرغم من كون الخلافة الاسلامية للدولة كانت تقتصر على عثمان بن فودي ونسله، إلا أن ولاية العهد كان الحكم فيه للأصلح والأعلم بإدارة شؤون الولاية ولم تكن وراثية تقتصر على الخليفة ونسبه مثلما كان الشأن عند العباسيين، ومن ناحية أخرى فإن الخليفة كانت صلاحياته مطلقة على كامل الأقاليم وفي كل التخصصات وله السلطة التامة في تعيين من يراه كفء في إدارة مناطق الولاية[6] .

---

[1] شوقي عطا الله الجمل،رجب محمد عبد الحليم وآخرون: الموسوعة الإفريقية لمحات من تاريخ القارة الإفريقية ،المجلد الثاني، جامعة القاهرة، ب.ت، 1997م، ص 445.

[2] السر أحمد العراقي: نظام الحكم في الخلافة الصكتية، دار النشر كلية الدراسات العليا، الخرطوم، ط01، 1989م، ص 17.

[3] مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد السكاكر: دعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن فودي، مرجع سابق، ص253.

[4] غانم بودن: حركة عثمان بن فوديو الإصلاحية في غرب إفريقيا، مجلة التراث، جامعة الجلفة،العدد24، ص 177.

[5] إلهام مُحَمَّد علي ذهني:جهاد الممالك الاسلامية في غرب إفريقيا ،مرجع سابق، ص 45.

[6] أحمد بوعتروس:الحركة الإصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء، مرجع سابق، ص 158.

وعليه نصل الى أن الشيخ عثمان بن فودي استطاع أن يحقق وحدة سياسية تتكون من ثلاثين إمارة متحدة تحت لوائه مستقلة في التسيير تستمد مبادئ حكمها من الشريعة الاسلامية مستندة الى مذهب الإمام مالك[1] في قضائها، وبالرغم من كون تلك الإمارات كانت تدفع الضريبة للخليفة، إلا أنها كانت تتميز باستقلال شبه تام في إدارة شؤونها وحتى في حروبها وهو ما ساعد في استقرار الأوضاع السياسية في المنطقة،[2]كما لا يمكن أن ننسى الدور الكبير الذي لعبه عثمان بن فودي في حسن اختيار الشخصيات القوية والمؤثرة في المجتمع ودورها في استقرار الامن نظرا لمكانتهم الاجتماعية والعلمية في مجتمعاته التي كانوا يقومون بالإشراف على تسييرها أو في حمل راية الجهاد.[3]

على ضوء هاته الهيكلة الإدارية والأسس الديمقراطية في الحكم كان منطقيا أن يكون أحد ركائز دولته وظله أن يكون أخاه عبد الله بن فودي الذي لازمه في حله وترحاله لمدة 50 سنة، مساهما معه جهاديا وفكريا في نشر دعوته الإصلاحية، حيث أن هذه الدعوة لم تكن موجهة الى قبيلة معينة دون سوها أو خاصة بالفولانيين مثلما يشاع عند بعض المؤرخين الغربين الذين حاولوا التقليل من تأثيرها ونعتها بأنها كانت تسعى لإقامة كيان سياسيي بالمنطقة، بل سعى مؤسسها لجمع شتات الأجناس والقبائل التي كانت متنافرة فيما بينها على غرار قبائل الكانوري، الهوسا،الفولاني، الطوارق، وغيرهم ليندمجوا كلهم تحت راية الاسلام[4]، وبالرغم من تلك المعارضة الشديدة التي كانت تتلقاها الدعوة في بدايتها سواء من طرف بعض الملوك أو القبائل على حد سواء إلا أن عبد الله بن فودي لم يتخلى يوما عن مساندة أخاها سواء في هجرته أو في جهاده قصد نشر راية الاسلام بين مختلف القبائل والأمصار وكان معه يدافع عنه وينصره على أعدائه ويؤازره في محنه بشتى الوسائل ومن ذلك ما أنشده في إحدى قصائده[5]التي تدل على ذلك الارتباط الوثيق بينهما، مثلما كان يكلفه أخاه عثمان

[1] محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كردية :المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة ،مرجع سابق ،ص195.

[2] Robert Cornevin: Histoire de l'Afrique, Imprimerie Bussière.opcit.p248.

[3] عبد الله عبد الرزاق إبراهيم : حركة الشيخ عثمان بن فودي الاصلاحية في غرب إفريقيا وآثارها،مرجع سابق، ص51.

[4] عبد الله بن فودي: ضياء السياسات وفتاوى النوازل مما هو من فروع الدين والمسائل، تحقيق أحمد محمد كاني، ط01، الزهراء للإعلام العربي،القاهرة،سنة 1988م، ص18.

[5] بعض من أبيات القصيدة:

طربت فأشجاني الطيور الكوابح وفرحني منها الغيوث الروائح

وخوفني أيضا ذياب بوارح وأمنني منها الظباء السوائح

ألا أبلغن عني لحى رسالة تعيها رجال أو نساء صوالح

بكتابة رسائل الفتوى وأحيانا يقوم بالرد بواسطة قصائده عن أعدائه أو من ينكرون جهاد الفوديون وحركتهم الإصلاحية[1] .

كان عبد الله بن فودي أول قائد للجيش يتم تعينه من طرف عثمان بن فودي، محققا عدة انتصارات على الأعداء مثلما كان له الدور الكبير في انتصارهم على ملك غوبير في معركة بكين، بالإضافة الى معركة فتح حصن القالاوى الذي كان يعتبر من أحصن وأمنع قلاع مدينة غوبير وأستشهد خلالها بعض أصحاب الشيخ عبد الله بن فودي أمثال الإمام مُحَمَّد تنبو، مُحَمَّد بن الحسن، كذلك قيادته لمعارك كبي في مارس 1805م والتي حقق فيه النصر على عشرين مدينة محصنة.[2]

وكانت نتيجة هذا السند أن قربه عثمان بن فودي إليه وجعله من مستشاريه ووزرائه الخاصة ثم قلده فيما بعد منصب أمير المنطقة الغربية لدولته بعد أن ضاقت به السبل وقرر أن يهجر أرضه ويشد الرحال سنة 1808م باتجاه مدينة الرسول ﷺ بسبب تلك التصرفات التي كان يلاحظها عند بعض القادة العسكريين الذين كلفوا بمهمة الجهاد عندما كان مستشارا لأخيه ولاحظ أن بعض القادة غيروا من نظرتهم الجهادية الإصلاحية التي لا تنتهي بمجرد نهاية الأنظمة الوثنية الفاسدة، بل لا بد لها لزاما أن تدعوا الى نصرة دين الله وبالتالي فقد انحرفوا الى حياة الترف وجمع الأموال وأكل الحرام وتشييد المباني والقصور الفاخرة على أن تصور الشيخ عبد الله بن فودي لمفهوم الجهاد وأهدافه أشمل وأعم من ذلك وهو ما يوضحه في كتابه تزيين الورقات قائلا: "لما طرد الله الأعداء عنا جعلنا نغزو ونغير على من انتفض علينا إلى أن تهيأنا في السنة الرابعة من هجرتنا للغزو إلى (القاضاوا) وخرجنا أواخر رجب فاستهل شعبان ونحن في الطريق، وكنت قد جاءني من الله وارد برفض الأوطان والإخوان وميلهم الى الدنيا والتنافس في ملكها وأموالها وجاهها مع تركهم عمارة المساجد والمدارس وغير ذلك وقد علمت أني شرهم وأن ما رأيت من غيره لا يعدوني . فرأيت الفرار قد وجب فتركت الجيش واشتغلت بنفسي واستقبلت الى الشرق نحو المصطفى ﷺ إن يسر الله ذلك "[3].

لعالمهم أو طلب العلم رائح لإظهار دين اله فيه بناصح

أقول له قم وأدع للدين دعوة تجبها عوام أو خواص ححاجح

[1] عبد القادر زبادية: دراسات عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ب.ط، ب.س، ص 83.

[2] مُحَمَّد بيللو: إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، مصدر سابق، ص 181 .

[3] عبد الله بن فودي: ضياء السياسات وفتاوى النوازل مما هو من فروع الدين والمسائل، مرجع سابق، ص 19 .

وأثناء سير عبد الله بن فودي مع بعض من أصحابه نحو وجهته التي كان ينوي قصده نزل في مدينة كانو فالتمس منه أهلها البقاء بينهم قصد تعليمهم أمور دينهم وما غلب عليهم من مشقة تعاليم الاسلام ومنعوه أهلها من مواصلة سيره، فوافق بسبب الظروف التي كانوا يعيشونها خاصة بعد ما كان جلهم يتمسك ببعض المعتقدات الوثنية التي لم يتركوها بعد إسلامهم[1] فبقى عندهم مدة من الزمن أستطاع خلالها أن يؤلف بعض التأليف المتعلقة بالسياسة وأمور الحكم، كما استطاع خلال هاته الفترة أن يقرأ على سكان مدينة كانو تفسير القرآن كاملا مما جعلهم يتأثرون بذلك ويفهمون المعنى الحقيقي للدين الاسلامي، وكانت نتيجة ذلك أنهم أعلنوا توبتهم وصلح أمر دينهم وقاموا بتكسير آلات اللهو والطرب التي كانوا يستعملونها، ولم يرجع الشيخ عبد الله الى أهله إلا بعد أن أرسل إليه أخاه عثمان وفدا يطلب رجعته نظرا لصدق نواياه وحاجة الدولة الى علمه واستشارته الواسعة الأفق.[2]

بعد عودته قرر الشيخ عثمان أن يقرب أخاه منه ويسخره لخدمة ومساعدته في نشر دعوته، فعينه على القسم الغربي لدولته سنة 1812م وقصد تسهيل إدارة حكمه خاصة بعد اتساع الرقعة الجغرافية للدولة وبقي على رأسها الى أن توفى أخاه عثمان حيث قام بالتنازل عن نصيبه في الحاكم لصالح أبن أخيه بعد ما نصب نفسه خليفة لوالده عثمان، وابتعد عن الحكم وابن أخيه مدة سنة واشغل نفسه بالعبادة والتأليف مما جعل أعدائه المتمردون يقومون بمحاصرته، الى أن جاء مُحَمَّد بيللو وقام بنصرته وفك حصاره سنة 1820م، محاولا بذلك التقرب من عمه والتودد اليه راجيا عفوه.[3]

أثر هذا الموقف الذي قام مُحَمَّد بيللو في نفسية عمه عبد الله مما جعله يعترف بأحقيته بالخلافة بعد والده وكرس نفسه لخدمة الخلافة ومساعدة بيللو في تولي أمور المسلمين وبقيت العلاقة ودية فيما بينهما الى غاية وفاة عبد الله بن فودي سنة 1829م .

أما بالنسبة لعهد مُحَمَّد بيللو فقد كان يختلف نوعا ما عن سياسية حكم والده من حيث الظروف وطريقة التسيير، غير أنه لم يحد عن طريق والده في المبادئ العامة للحكم، فبحكم قوة شخصيته وشجاعته التي كان يبديها أثناء الجهاد، استطاع والده أن يقلده قيادة الجيش سنة 1808م مع مهمة تسيير الجهة الشرقية من الدولة، باعتبارها أهم منطقة من حيث حدودها وتركيبة مجتمعها، لذا فقد قام مُحَمَّد بيللو بتشييد عاصمة الدولة هناك بمنطقة سوكوتو سنة 1809م،حيث بنيت بشكل محصن ومنيع

[1] عبد الله عبد الرزاق ابراهيم: المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا، عالم المعرفة، الكويت، 1989،ص 285.

[2] عبد الله بن فودي: ضياء السياسات وفتاوى النوازل مما هو من فروع الدين والمسائل، مرجع سابق، ص 20.

[3] بوبكي سكينة: الحركة العلمية بالهوسا في السودان الغربي خلال القرن19م، رسالة ماجستير، اشراف د عبد المجيد نعيمة،قسم الحضارة الاسلامية،جامعة وهران،2009،ص 105.

من الأخطار والاعتداءات الخارجية[1]،وما أتم بنائها كان لزاما عليه أن يقرب أباه الى حضرت بعدما كان قد اعتزل السياسة وتفرغ للتأليف والتدريس في مدينة " سيغاوا " ليستقر معه في سوكوتو.

استطاع مُحَمَّد بيللو أن يفتك مبايعة قومه للخلافة بدلا من عمه عبد الله بن فودي ليكون أول خليفة للدولة بعد وفاة والده ليواصل مسيرة والده التي كانت تسعى لإقامة دولة إسلامية مبنية على كتاب الله وسنة رسوله بعيدة عن الديكتاتورية الوثنية التي كانت سائدة في عصره، خاصة وأن فترة تولي مُحَمَّد بيللو مقاليد الحكم كانت عصيبة يسودها الاضطرابات والفتن والنزاعات القبلية التي كانت تحاول التمرد والقيام بحملات انفصالية ورفض الإخضاع لسلطته السياسية[2]، خاصة تلك القبائل التي كانت حديثة العهد بالإسلام واقتصر خضوعها للسلطة السياسية الاسلامية في شخصية الشيخ عثمان بن فودي وبوفاته كان لزاما عليه حسب اعتقادهم نهاية ذلك العقد السياسي بينهما، وبحكم خبرته وحنكته استطاع أن يرغمها بالرجوع الى سلطته وذلك باستعمال أسلوب الرباطات كوسيلة لحماية المجتمع الاسلامي من التفرقة وكبديل سياسي لمواجهة الاضطرابات وتحقيق الوحدة التي كان يدعو إليها والده، من خلال وضع ركيزتين أساسيتين في كل رباط أحداهما دينية روحية تتشكل من علماء مسلمين ومتفقهين في الدين يقومون بتنوير المجتمع وشرح وتبسيط مفاهيم الدين الاسلامي الصحيح، مع التركيز على المعاملات الاجتماعية السمحة والابتعاد عن بقايا الوثنية التي كانت لا تزال راسخة في أذهان عامة المجتمع، أما الركيزة الثانية التي كان يقوم عليها الرباط هي إنشاء قوة دفاعية للدفاع عن الرباط وتثبيت الامن والاستقرار داخل أوساط تلك القبائل التي كانت الصراعات القبلية غالبة على يومياتها، ليكون بذلك الرباط ذو بعد اجتماعي عسكري وهو ما سهم في عملية الاستقرار والخضوع لحكم الخلافة الاسلامية.

كان مُحَمَّد بيللو أشد حرصا على تطبيق العدل وتعاليم الدين الاسلامي والاقتداء بسيرة السلف الصالح، ومن ذلك نجده في اقتدائه بالرسول ﷺ من حيث مشاركته الرعية في حفره لخندق منيع حتى يقي العاصمة سوكوتو من الأخطار[3]،هذا وقد تميزت علاقة مُحَمَّد بيللو الخارجية أنها كانت مبنية على أساس الإحترام والتعاون المتبادل خاصة مع تلك الدول العربية أو التي تدين بالإسلام، على غرار طرابلس وسلطان أهرير الشيخ "مُحَمَّد الباقري"، وبحلول سنة 1820م كان مُحَمَّد بيللو قد استطاع أن

[1] إسماعيل العربي: حاضر الدول الإسلامية في القارة الإفريقية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، سنة1984، ص280.

[2] جمال زكرياء قاسم: الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، ط01، دار الفكر العربي، القاهرة،سنة1996، ص 331.

[3] مُحَمَّد بيللو: إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، مصدر سابق،ص ص12 ،13.

يقضي على المعارضة التي كادت أن تنخر بأمن الخلافة ليقوم بعدها بتحويل مقر إقامته من العاصمة الى سوكوتو الى مدينة ورنو التي كانت قريبة الى مدينة غوبير ومتوسطة لمختلف الأقاليم.[1]

ب) التنظيم الإداري .

تميزت المراحل الاولى لقيام الخلافة الفودية بمرورها على منعرج حاسم من خلال القيام بأعمال إدارية مكثفة قصد تكريس مبادئ الدولة الاسلامية الجديدة، حيث واجهتها صعوبة متعددة في المجال السياسي والاجتماعي والإداري مثل قضية التنسيق والتعاون بين الأجهزة الإدارية وكيفية التسيير للإمارات المترامية الأطراف وتلك التي لها حداثة بالدخول الى الاسلام وجهلها للكثير من الأمور الدينية، كما أن هناك بعض الإمارات من أعلنت ولائها للخلافة الاسلامية واحتفاظها باستقلاليتها في التسيير كقبائل الطوارق[2].

استطاع عثمان بن فودي ان يجمع بين ملكة العلم والجهاد والسياسة وهو ما جعله يضع سكة الحكم على الشريعة الاسلامية ويظهر ذلك جليا من خلال تآليفه التي وضح فيها أسس الحكم والعلاقة بين الحاكم والمحكوم مثل كتاب الفرق وكتاب أصول العدل الذي بين فيه الشروط الأساسية لاختيار الحاكم كما وضح أركان الخلافة الاسلامية المبنية على الشورى والمستندة على وزير صادق يقوم بتنبيه الحاكم إذا غفل عن أمور الرعية وانحاز عن الشريعة الاسلامية، وقاض عادل يحكم بما جاء في القرآن والسنة النبوية ولا يحتكم بغيرهما، ونظام شرطة يطبق أحكام القضاة ويساهم في نشر العدل بين الرعية[3]، بالإضافة الى صاحب خراج يأخذ أمور الرعية وما يهمهم في حياتهم الاجتماعية اليومية[4].

ومن ناحية أخرى يمكن ان نستنتج مدى التأثير الكبير الذي تركته الخلافة الاسلامية في المشرق من خلال المراسلات الإدارية التي كانت تتم سواء بين الخليفة والولاة أو السلطة والرعية، كانت تكتب بالخط العربي دلالة على مدى أهمية اللغة العربية واستعمالها كلغة رسمية للدولة في تسيير أمورها

[1] علي أيوب ناجي: لمحات عن الاسلام في نيجيريا بين الأمس واليوم ،دار الكتاب الحديث، ب.ط، ب.ط، ص 120.

[2] أسامة عبدالله مُحَمَّد الأمين:حركة الشيخ عثمان بن فودي الإصلاحية في غرب أفريقيا 1754-1817م، مجلة كان التاريخية، العدد26، ديسمبر 2014، ص 12.

[3] عثمان بن فودي: أصول الولاية وشروطها، تحقيق عمر بلوم الم سراج، مختارات من مؤلفات عثمان بن فودي،مج3، دار اقرأ غوسو، نيجيريا، 2013، ص03.

[4] عثمان بن فودي :أصول العدل لولاة الأمور وأهل الفضل، تحقيق ثاني يوسف برنن تد،مج02، دار اقرأ، غوسو نيجيريا، 2013، ص 16.

الداخلية والخارجية، إذ لم تكن لغة دين فحسب بل تم تداولها بشكل كبير بين الرعية وحتى في مجال التعليم والتآليف النثرية وفنون الشعر[1].

بعدما وضع الشيخ عثمان بن فودي الشروط والمواصفات التي يجب توفرها في كل من يتولى أمور الرعية من المسلمين،سعى نحو تعيين مساعدين ووزراء له من خلال تكليف أبنه مُحَمَّد بيللو وأخاه عبد الله بن فودي على إدارة شؤون الدولة ثم بعد ذلك تم استحداث الوزارات حيث تولى عبد الله بن فودي في البداية مرتبة الوزير الأكبر المكلف بالجهاد وشؤون الجيش بمساعدة ابنه مُحَمَّد بيللو، مثلما خصص للقضاء والمظالم وزيرا آخر أوكلت هاته المهمة لشخصية "مُحَمَّد ثنب" وبعد وفاته تولاها ما لم مصطفى، أما الشيخ "عمر الكامو" فقد كان يشرف على عملية تحصيل الضرائب والجبايات وتوزيعها على مستحقيها، كما كان هؤلاء الوزراء مقربون الى شخصية عثمان بن فودي وقلما يغادرون مجلسه[2].

وكان الوزير الأكبر يعتبر بمثابة نائب للخليفة في إقليمه، حيث يتولى الإشراف على المهام الموكلة إليه سواء كانت مهام عسكرية من إعداد للجيوش والإشراف على نظامها أو تلك المهام المدنية المتمثلة في السهر على شؤون الرعية والنظر في أحوالهم العامة، بالإضافة الى مهمة تعيين الموظفين الأكفاء في مختلف المهام مع أحقية عزلهم إذا أخفقوا في مهامهم،كما كان الوزير الأكبر يشرف على مراقبة وتقويم جميع مهام الدواوين التي هي تحت سيطرة ولايته[3].

ان المتتبع لسيرة غالبية الوزراء والأمراء الذين كان يتم تعينهم من طرف الشيخ عثمان بن فودي في معظم الأقاليم، نجد بأنهم إما أصدقائه الذين كانوا يرابطون معه في أوقات الجهاد، أو تلاميذه الذين تلقوا على يديه مختلف العلوم، ولعل مرد ذلك يرجع الى عامل الثقة والمعرفة التامة بشخصية من يتولى أمور الناس وحتى لا يتفرد بالقرارات الحاسمة دون الرجوع الى شخصية الخليفة بالرغم من وجود استقلالية في التسيير الداخلي للإمارة حيث كان يلقب حاكم الولاية بلقب أمير مسئول، وهو ما من شأنه أن يمنح كل السلطة له في قيادة الجيش والتسيير الإداري مع أحقية تولي إمامة المسلمين في

[1] مُحَمَّد مي أبو بكر: أثر اللغة العربية في شعوب شمالي نيجيريا دراسة مسحية نحو اكتشاف آفاق جديدة للاستثمار، المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية، دبي، من 07الى10ماي 2014،ص 03.

[2] مُحَمَّد بيللو: إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور،مصدر سابق، ص211.

[3] علي أيوب ناجي: لمحات عن الاسلام في نيجيريا بين الأمس واليوم ،مرجع سابق، ص 84 .

الصلاة، وإذا انحرف الأمير عن الحكم بالعدل يجوز للخليفة عزله وإحلال مكانه من هو أصلح للولاية[1].

على أنه كانت هناك شروط متنوعة مستمدة من الشريعة الاسلامية كانت تشترط فيمن يتولى مهام الأمير ويتقلدها ومن أبرزها ما يلي :

. ان يكون عالما بالقرآن وعلوم الحديث ومتمكن من أحكام الدين العامة .

. أن يحرص على الصلوات في المسجد حتى يكون على احتكاك بالرعية .

. أن يحاول تطبيق أقواله الى أفعال .

. أن يكون متحمسا لبناء وتعمير المسجد .

. أن يراعي أحوال الناس في الأسواق ويساعد في إقامة العدل .

. أن يسعى للجهاد من أجل إعلاء كلمة الله ونصرة دينه .

بالإضافة الى شروط أخرى كالسلامة الجسدية والعقلية التي تؤهله لتولي أمور المسلمين[2] .

مثلما كان الخليفة في مقر حكمه مجلس يحتكم إليه يدعى مجلس أمير المؤمنين، حيث يتكون من مستشارين وأهل العلم والحكمة مع القضاة وقائد الجيش، ومهامهم متعددة على غرار دراسة مختلف القضايا التي تهم الرعية مع الإشراف على انتخاب أمراء الولايات أو تعيين من يخلف في حالة الوفاة، وقد سار على دربهم الأمراء في استحداث مجالس مصغرة شبيهة لها في تركيبتها ومهامها ، بل كان هذا المجلس يعتبر بمثابة اللبنة الأساسية في إدارة شؤون الإمارة نظرا للمشاركة الفعالة التي يشير بها للأمير، حيث كان يعقد مجالس يومية عدا يوم الجمعة، ومن بين مهامه المشارك في وضع مخططات الجيش وتكوينه كما كان يساهم في مشورة الأمير والنظر في قضايا المظالم والاستماع الى مختلف القضايا مشكلا بذلك محكمة مصغرة تحت إدارة الأمير[3].

كان انعقاد هذا المجلس يتم بحضرة الأمير وفي مقر حكمه، على أن بعض الأمراء الأوائل في المملكة كانوا يفضلون بشكل كبير التقرب نحو الرعية بلا حواجز وذلك من خلال احتكاكهم بهم في مجالسهم اليومية كالأسواق بل غالبا ما كان يجلس الأمير في قارعة الطريق وتحت ظل الشجرة حتى

---

[1] مُحَمَّد لواء الدين أحمد: الاسلام في نيجيريا ودور الشيخ عثمان بن فودي في ترسيخه، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009، ص 138.

[2] شوقي عطا الله الجمل، رجب مُحَمَّد عبد الحليم وآخرون: الموسوعة الإفريقية من تاريخ القرة الإفريقية، المجلد الثاني، جامعة القاهرة، ب.ب،1997، ص445.

[3] أحمد شلبي :موسوعة التاريخ الإسلامي،ج6 ، مرجع سابق، ص 286.

يتسنى لعامة الرعية سهولة التواصل معهم وقضاء حوائجهم المختلفة أو النظر في قضاياهم ومظالمهم المتعددة، وأحيانا كان الأمير يستدعي المجلس للمشورة في القضايا المستعجلة كالنزاعات والحروب أو دراسة القضايا الكبرى التي تهم مصير الإمارة على أن الأمير كان دائما يتحاشى الانفراد بالقرار تخوفا من العلماء والقضاة وقائد الجيش نظرا لمكانتهم الاجتماعية ومدى تأثيرهم على العامة باعتبارهم يمثلون قدوة لهم وقراراتهم عادلة وبالتالي فقد غلبت على صفة المجلس النزاهة والعدالة الاجتماعية[1].

ويعتمد في اختيار الأمير على رأي الأغلبية في مشاورات تكاد ترقى الى الديمقراطية الحديثة، طبعا بعد توفر الشروط السالفة الذكر، يقدم اسم الأمير الى الخليفة وبعد موافقته يكلف الوزير بالإشراف على عملية تنصيبه، وبعدها يقوم الوزير بزيارة الى الخليفة حتى يثبت ولائه له ويظهر مدى الارتباط الوثيق بمقر الخلافة، لتتوالى بعد ذلك تهنئته ومباركته من طرف باقي الأمراء الآخرين المنضوين تحت لواء الخلافة، وحتى يتجسد التواصل مع الخلافة كان لزاما على الأمير أن يقوم بإرسال الضريبة السنوية الى بيت مال المسلمين حيث كانت تجنى من أموال الجزية والزكاة والخراج، ثم ظهر بعد ذلك نوع آخر من التواصل متمثلا في الهدية التي كانت تدعى " الكردن ساروتا" أو "القايسوا" كتعبير على الصداقة والولاء التام للخلافة، في حين كانت تمنح للأمراء صلاحية واستقلالية واسعة في تسيير أقاليمهم.[2]

وكانت تعقد اجتماعات دورية وأحيانا استثنائية بين الخليفة والأمراء ولعل أبرزها ذلك الاجتماع الذي يعقد في فصل الصيف وبعد موسم الحصاد وجني مختلف المحاصيل الزراعية، قصد إحضار المؤن السنوية والمنتجات الزراعية لبيت المال، حتى يقوموا بكسب ثقة الخليفة ويكون لقاءا موسعا يحضره بالإضافة الى الأمراء قادة الجيش والوزراء والقضاة وهو ما يمثل بدوره نوعا من الولاء والمبايعة لشخص الخليفة، حيث يدعوا بالخير والاستقرار والازدهار للرعية.[3]

بعد وفاة الشيخ عثمان بن فودي ترك أمر تولي الخلافة من بعده مفتوحا، ولم يكتب نصا صريحا على ذلك باستثناء قصيدة كتبها باللغة الفولانية يمدح فيها ابنه بخصاله الحكيمة وقدرته العلمية والقيادية في تدبير شؤون الدولة والجيش وعلى ضوء تلك الإشادة قام سكان مدينة سوكوتو بالمبادرة الى مبايعته خليفة عليهم بعد وفاة والده، وبعد هاته المبايعة كان عمه عبد الله في مدينة "غندو" فتوجه نحو سوكوتو يقصد ابن أخاه فوجد المدينة قد أغلقت في وجه وطلب منه العودة الى أدراجه، مع العلم

[1] السر أحمد العراقي : نظام الحكم في الخلافة الصكتية ،ط01، مرجع سابق، ص.ص 88,89.

[2] Robert Cornevin: Histoire de l'Afrique, Imprimerie Bussière , Op.C it.p249.

[3] علي أيوب ناجي: لمحات عن الاسلام في نيجيريا بين الأمس واليوم ،المرجع السابق، ص 85 .

أن بعض الدلائل كانت تؤشر الى أحقية عبد الله بن فودي بالخلافة على اعتبار أنه كان مستشارا مقربا من أخيه وعالما وفقيها نحويا بالإضافة الى أنه كان أول قائدا للجيوش الجهادية ورغم هاته الانجازات لم تشفع له، مفضلا بذلك الانسحاب قصد تفادي الانقسام والفتنة بين المسلمين مفضلا الحفاظ على قيام الدولة التي أسسها مع أخوه.[1]

وبعد انسحاب الشيخ عبد الله بن فودي بطريقة حكيمة، تولى مُحَمَّد بيللو مقاليد الخلافة حيث واجهته في بداية عهده عدة حركات انفصالية تمردية على غرار تلك الحركة التمردية التي قام بها أحد أبناء الهوسا المدعو عبد السلام والذي اعترض مبايعة مُحَمَّد بيللو واعتبرها غير شرعية ثم أقنعه بيللو ودخل تحت طاعته لكن ما لبث وان خرج عن سلطانه من جديد مما جعل مُحَمَّد بيللو يقوم بمحاربته وقتله في منطقة تسمى "باكورا" بالرغم من الدور الفعال الذي كان يقوم به عبد السلام مع الشيخ عثمان بن فودي في بداية الحركة الإصلاحية.

وهنا يجرنا الحديث كذلك الى حركات التمرد الواسعة التي شهدتها مختلف الأقاليم مثل بورقو، قرما، دندي، دابرما وغيرها وأخطرها الهجوم الذي شنه الكانمي على الدولة وتصدى له الأمير يعقوب ملحقا به هزائم كبيرة سنة 1826م الأمر الذي كان يصعب على مُحَمَّد بيلو في مهمة تحقيق الاستقرار على مستوى الأقاليم.[2]

حتى يتجسد معنى الاستقرار في عهد مُحَمَّد بيللو سعى نحو تجسيد أفكاره ومخططاته في مجال التسيير الإداري ويظهر ذلك جليا من خلال تعيين منصب الوزير الأكبر الذي يساعده في أداء مهامه مجموعة من المستشارين منهم القالاديما والماقان رافي والماقان قاري مشكلين بذلك مجلس الاستشارة، بالإضافة الى مجلس أخر يسمى مجلس الشورى ويتكون من إمام المسجد، قاضي القضاة، قائد الجيش يضاف لهم ثلاثة مساعدين آخرين غالبا ما كان يطلب مشورتهم خصوصا ما تعلق بشؤون الرعية واهتماماتها اليومية، على أن غالبة أعضاء هذين المجلسين لم يكونوا من عائلة الأسرة الفودية أو أقربائهم وهو ما من شأنه ان أعطى مصداقية واستقرار في التسيير.[3]

1أحمد عمر سعيد و عبد القيوم عبد الحليم الحسن : البحوث الندوة العالمية شيخ عثمان بن فودي ، جامعة إفريقيا العالمية، 1996م، ص 173 .

[2]عبد الله عبد الرزاق ابراهيم المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا،مرجع سابق، ص 53.

[3]مُحَمَّد لواء الدين أحمد: الاسلام في نيجيريا ودور الشيخ عثمان بن فودي في ترسيخه، ص139 .

ومن جهة الوزارة فقد أبقى مُحَمَّد بيللو عمه برتبة وزير في حين قرب إليه"غداد بن ليم" وقلده منصب وزير كذلك لتبقى صفة الوزير متوارثة في عائلته، على ان الوزارة في عهد حكم مُحَمَّد بيللو كانت تنقسم الى نوعين وهما:

. وزارة ذات طابع استشاري حيث تتشكل من الوزير الأكبر ويساعده ثلاثة وزراء وهم كل من الماقن قاري،الماقن رافي، القالاديما حيث أنهم غالبا ما كانوا يجتمعون مع الخليفة لمناقشة أمور الحكم والحرب والقضايا العامة وأحيانا كان ينوب الوزير الأكبر عن الخليفة في رئاسة اجتماع هذا المجلس.

. وزارة ذات طابع تنفيذي[1]:كان غالبا ما يشغل هذا المنصب إما ابن الوزير أو أخاه لذلك كانوا يسعون منذ نعومة أظافرهم على تربيتهم تربية حسنة طمعا في توريث المنصب لهم مثلما فعل غداد بن ليم عندما خلفه ابنه عبد القادر كما كان يشترط في من يتولى هذا المنصب أن يكون ملما بشؤون الإدارة عارفا بمبادئ السياسة بالرغم من كون مهمته تقتصر على تنفيذ أوامر الخليفة ولم يكن كذلك يسمح لهم في المشاركة في اختيار حكام الأقاليم أو المساهمة في قضايا الحل والربط وعليه فان مهمته كانت تشمل ربط الولاية بالخلافة العامة[2].

ويمكن أن نحصر بعض مهام الوزير االأكبر في كونه كان يلقب بصاحب السيف والقلم دلالة على مدى تحمله مهام التسيير الإداري والمهام العسكرية للجيش، وتجسد ذلك في نيابته في إقليمه على الخليفة من خلال استقبال جميع المراسلات التي تصل الى الإمارة، مع إمكانية الرد عليها، ومن جهة أخرى كان يحق للوزير الاكبر تعيين الموظفين في مختلف المهام وله الأحقية كذلك في عزلهم حالة عدم تمكنهم من القيام بها، كما يمكن للوزير الأكبر أيضا الصلاحية في تعيين أمير المنطقة أو حتى عزله[3]، أما المهام التي كان يكلف بها الوزراء المساعدين للوزير الأكبر فكان على حسب مقامه وبصفة عامة مسؤولية الإشراف على المهام الاجتماعية والسياسية والدينية ومراقبة أحوال الناس العامة على مستوى الأقاليم بمساعدة المندوب الذي يدعى الجكادا .

وحتى يتم تنظيم الديوان الذي يسهر على ضبط أمور الدولة الخارجية وأمور الرعية داخليا، فقد أقتفى الفوديون العباسيون في وضع حاجز بين الخليفة والرعية تجسد في منصب الحاجب الذي لم يكن يستعمل في عهد عثمان بن فودي ويعارض في وجوده بل كان يحاول استقبال الرعية بكل عفوية وبلا

[1]كانت تدعى الدان قالاديما أي بمعنى نائب الوزير.

[2]عبد الله عبد الرزاق ابراهيم المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا،مرجع سابق، ص 51.

[3]السر أحمد العراقي : نظام الحكم في الخلافة الصكتية ،المرجع السابق، ص43.

وساطة اقتداء بالخلفاء الراشدون ولم تكن مهمة الحاجب إلا إذا ما خرج لتفقد أمور الرعية فانه كان يتبعه مخافة كثرة التحام الناس حوله وهو ما من شأنه أن يعيق مهامه في قضاء حاجياتهم[1].

بينما في عهد الخليفة مُحَمَّد بيللو فلم يحبب وجود الحاجب تحت وصايته وملازما له، بل كان يمشي وحده بين الرعية وغالبا ما كان يستظل تحت الشجرة دون حراسة ويحرس على قضاء أمور الرعية بشكل سلس حتى لا تتعطل مصالحهم، إلا أنه في مقابل ذلك اوجد نوعا خاصا من الحجابة ليس لغرض حجب الناس عنه بل كانت مهمته تهدف الى برمجة لقاءات يومية مع الخليفة وتوجيه الرعية وتسهيل الأمور الإدارية بشكل مبسط ويتوسط بين الأمير والخليفة أحيانا وكان يدعى صاحب هذا المنصب ب "اليان كونا" ويساعده في مهامه شخص أخر بمثابة رئيس الخدم ويدعى الدانكمالي الذي أوكلت له مهمة إدخال الشخصيات الكبرى من رؤساء القبائل والأمراء الى الخليفة[2].

باتساع أقاليم الدولة وتشعب أراضيها كان لزاما على الشيخ عثمان بن فودي أن يهتدي الى طريقة للتواصل بين أقاليم المملكة وإيصال أوامر الحاكم الى الرعية فكانت بذلك الحاجة الملحة الى ظهور ديوان خاص بالكتابة يشرف عليه مجموعة من الأشخاص الذين يتصفون بالأمانة وسعة الاطلاع بمختلف المعارف مع التشديد على إتقان استخدام اللغة العربية واللغات المحلية حتى يتسنى كتابة الرسائل وقد كانت هاته المهمة في بداية عهدها من صلاحية الوزير وكان أول من قام بها هو شقيقه عبدالله بن فودي ثم ابنه مُحَمَّد بيللو ثم تطورت بعد ذلك وظهرت هيئة الكتابة متكونة من بعض الأفراد أمثال مُحَمَّد جال و مالم مصطفى، لتتحول بعد ذلك مهمة الكتابة الى ظهور شخصية كاتب الديوان بعد اتساع المهام حيث كان يقوم بكتابة المراسلات بشتى أنواعها وكتابة أجور الجنود مع تدوين ممتلكات بيت المال[3].

وكانت الرسائل تكتب أحيانا الى الملوك خاصة أثناء الجهاد على غرار مراسلة الأمين الكانمي لشرحه أسباب الجهاد[4]، أو تكون مراسلات حول تفقد أحوال الرعية اليومية أو تطبيق أحكام متعددة، ونظرا لمدى أهمية دور الكاتب فقد تم افراد لكل ديوان كاتب خاص بمجال كتابته حتى يتفرغ له وحده دون سواه، مثل كاتب الرسائل وكاتب القاضي وكاتب الشرطة، وغيره وكانوا يخضعون بصفة

[1] عثمان بن فودي: أصول الولاية وشروطها، تحقيق عمر بلوم الم سراج،مرجع سابق، ص 6.

[2] مُحَمَّد لواء الدين أحمد: الاسلام في نيجيريا ودور الشيخ عثمان بن فودي في ترسيخه،مرجع سابق، ص140.

[3] السر أحمد العراقي : نظام الحكم في الخلافة الصكتية ،ط01، دار النشر كلية الدراسات العليا، الخرطوم، سنة 1983، ص 55.

[4] ينظر الملحق رقم27.

مباشرة للوزير،[1]الذي بدوره يتحرى في تعينهم مجموعة من الشروط خاصة ما تعلق بالثقة وكتم الأسرار نظرا للخصوصية التي تتميز بها المراسلات.

ودعت الضرورة الى استحداث نظام بريدي يتكفل بمهنة إرسال المراسلات فجاء منصب صاحب البريد الذي يشترط فيه الحكمة والأمانة ومعرفة المناطق والمسالك، وكان أول من قام بهاته المهمة هو "غداد بن ليم" أما عن وسائل التنقل فكانت عبارة عن الجمال والخيول، ولم يتخلوا عن استعمال الحمام الزاجل الذي كان يعرف بجناح المسلمين حيث كان يستعمل في المراسلات المستعجلة والهامة التي لا تحتاج الى التريث في تنفيذها حيث كانت تعلق في أرجله وترسل الى المكان المستهدف[2].

وكانت كل القرارات تدون باللغة العربية وجميع دواوين المحاكم الشرعية وحتى الشكاوي والشهادات في المجالس القضائية كان يتم تسجيلها باللغة العربية مع القرارات النهائية لمختلف القضايا، الأمر الذي ساعد بشكل كبير في انتشار اللغة العربية وجعلها اللغة السائدة في تعاملاتهم اليومية والإدارية[3].

ج) التنظيم العسكري

قصد ضمان استقرار الدولة سواء من الأخطار الخارجية أو النزاعات الداخلية كان لا بد من وجود منظومة أمنية متينة حتى تحافظ على بقائها، وهو ما سعى إليه الشيخ عثمان بن فودي منذ بداية حركته الإصلاحية باعتبار ان الاستقرار له صلة وثيقة بالنظام الحربي، على أن الدولة من مرتكزات قيامها أنها أسست من أجل نشر الاسلام وإعلاء كلمة الحق، وكانت تركيبة الجيش في بدايته تضم المقربين من الشيخ عثمان من أهل قبيلته وأصحابه وتلامذته وممن اعتنقوا الاسلام وتحملوا راية الدفاع عنه، وتم تعيين قادة للجيش أمثال أخوه عبد الله بن فودي وابنه مُحَمَّد بيللو بالإضافة الى أحد أبرز ركائز ومؤسسي الجيش وهو القائد علي جيدو حيث لقب بأمير الجيش ولا يمكن هنا أن ننسى أحد أبرز القادة الفلانيين المتمثل في القائد مبيجوه، والقائد الفذ الذي لازم الشيخ عثمان بن فودي في كل معاركه وفتوحاته وهو المدعو ابراهيم حيث كان له الفضل في أن يكون أول قائد يحمل راية الجهاد في المعارك[4] .

---

[1] مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد السكاكر: مُحَمَّد بل والدولة الصكتية في عهده 1232هـ-1235هـ/1817م-1837م، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود، الرياض،2000.ص 123.

[2] السر أحمد العراقي : نظام الحكم في الخلافة الصكتية ،المرجع السابق، ص 54.

[3] سنوسي أبوبكر سليمان :مكانة اللغة العربية في دولة صكتو الإسلامية بنيجيريا خلفيات ومستجدات، مقالة مقدمة إلى المؤتمر،شعبة اللغة العربية معهد الفنون التطبيقية،ولاية صكتو، 2012 م،ص3 .

[4] علي أيوب ناجي: لمحات عن الاسلام في نيجيريا بين الأمس واليوم ،المرجع السابق، ص 84 .

مع اتساع الدولة في أقاليمها وشعوبها تغيرت بذلك تركيبة الجيش وأصبحت تضم جميع القبائل التي انضوت تحت لواء حركة الجهاد الاسلامية في ثوبها الإصلاحي الفودي، ولعل من أبرزها بالإضافة الى قبائل الفولاني والهوسا نجد كل من قبائل الطوارق واليوربا والايبو والبرنو مشكلين قوة عسكرية إقليمية، بل أصبح لكل إمارة جيشها الخاص بها ومستقلة في عدتها وعتادها العسكري وحتى طريقة تدريبها، على أنها كانت تتحد في عند الضرورة في حالة قوة العدو[1]أو أثناء رد العدوان الخارجي على أي إمارة تابعة للخلافة وأحياننا كانت توكل للجيش مهمة جمع المؤن للجيش أو القيام بحملات على الأقاليم المناوئة لخلافة المركزية أوتلك التي كانت تخرج أو ترتد على أوامر الخلافة وبعد انتهاء مهمتها ترجع من جديد الى أقاليمها التابعة لها وتكون في حالة استعداد لأي أوامر سواء من الخلافة المركزية أو من قائد الجيش في المنطقة التابعة لها.[2]

أما مهمة قيادة الجيش فكانت فكان يتولاها غالبا أثناء الحروب أو الفتوحات هم الأمراء، باعتبار أن المهام الأساسية للقيادة العسكرية هي حماية الجيش والحفاظ على مكوناته المادية والبشرية ومحاولة تزويده بالأسلحة بل وحتى اختيار المواقع الضرورية أثناء المعارك، يضاف إليها مهمة الإشراف على تقسيم الغنائم بعد المعارك حتى تكون عدالة على مستوى جميع العناصر التي تشارك في المعارك، وأحيانا كان الأمير لا يشارك في المعارك فيلجأ الى تعين قائد كفئ لتولي قيادة الجيش.[3]

لقد لعب الجيش دورا كبير في نشأة وتكوين الخلافة والحفاظ على كينونتها من جميع الأخطار، حيث استلزم ذلك وضع ديوان الجند للسهر على ترتيب الجيش وتلبية احتياجاته،وقسم الجيش الى فئتين واحدة تضم المشاة وهم الأغلبية الحاملة للسيوف والدروع والرماح، والفئة الثانية تتكون من الفرسان وهم أقلية، وأثناء المعارك كان الجيش ينقسم مثل باقي الجيوش الاسلامية من ميمنة وميسرة وصدر الجيش الذي يحوي على خيرة المقاتلين[4] .

وكانت التركيبة البشرية لعناصر الجيش في بدايتها تتكون غالبا من المتطوعين، الذين كانت مكافئتهم عبارة عن الغنائم التي يتحصلون عليها من الجهاد، وكان لزاما على الأمير أن يعين سنويا فئة

[1]أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ج6، ط7، ص 578.

[2]احمد محمّد لواء الدين :الاسلام في نيجيريا ودور الشيخ عثمان بن فودي في ترسيخه، ط01، دار الكتب العلمية ،2009، ص140 .

[3]عبد الله عبد الرزاق ابراهيم المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا،مرجع سابق، ص 143.

[4]علي أيوب ناجي: لمحات عن الاسلام في نيجيريا بين الأمس واليوم ،المرجع السابق، ص85.

مهمة لتولي مهمة الجهاد، ومع ازدياد عملية الفتوحات التي اتسعت معها الرقعة الجغرافية للدولة استلزم ضرورة احترافية الجيش لينقسم الى ما يلي :

. النظاميون (الدائمون) : وهم الذين كانت تشرف الدولة على رواتبهم مقابل انخراطهم في خدمة الجيش، وامتازوا بخبرتهم العسكرية في مجال المعارك واحترافيتهم في الميدان .

. المتطوعون : وهم العوام من شباب المجتمع الذين يتم الاستنجاد عند الضرورة في مختلف الحروب والفتوحات[1] .

على أن أغلب القبائل التي انضمت تحت لواء الجهاد الاسلامي هي تلك القبائل التي كانت تعاني التهميش والذل في ظل سيطرة الحكم المستبد بيد الملوك الوثنيين .

إن من أبرز المشاكل والتحديات التي واجهها الجيش في نشأته وبداية حروبه الأولى هو مشكل التسليح لمواجه العدو، فكانت معظمها عبارة عن أسلحة تقليدية كالسيوف والرماح ذات الأسنة الطويلة (القنا) بالإضافة الى الأقواس، لكن رغم قلتها استطاع الصمود وتفادي خسائر كبيرة، وتحقيق انتصارات كبيرة مثل هزيمتهم للملك " يونفا " وغالبا ما يكون الاعتماد في التسليح على ما يتم أخذه من الاعداء ،ويستعملون في تنقلاتهم الحربية على الخيول بالإضافة الى الحمير والبغال التي كانت تساعدهم في نقل الأمتعة والأغذية نظرا لكونهم كانوا دائما في حالة حرب واستنفار بحثا عن أماكن الاستقرار.[2]

في ظل التطور الذي عرفته الأنظمة الحربية في تلك الحقبة إثر ظهور التكالب الأوربي على افريقيا بصفة عامة اثر المد المسيحي الذي ظهر بعد حركة الكشوفات الجغرافية، حيث صحب معه تطورا في استخدام الأسلحة التي كانت تقليدية(سيوف،رماح)[3] لتتحول الى أسلحة نارية(بنادق،مسدسات) مما جعل الفوديون يسعون لمواكبة عصرنه الجيش فقام مُحَمَّد بيللو بجلب الأسلحة النارية من بريطانيا، بالإضافة الى معدات الترحال والتنقل عبر مختلف الأقاليم وذلك بتزويدهم بالخيم والجمال والخيول والدواب قصد مساعدتهم في نقل الأسلحة والأطعمة للجيش.[4]

[1] السر أحمد العراقي : نظام الحكم في الخلافة الصكتية ،المرجع السابق، ص 55 .

[2] عثمان بن فودي : نجم الإخوان ، مصدر سابق ،ص 25 .

[3] ينظر الملحق رقم29.

[4] Ibraheem Sulaiman. Arevolution in History ,The Jihad of Usman Dan Fodio,Mansell Publishing limited,London,p 83.

نظرا لما تشكله الرباطات من قوة وتماسك للجيش وتحصين لمكانة الدولة من الأخطار المحيطة بها فقد حاول مُحَمَّد بيللو جاهدا لتشييد الرباطات العسكرية ونشرها على مختلف الأقاليم لتشكل بعدا روحي وعسكري متين ولعل أبرزها رباط ورنو الذي كان يلقب بالرباط الأكبر ومكث فيه الى غاية وفاته ودفنه هنالك واهتم الخلفاء الذين جاؤا بعده بمواصلة تشييدها نظرا للأهمية الكبيرة التي تحققها مثل رباط باكورا ورباط شناكا الذي شيدهما أبوبكر العتيق.[1]

وعليه نصل الى أن الفوديون اهتموا بشكل كبير بالجانب العسكري باعتباره أحد أهم الركائز لاستقرار الامن وتثبيت دعائم الدولة والمساهمة في الحركة الإصلاحية التجديدية بالمنطقة .

[1] السر أحمد العراقي : نظام الحكم في الخلافة الصكتية ،المرجع السابق، ص 63.

الفصل الثالث: الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية

1) الإصلاحات الاجتماعية

في وقت انتشرت فيه البدع والخرافات على مستوى كبير بين فئات المجتمع بالسودان واختلاط الدين الاسلامي بكثير من الشوائب والمعتقدات الوثنية في وقت كانت تسيطر الفئة الوثنية على الحكم أو حديثة العهد بالإسلام، وتجلت بعض مظاهرها في ذلك الاختلاط بين الجنسين وكثرة موائد اللغو واللهو واختلاط البدعة بالدين الاسلامي وتقديم القربان للأوثان مما جعل بعض القبائل تصبح قبائل مسلمة بالاسم فقط ومعاملاتهم لا تنسب بصلة الى الاسلام والمسلمين، مما جعل المجتمع يعيش اضطرابا سياسيا وعقائديا تحت حكم ملوك ظالمين.[1]

وقد وصف الشيخ عثمان بن فودي أحوالهم في مخطوطه الفرق بين ولايات أهل الاسلام وولايات أهل الكفر قائلا: " ومن ولاياتهم أنهم يبحثون عن قضاء شهواتهم فقط إذ هم كالأنعام .وفي ذلك يقول الله تعالى:(أولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلا أولئك هم الغافلون)[2].

ومن ولاياتهم أنهم يأكلون من الطعام ما يشاءون حلالا كان أو حراما ويلبسون من الثياب حلالا كان أو حراما ويركبون من المراكب ما يشاءون حلالا كان أو حراما ويأخذون من النساء ما يشاءون حلالا كان أو حراما ويسكنون القصور المزخرفة حلالا كانت أو حراما ويفترشون الفرش الفارهة اللينة ما يشاءون حلالا كانت أو حراما.[3]

وبالرغم من انتشار الاسلام في مختلف مناطق السودان الأوسط إلا ان تلك المظاهر الوثنية كانت لا تزال متفشية داخل المجتمع وهو ما يؤكده مُحَمَّد بيللو حيث قال:

" لقد حدثونا أن لسلاطينهم وأمرائهم مواطن يركبون إليها ويذبحون بها ويرشون بالدماء على أبواب قريتهم ولهم بيوت معظمة فيها حيات وأشياء يذبحون لها ويفعلون للبحر كما كانت تفعل القبط للنيل أيام الجاهلية، ولهم في ذلك أعياد يجتمعون فيها هم وقراؤهم وسلاطينهم وعامتهم ولا يحضرها غيرهم ويسمون ذلك عادة البلد ويزعمون أن ذلك صدقات ليستعينوا بها على جلب

[1] الطيب عبد الرحيم مُحَمَّد الفلاتي: الفلاتة في افريقيا ومساهمتهم الاسلامية والتنموية في السودان، مرجع سابق، ص 226 .

[2] الآية 44 من سورة الفرقان .

[3] عثمان بن فودي: الفرق بين ولايات أهل الاسلام وولايات أهل الكفر،مخطوط، جامعة بايرو،كانو،ص07.

المصالح ودرء المفاسد فإذا لم تفعل تلك العادة بطلت معايشهم وقلت أرزاقهم وضعفت شوكتهم وتوارثوا هذه العوائد كابرا عن كابر."[1]

ووردت إشارات متنوعة في أماكن مختلفة تظهر مدى الارتباط الوثيق لسكان المحلين الوثيق بمعتقداتهم الوثنية من خلال تقديسهم لبعض الظواهر الطبيعية كالأشجار والحجارة والكهوف، مع ممارستهم لطقوس الشعوذة والسحر بنوعيه (الأبيض) و(الأسود) وانتشر بشكل كبير داخل أوساط المجتمع خاصة لدى النساء أكثر من الرجال، وبالتالي فإن هذه الممارسات وغيرها تخرج الإنسان عن الدين الاسلامي[2] .

ومما سبق ذكره يمكن أن نستنج أسباب فساد المجتمع حسب عثمان بن فودي من خلال خمسة أمور وهي :الإسراف في المشرب والمأكل والمسكن والملبس والزواج الخارج عن نطاق الشريعة الاسلامية، ومن ذلك يمكن تحديد الدواء لكل آفة اجتماعية.

لذلك فقد رأى الشيخ عثمان بن فودي ضرورة مجابهة تلك الافكار الخاطئة من خلال تأسيس جبهة بشرية قوية صالحة لمواجهة التحديات وبدأ ذلك بتقسيم المجتمع الى أقسام حسب معتقداتهم ودرجة تدينهم كما يلي:

. الفئة الاولى: وهم المسلمون الأقوياء في عقيدتهم قولا وفعلا .

. الفئة الثانية: وهم مسلمون ضعفاء يشهدون بالرسالة الاسلامية ولا يطبقونها بحذافيرها.

. الفئة الثالثة: وهي الفئة الغالبة على المجتمع وتتشكل من كفار مسالمون للإسلام والمسلمون.

. الفئة الرابعة: وهم كفار عدائيون للإسلام ومعارضون لانتشار الدعوة الاسلامية[3] .

انطلق في تغيير السلوكيات السلبية للمجتمع ليكون لهم قدوة من خلال العمل من اجل كسب قوته ولا يأكل من أموال الحرام بتاتا، حتى يتعلم أفراد جماعته كيفية التوكل على الله من أجل الرزق الحلال، ومن الناحية النفسية فكان مداوما على إقامة الصلوات الخمس جماعة داخل المساجد، ومما يؤثر عنه أنه كان يحزن ثلاثة أيام إذا ما فاتته تكبيرة الإحرام وسبعة أيام إذا ما فاتته ركعة من الصلاة،دلالة على مدى تقديسه للوقت.[4]

---

[1] محمد بيلو بن عثمان فودي: إنفاق الميسور ،مرجع سابق، ص 83.

[2] H.De Schamps ,A History of Islam in West Africa ,London,p 143 .

[3] الطيب عبد الرحيم محمد الفلاتي: الفوديون ومقاومة الاستكبار في غرب إفريقيا والسودان، بحوث الندوة العالمية حول الشيخ عثمان بن فودي، الخرطوم، جامعة إفريقيا العالمية،1996،ص 315 .

[4] عبد الله بن فودي : الترغيب والترهيب في الصلاة، تحقيق الطيب عبد الرحيم الفلاتي،ص17.

وسعى نحو مقاومة الجهل والحكام المستبدين ويظهر ذلك جليا في كتاباته العديدة منها : نور الالباب ، اقتباس العلم حيث وضح في الكتاب الأخير أهمية العلم الدنيوية وثوابه في الآخرة وقسم فيه طلاب العلم الى ثلاثة فئات وهم:

. رجل طلب العلم ليستعين به في حياته العاجلة وينال به العزة والمال وهو بذلك مستشعر في قلبه ركاكة حياته وخساسة مقصده فإنه من الخاسرين .

. رجل استحوذ عليه الشيطان فأخذ علمه ذريعة الى التكاثر بالمال والتفاخر بالحياة والتعزز بكثرة الأتباع فهو يدخل بعلمه كل مدخل رجاء أن يقضي من الدنيا وطره فهو من الهالكين ومن الحمقى المغرورين .

. رجل طلب العلم ليتخذ به زادا في المعاد ولم يقصد به إلا وجه الله والدار الآخرة فهو من الفائزين[1] .

أما في كتابه المعنون تحت اسم نور الألباب فقد اهتم فيه بمسألة تعليم المرأة مؤكدا على الدور البارز الذي تلعبه داخل المجتمع فصلاح المجتمعات من صلاح المرأة وإهمالها وفساد أخلاقها يؤدي الى فساد المجتمع .

كما حاول الشيخ عثمان بن فودي أن يحارب تلك البدع التي كانت متفشية في مجتمعه ويبين مدى تحريمها بالقرآن والسنة وأمر الناس بعدم إتباعها كونها تدخل في قالب الشرك والوثنية وهو ما يوضحه في كتابه بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في أبواب الملة المحمدية ومن بين تلك البدع التي حاربها هي عدم التبرك بالقبور والتمسح بها، أو بناء المساجد عليها قصد رجاء نفعهم في قضاء حاجيتهم، كما نهاهم على عدم التفاؤل بالأيام في قولهم هذا يوم صالح وهذا يوم قبيح، وحذرهم من السحر والشعوذة فيما يصطلحون عليه علم الحروف، وأمرهم بعدم توريث المناصب الشرعية لأشخاص جاهلين غير قادرين على تحملها وعدم إعطاء المرأة نصيبها من الميراث واستيلاء الكبير على أملاك الورثة دون وجه حق، مثلما حذرهم بضرورة تطبيق الحد على الزاني بدلا من الاستغناء بذلك بواسطة دفع الأموال، وغيرها من مفاسد القيم والأخلاق المنتشرة بين فئات المجتمع.[2]

[1] الطيب عبد الرحيم مُحَمَّد الفلاتي: الفلاتة في افريقيا ومساهمتهم الاسلامية والتنموية في السودان، مرجع سابق، ص224.

[2] عثمان بن فودي:بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في أبواب الملة المحمدية، تحم الم أنس مُحَمَّد يعقوب، دار أقرأ غوسو، نيجيري، سنة2013،ص11.

وحاول الفوديون تحت قيادة الشيخ عثمان بن فودي بكل ما أوتوا من قوة ووسيلة لمحاربة البدع ودعوة السكان الوثنيين من أجل الدخول الى الدعوة المحمدية وترك المعتقدات البائدة ومن ناحية أخرى دعوة المسلمين المخلطون الى ضرورة ترك كل ما هو دخيل على الاسلام والعودة الى تطبيق الشريعة الاسلامية الصحيحة والمستمدة من كتاب الله وسنة رسوله، وتطبيق العقيدة الصحيحة الخالية من الشوائب الوثنية وذلك بالتدرج مستعملا في ذلك الأدلة القلية والمنطق محاولا بذلك إحياء السنة النبوية الشريفة الصحيحة.[1]

وكان مُحَمَّد بيللو قد أشار في كتابه الى بعض المظاهر الوثنية السلبية التي كان يمارسها المسلمون في المنطقة وهي ظاهرة إشعال النار والطواف عليها وهم يرددون عبارة "نحن وداعة الله، ثم وداعتك أيتها النار، وآنت أبونا وأمنا" حيث كان الشيخ لبكري قد أفتى بتحريم هاته الظاهرة وتكفير فاعلها لما فيها من تعظيم للنار التي كانوا يطوفون بها مع أولادهم حتى يتم ترسيخا داخل افراد المجتمع[2] .

ومع مرور الوقت وتقبل المجتمع لمبادئ وأفكار الحركة الإصلاحية الفودية بدأت ثمارها تظهر تدريجيا داخل المجتمع واختفت بذلك الأعياد والمقدسات الوثنية ليحل محلها الاحتفال بالأعياد الاسلامية وهما عيدي الفطر والأضحى، وأصبحت التقاليد الاجتماعية الاسلامية الصحيحة هي السائدة في المجتمع مثل عقود الزواج بشروطها والطلاق بأحكامه وتطبيق المواريث على أصحابها حسب الشريعة الاسلامية بل وصل تأثير الدين حتى الى المعاملات اليومية في التجارة والصناعة والعلاقات اليومية فمثلا أصبحت الزوجة لا تستطيع مناداة زوجها باسمه بل تدعوه بكلمة "مالم" أي المعلم لما له من قدسية في إرساء ثوابت الأسرة الاسلامية.[3]

وكان الشيخ عثمان بن فودي شديد الحرص على إقامة شرائع العيدين حتى وهم في حالة الحرب دلالة على مدى رمزيتها الدينية، وكانت تقام في صعيد خارج المدن والقرية، وأحيانا كانت

[1] مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد السكاكر: مُحَمَّد بل والدولة الصكتية في عهده 1232هـ-1235هـ/1817م-1837م،مرجع سابق، ص 263.

[2] مهدي رزق الله أحمد: حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقيا قبل الإستعمار وآثارها الحضارية، مرجع سابق،ص 259.

[3] عبد الله عبد الرزاق ابراهيم: المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا، مرجع سابق، ص 207 .

تجتمع بعض القرى وتقام الصلاة في أماكن واحدة، تزيين المواكب في العيدين حيث تجوب الشوارع وهم يكبرون ومهللين فرحين بالعيد.[1]

ومن بين المناسبات الاخرى التي كان يتم الاحتفال بها تحت ظل الإسلام نجد احتفالهم بعيد المولد النبوي الشريف، فكانت المساجد تأخذ طابع الزينة وتمتلئ بالناس الذين يقومون بمدح المصطفى وتدارس سيرته العطرة، ويبقون في المساجد الى الثلث الأخير من الليل، على أن الشروع في بداية الاحتفالات كانت تبدأ منذ السابع والعشرين من شهر صفر. يضاف لها الاحتفالات برأس السنة الهجرية وعاشوراء[2]، وختم القرآن وما يمكن ملاحظته هنا بعض التشابه في طريقة الاحتفال وإحياء هاته المناسبات مع سكان بلاد المغرب الاسلامي دلالة على ذلك التواصل الحضاري بين المنطقتين وتأثيره عليها.

كما وصل تأثير الحركة الى العادات والتقاليد، حيث اختفت تلك العادات الوثنية في المأكل والملبس والحياة اليومية، وتحل محلها العادات الاسلامية كاللباس المحتشم واللثام الأبيض والعمامة التي تميز الفرد المسلم حيث طلب الشيخ عثمان بن فودي من الملك باوا أن يحترم كل من يرتدي الغمامة، أما المرأة كذلك أصبحت ترتدي الحجاب الشرعي الذي يستر جسدها عن الناس، مثلما أصبحت للمرأة مكانة عالية في المجتمع في كنف الاسلام بعد أن كانت عبدة تباع وتشترى، واختفت معها ظاهرة التعدد الغير شرعي.[3]

مثلما تم إبادة مظاهر السحر والشعوذة والعرافة واستبدالها بالرقية الشرعية وتحصين النفس بواسطة قراءة القرآن الكريم، الأمر الذي يظهر مدى إتساع الثقافة الاسلامية واستبدالها مكان المعتقدات البدائية التي بدأت تتلاشى تدريجيا نتيجة للتأثير الفعال الذي كان يقوم به العلماء الفوديون انطلاقا من الشيخ عثمان بن فودي ومن جاء بعده .

[1] مُحَمَّد بيللو: إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور،مصدر سابق، ص 102.

[2] عومار عطية: الشيخ عثمان بن فودي وحركته الاصلاحية جذورها وتأثيراتها على غرب إفريقيا (1754م-1817م/1168هـ/1233هـ) رسالة ماجستير،إشراف مُحَمَّد حوتية،قسم العلوم الانسانية،جامعة غرداية،2016/2015م،ص150.

[3] نعيم قداح: التأثير العربي الاسلامي، مرجع سابق، ص50.

2/ المنظومة التعليمية عند الفوديين

يعتبر التعليم أحد الركائز الأساسي لإقامة مجتمع سليم ورغم هذا لم يقم الفوديون في بداية حركتهم الإصلاحية بفتح مدارس نظامية تعليمة على نمط الطريقة المعاصرة، حيث كانت عبارة عن حلقات وعظ وإرشاد لتوعية مختلف شرائح المجتمع لتتحول حلقات للذكر وتدريس العلوم الدينية مما شجع الناس على الإقبال عليها بسب أسلوبها المتبع وحكمة أصحابها الذين نالوا شهرة ومكانة قوية داخل المجتمع، حيث كانت العملية التعليمية تستند الى معايير في شخصية من يتولى قيادتها مثل التكوين وقوة الشخصية التأثيرية الفعالة،كما أن أصحاب هاته الحلقات كانوا يعتمدون على تبسيط المفاهيم حسب المتلقي وتقريبها الى ذهنية المتعلم مستخدمين أسلوب الترغيب والتحبيب مما جعلهم يتنافسون في الحضور[1] .

كان الشيخ عثمان بن فودي مثل باقي المصلحين قد بدأ مسيرته بالوعظ والنصح والتدريس قصد بث مبادئ حركته من جهة وتنوير العوام بأمور دينهم معتمدا في ذلك على أسلوب التعليم حيث بدأه في سن مبكرة وكلفه والده بمساعدته وهو في سن العشرين أي سنة 1774م رفقة أخيه عبد الله الذي كان غالبا ما يرافقه في مهامه التعليمية[2]على أن التعليم في البداية كان يركز على الأفراد الذين كانوا يخلطون إسلامهم بالمعتقدات الوثنية متحاشين بذلك الوثنين اتقاء للفتنة والحروب وذلك في المراحل الاولى للدعوة، وقد قصدهما الناس من كل جهة وبعد انتشار الدعوة في مختلف الأماكن خاصة وأنهم كانوا قبل وجود الفوديون يتنقلون لمسافات كبيرة بحثا عن العلوم الشرعية الصحيحة[3]سواء الى الحواضر الإفريقية التي كانت رائجة في مستواها العلمي أو الحضاري في تلك الفترة مثل تنبكتو، جني، قاو أو حتى حواضر شمال إفريقيا مثل القيروان ، فاس والقاهرة.[4] وكان الفوديون لا يفرقون بين العلم والإيمان فهما لا يفترقان وكلاهما يكمل الاخر فسعى نحو بناء نظام الجماعة الذي يعتمد أساسا على التعليم بمختلف أنواعه حيث قسمه الى ما يلي :

---

[1] خالد علي عبد القادر: انتشار الاسلام في إمارات الهوسا بالنيجر ونيجيريا وأثره على الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 2014، ص227.

[2] Abba Idris . Reinventing Islamic Civilization in the Sudanic Belt ,The Role of sheikh Usman Dan Fodio ,Volum 4 ,No.6,Journal of Modern Educaction,Review,USA ,2014,p 459.

[3] آدم عبد الله الألوري: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني، مرجع سابق، ص 284.

[4] سر الختم سيد أحمد: ملامح تطور الحضارة الاسلامية في بلاد السودان الأوسط والغربي، مجلة بيادر،دار المنظومة، ع 12،السعودية، 1994، ص 91.

1. التعليم النظامي: يهدف هذا النوع من التعليم الى إجبارية التعليم وجعله من ركائز صلاح المجتمع، وبالتالي فقد قسمه الى مرحلتين ، الاولى قبل بلوغ الطفل سن الخامسة حيث يتعلم قراءة القرآن دون حفظه، معتمدا على حاسة السمع والبصر أي تعليم المبادئ الأساسية للقراءة، وكيفية قراءة الحروف العربية الهجائية ونطقها بشكل سليم، باعتبارها ليست اللغة الأم للطفل .

ثم تأتي بعد ذلك المرحلة الثانية وهي مرحلة مهمة في التعليم تدعى مرحلة اللوح، أي ما بعد سن الخامسة، حيث يستطيع الطفل في هاته المرحلة أن يتوصل الى قراءة القرآن، وكتابته بواسطة القلم على اللوح، بالإضافة الى بعض المبادئ الاسلامية العامة، والخصال الحميدة، كالاحترام والمودة وطاعة الولدين وتوقير الكبير[1] وتعتبر هاته المرحلة هي مرحلة هامة تقوم بصقل تربية الطفل مبادئ الدين الاسلامي وتدوم هاته المرحلة أربعة سنوات .

2. التعليم في المعاهد والمدارس: بعدما يتم الطفل مرحلة بواسطة اللوح يدخل الى هاته المرحلة التي هي امتداد وتكميل للمرحلة السابقة، وتعتمد على مناهج مستمدة من الشريعة الاسلامية وتعتمد في تدريسها على القرآن والسنة النبوية باللغة العربية، وكل هاته المعاهد متشابهة فيما بينها من حيث الأسس وهي في الأصل عبارة عن فصول متدرجة ولكل فصل مقرراته الخاصة،كما ينقسم المدرسون فيها الى صنفين منهم الشيوخ المتفننون وهم الذين يدرسون جميع المقررات بصفة عامة دونما تخصص معين، والشيوخ المتخصصون وهم الذين يقومون بتدريس المواد المتخصصون فيها كالقرآن والحديث والحساب وعلوم اللغة المنطق وغيرها من العلوم وهي بذلك مناهج مشابهة لتلك التي كانت تدرس في الأزهر الشريف، بينما طرق تدريسها تختلف من منطقة لأخرى نظرا لكونها لم تكن تخضع لسلطة مراقبة مركزية[2] .

3 . التعليم المهني : لم يكن بمقدور جميع التلاميذ الذين يمرون على مرحلة اللوح ان يواصلوا مراحل تعليمهم الاخرى في المعاهد أو المدارس وبالتالي كان يتم توجيههم مباشرة الى الحياة المهنية وذلك بتسخيرهم لتعلم حرفة مهنية تؤهلهم للاندماج داخل الحياة ثم تأهيلهم فيما بعد لخدمة الدعوة الاسلامية وذلك باستعمال وسائل بسيطة وإمكانيات محدودة في وقت قصير على غرار تعلم حرفة الزراعة على مستوى الحقول العائلية تحت مرافقة الأسرة أو الذهاب الى الصناع لاحترف

[1] أحمد عمر عبيد الله: الأسس التربوية لحركة التجديد عند الشيخ عثمان دان فوديو،والسودان، بحوث الندوة العالمية حول الشيخ عثمان بن فودي، الخرطوم، جامعة إفريقيا العالمية، 1996، ص 108.

[2] حسن عيسى عبد الظاهر: الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفولاني من مطلع القرن التاسع عشر ميلادي، مرجع سابق، ص 244.

مهنة الحدادة والتجارة والخياطة والدباغة، على أن هناك بعض الحرف كانت تتوارث داخل الأسرة الواحدة ويمكن لصاحبها أن يتقنها تلقائيا بحكم الاحتكاك الدائم بمحترفها داخل أسرته.[1]

4 . تعليم الجماعة الخاصة (الصفوة):

من أجل الإعداد الجيد لحركة الشيخ عثمان بن فودي قام باختيار مجموعة من الطلبة المتفوقين والمتميزين في دراستهم حيث كان يشرف عليهم شخصيا مما جعله يكتشف قدراتهم الفكرية، فسعى نحو صقل مواهبهم وإعدادهم فكريا وعلميا من أجل تبني مشروعه الإصلاحي فكانوا يتهافتون على دراسة كتب الشيخ وشرحها ثم إعادة تدوينها قصد نشرها في مختلف الأقاليم وقد كانوا ملازمين للشيخ في حله وترحله، أما طائفة أخرى منهم فكانوا غالبا ما ينهون دراستهم على يد الشيخ فيطلبون منه الإذن للذهاب الى مكان أخر قصد نشر وتعليم العلوم التي تلقوها في مناطق أخرى قصد المساهمة في الحركة الإصلاحية[2] .

واعتمد في تدريب جماعته على أسلوب الصوفية القادرية، من خلال نشر التعاليم الدينية الصحيحة ودراسة اللغة العربية ليتسر لهم فهم القرآن وأحكام الدين لتصبح حلقات دروسهم ملتقى للتعليم وميدانا خصبا للتدريب، مما ساعدهم على بناء شخصية قوية منضبطة ساعدتهم على كراسي التعليم وتبني مشروع الدعوة الى نصرة دين الله الحق[3] .

5 . تعليم عامة الناس: حاول عثمان بن فودي أن يشمل بحركته التعليمية مختلف شرائح المجتمع ولم يقتصر على الطلبة أو جماعته بل الى زاد الى عوام المجتمع قصد استمالة قلوبهم وأفكارهم، لتبني مشروعه الإصلاحي مستعملا بذلك أسلوب بسيط سلس يتماشى وعقولهم مخاطبا إياهم باللغة التي يفهمونها نظرا للتفاوت في تركيبتهم الاجتماعية ومعارفهم السابقة وكان يجالسهم يوميا بعد صلاة العشاء وهو نفس الأسلوب الذي انتهجته جماعته الصفوة الذين كانوا يقومون بمشروعه الدعوي في مختلف الأقاليم.[4]

---

[1] أحمد محمد كاني: ضياء السياسات وفتاوى النوازل،ط01،مرجع سابق، ص23.

[2] خالد علي عبد القادر: انتشار الاسلام في إمارات الهوسا بالنيجر ونيجيريا وأثره على الحياة الاقتصادية والاجتماعية، مرجع سابق، ص 226.

[3] مختار عبد الرحمن : أثر ابن فودي في انتشار الاسلام في نيجيريا، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 1977، ص16.

[4] أحمد محمد كاني: الجهاد الاسلامي في غرب افريقيا، مرجع سابق، ص 21.

وركز طلاب الشيخ وجماعته على العنصر التربوي والثقافي قصد محاولة شحن الهمم وإعادة المجد القديم لشعوبهم باستعمال حركة التأليف، التي كان الهدف من ورائها إيضاح الصعب وتبسيطه حتى يفهمه العوام حيث كتبوا في مجالات عديدة كالسياسة والعقيدة والفقه والشعر كما أجابوا على بعض الأسئلة التي كانت تصلهم حول أمور دينهم وحياتهم اليومية حيث ساعدت تلك الكتابات على تبسيط قضاياهم وأحيانا كانت تساعد الحكام في تسيير شؤون الرعية.[1]

وكان للشيخ عثمان بن فودي مجلسان للتدريس أحدهما بعد صلاتي العصر والعشاء يدرس فيه الفقه والمعاملات والتفسير ومختلف فنون العلم، أما يوم الجمعة ليلا كان يخصص مجلسا للوعظ والتذكير وكان يحضره كل فئات المجتمع ذكورا وإناثا ومن مختلف الأقاليم، حتى ذاع صيته بين الناس وكثر بذلك أتباعه ومحبيه[2] .

وكانت مجالس الذكر تنقسم الى صنفين أحدهما للصفوة من أصحابه الذين كانوا يلازمونه في كل مكان، وتكون مواضيع حلقاتهم ذات مستوى عال من النقاش والأفكار مقارنة بمجلس العوام، ويصف ابنه مُحَمَّد بيللو أثناء دخول والده الى مجالس الذكر أنه يقوم بتحيتهم عند وصوله للمجلس، أما إذا جلس على كرسيه يحيهم ببشاشة واطمئنان وطلاقة وجه تدخل السرور على محيا الحاضرين ثم يحدثهم بصوت مسموع ما شاء أن يدرسهم[3].

6 . المناهج التعليمية ولغتها: كان يعتمد في لغة التدريس على اللغة العربية بل اشترط تدين الإنسان مع ضرورة تعلمه للغة الدين حتى تساعده في حفظ القرآن ومعرفة تفسير الآيات والاحكام الفقهية، على أن اللغة العربية كانت قد عرفت انتشارا واسعا بالمنطقة قبل وصول الاسلام، بفضل الحركة التجارية للعرب ثم تعززت مكانتها بعد دخول الاسلام حتى أصبحت لغة رسمية، وقد كان الفوديون يستعملونها في يومياتهم وشرح الدروس وكتابة المراسلات وأحيانا كان يتم اللجوء الى استعمال اللغات المحلية كالفولانية والهوسا في شرح التفسير والفقه حتى يستفيد العوام منها[4] .

لقد أعطى الفوديون للغة العربية وآدابها كل الاهتمام حيث ازدهرت بشكل كبير وكثرة المدارس القرآنية للصغار والحلقات العلمية للكبار حتى وصلت الى عدد يصعب إحصائه وعده نظرا

[1] علي أيوب ناجي: لمحات عن الاسلام في نيجيريا بين الأمس واليوم ،المرجع السابق، ص102.

[2] آدم عبد الله الألوري: الاسلام في نيجيريا، مرجع سابق، ص 104.

[3] مُحَمَّد بيللو بن عثمان فودي: إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، مصدر سابق، ص 73.

[4] السر أحمد العراقي : نظام الحكم في الخلافة الصكتية ،المرجع السابق، ص 88 .

لكونها لم تكن تابعة لأي نظام رسمي، لكن يمكن تصور كثرتها بكثرة العلماء والفقهاء الذين عاشوا تلك الفترة وقد فتحوا أبواب بيوتهم على مصرعيها للتدريس وعقد حلقات في المساجد لإلقاء الدروس في العلوم الدينية واللغوية وأصبح التعليم واجبا شرعيا يقوم به الجميع، خاصة بعد أمر الشيخ عثمان بن فودي بفتح في مسجد في كل قرية ومدرسة للتعليم الناس أمور دينهم وفرائض شريعتهم يشرف عليها فقيها متعلما.[1]

وحث العلماء الفوديون على ضرورة إجادة اللغة العربية بشكل واسع حتى يتسنى للجميع فهم القرآن والفقه والتشريع الاسلامي، وازدهرت بفضلها العلوم ولقيت رواجا في المدارس لدرجة أصبحت اللغات المحلية كالهوسا والفولانية تكتب بحروف عربية، لتصبح على إثرها اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة في تعاملاتهم الداخلية والخارجية.[2]

وكان الفوديون يعتمدون في مناهجهم على مرتكزات أساسية حتى يتم تحقيق العملية التعليمية من تلك المناهج ومن أبرزها ما يلي :

. ضرورة الاعتماد على المناهج التي توصل المتعلم الى الايمان بالله وإتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم .

. تزويد المتعلم بالمعارف التي تمكنه من التعرف على نعم الله التي سخرها له وضرورة استغلالها فيما يرضي الله .

. تزويد المتعلم بالمعارف التي تجعله ينشئ في تربية صالحة يستطيع من خلال سلوكه السوي أن يفيد المجتمع به.

وقد تدرج المنهج في معالجته التربوية على مستوين أحدهما للنخبة ذات المستوى العالي والثاني لعامة أفراد المجتمع، وحتى لغة التدريس كان مستواها يتلاءم وفق المتلقي لها حتى تتماشى مع مستواه الفكري.[3]

ويمتاز هذا المنهج الفكري الذي اعتمد عليه عثمان بن فودي أنه يسعى نحو الانفتاح الفكري على العالم الخارجي وخاصة المناطق الاسلامية المجاورة مما جعل الامراء والعلماء يسعون لتكوين

[1] علي يعقوبي: الفولانيين الشعب واللغة، مجلة قراءات إفريقيا، ع24، المنتدى الاسلامي، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2015، ص 8.

[2] حاج أبا أدم الحاج: ورقة بعنوان أثار الثقافة الاسلامية على الثقافة الافريقية، دراسة حالة مردود الثقافة الإفريقية غرب افريقيا، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، 2011، ص14.

[3] أحمد محمد كاني: الجهاد الاسلامي في غرب افريقيا، مرجع سابق، ص 23.

مكتبات خاصة تحوي على أمهات الكتب وكل ما جد في حركة التأليف، خاصة تلك المتعلقة بمجال التفسير والفقه وعلم النحو والصرف ليصبح بذلك المجتمع على إطلاع دائم بعالمه الخارجي. بالإضافة الى العلوم الدينية نجد الحساب والمنطق والشعر حيث أن الفوديين برعوا في كتابة القصائد سواء بالعربية أو اللغات المحلية لتوصيل مختلف الرسائل والأهداف وأصبحت قصائد الوعظ والإرشاد تحفظ عن ظهر قلب.[1]

إن المناهج التي كان يستعملها الفوديون هي امتداد لتلك المناهج الدراسية التي كانت تدرس في تمبكتو وهو ما يوضحه الشيخ عبد الله بن فودي عندما ذكر بعض الكتب التي كانت تدرس عندهم على غرار مقدمة ابن أجروم، قطر الندى، الأشموني، الدرر اللوامع في قراءة نافع، مختصر خليل، مقامات الحريري، الورقات لإمام الحرمين، الشاطبية، جمع الجوامع، كتب التفسير وكتب الحديث الصحيح ومنه نستنتج أن التعليم اللغوي والديني كان راقيا جدا ذو مستوى يضاهي المدارس والمعاهد الاسلامية في تلك الفترة كما أضاف لها الطلاب والدارسون الكتب التي كان الشيخ عثمان بن فودي يقوم بتأليفها هو أو أخوه عبد الله أو ابنه مُحَمَّد بيللو.[2]

ولعل ما يميز تلك المقررات هو اشتمالها على نمطين أساسين للتدريس أحدهما مختص في دروس العقيدة حيث أن الشيخ كان يسعى الى محاولة تقويم العقيدة الصحيحة للمجتمع، من خلال تمييزه بين الفرد المسلم ظاهرا وباطنا، وبين المنافقين الذين يظهرون إسلامهم وباطنيا يقومون بأعمال الوثنية ومعتقداتها التي كانت متفشية في المجتمع[3] وكان الفوديين يحاولون بكل الوسائل القضاء عليها من خلال تصحيح المفاهيم العقائدية، حيث ان الشيخ عثمان بن فودي كان عندما يعقد لهم مجالس العقيدة يبدأ بشرح الإلهيات شرحا تاما بالذات والصفات ثم ينتقل بعدها الى النبوات فيذكر أن الرسل كلهم صادقون أمناء مختارون من بين البشر، مبلغون برسالة سماوية، ثم يتبعها بالسمعيات فيذكرهم أن الملائكة حق والكتب المنزلة كلها حق وان الموت حق والجنة والنار حق ويقدم كل الأدلة والبراهين من الكتاب والسنة النبوية، كما كان يقرر لهم ان هاته

[1] أحمد عمر عبيد الله: الأسس التربوية لحركة التجديد عند الشيخ عثمان بن فودي،ص113.

[2] حسن عيسى عبد الظاهر: الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفولاني مطلع ق12هـ 19م، المرجع السابق، ص 122.

[3] عثمان بن فودي: تمييز أهل السنة، تح، مُحَمَّد مودي شوني، منصور ابراهيم،مج 01، دار إقرأ، غوسو،نيجيريا، 2013، ص 104.

الأمور العقائدية هي من تمام الدين ويجب على المسلم أن يعرفها حتى تصبح عقيدته صحيحة، كل ذلك باستعمال لغة الحاضرين سواء كانت لغة عربية أو هوسوية أو فولانية.[1]

أما المجلس الثاني الذي كان يعقده الشيخ وهو مجلس خاص بدروس الفقه حيث كان يجلس لتعليم الناس كلما يتعلق بأمور دينهم ويوضح لهم فرائض العبادات الغسل والوضوء والصلاة والزكاة والصوم وكيفية أداء كل ركن من أركان الاسلام بالإضافة الى فقه المعاملات كالبيع والنكاح والميراث، ولم يكن يكتفي بهذا فحسب بل كان غالبا ما يوجه لهم نصائح تهمهم في حياتهم اليومية، وتدخل في إطار الآداب العامة كحثهم على طلب العلم النافع وخاصة ما تعلق بأمور الدين والعقيدة، والامتثال لأوامر الله واجتناب نواهيه والاشتغال بدراسة السيرة النبوية حتى يقتدي بها في المعاملات اليومية[2].

وكان الشيخ عثمان بن فودي غالبا ما ينصح طلابه بقراءة كتب علماء زمانه، لمسايرتهم للأحداث والوقائع التي كانوا يعيشونها وبالتالي أخذ الأحكام الملائمة لذلك، ومن ناحية أخرى كان يوصيهم بقراءة كتب أخوه عبد الله في أمور الشريعة الاسلامية أما في مجال السياسة فأوصاهم بقراءة كتب إبنه مُحَمَّد بيللو ومن أراد الاثنين معا فليقرأ كتبه[3]، وكان يعلل ذلك قائلا: "فدع العلماء المتصدرين لسبيلهم فإن أصابوا فلهم، وإن أخطئوا فعليهم، ومن تعلم العلم ليحكم به على الناس- سبيل القهر والتغليظ- فلا يستريح ولا يسترح معه، ومن تعلم العلم لنفسه وليحكم به على سبيل اللطف والرحمة فمستريح ومستراح معه[4]"،تلك هي بعض الوصايا التي تدل على مدى حرصه على تعلم العلم الصحيح ومن مصادره مخافة الخروج عن الملة.

وقد خصص الفوديون أماكن خاصة لتدريس حلقات العلوم المختلفة كالمساجد، التي كانت بمثابة المدارس الابتدائية لتلقي المبادئ الأولية للقراءة والكتابة، وأوصى الخلفاء الفوديون ولاتهم على ضرورة الاهتمام بالمساجد وتشييدها في مختلف القرى وإبراز دورها الديني والدنيوي من خلال مساهمتها في إقامة الصلوات الخمس وعقد جلسات العلم والصلح وجميع ما يهم في حياتهم الدنيوية[5].

---

[1] مُحَمَّد بيللو بن عثمان فودي: إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، مصدر سابق، ص 79.

[2] عثمان بن فودي:نجم الإخوان يستعينون به في أمور الزمان،مصدر سابق، ص 67.

[3] عثمان بن فودي: نجم الإخوان، نفسه، ص 159.

[4] عثمان بن فودي: إحياء السنة، المصدر السابق، ص 223.

[5] مُحَمَّد علي فاضل باري، سعيد ابراهيم كردية: المرجع السابق،ص 195.

الفصل الرابع: الإصلاحات الإقتصادية

مما لا شك فيه أن تأثير الاصلاحات السابقة ينعكس بشكل إيجابي على الافراد والمجتمعات وعلى سلوكياتهم المختلفة وحتى تزدهر الخلافة الفودية وتحقق الاستقرار السياسي والاجتماعي، كان لزاما عليها الاهتمام بالجانب الاقتصادي الذي عرف تطورا وتنظيما محكما تحت ظل الخلافة الاسلامية، من خلال استحداث قوانين وتنظيمات زراعية وتجارية محكمة بل وجدت هنالك كتب ومؤلفات متخصصة في الجانب الاقتصادي، دلالة على تلك الأهمية البالغة التي منحوها لهذا الجانب وشملت هاته التنظيمات ما يلي:

1/ الإصلاحات الزراعية:

إن شرايين الاقتصاد هو الزراعة التي تغذي الصناعة والتجارة، حيث كان أهل المنطقة يطلقون عليها اسم رنجي أو رمدي،[1] وكانت الزراعة هي الحرفة الأكثر انتشارا بين السكان نظرا لتوفر الظروف الطبيعية كالمناخ، التربة الخصبة والمياه، كما امتازت بطرقها البدائية واستخدامها لوسائل تقليدية بسيطة مما انعكس سلبا على مردودية الإنتاج، لكن بظهور حكم العائلة الفودية تغيرت نمطية تسيير القطاع الزراعي من خلال تشجيع الهجرة نحو المناطق الفلاحية الصالحة للزراعة، وتقديم تحفيزات وإغراءات للمهتمين بالمجال الفلاحي وتمليكهم الأراضي لمن يقوم بخدمتها، كما ظهر نمط الأسرة المنتجة عن طريق العمل في أراضي زراعية ذات طابع عائلي بالإضافة الى المزارع الكبرى التي يعمل فيها العبيد من أجل الزيادة في الإنتاج الزراعي، وفي عهد الخليفة مُحَمَّد بيللو سعى نحو إقامة مدن محصنة أطلق عليها الرباطات قصد الدفاع عن المملكة من الأخطار الخارجية التي كانت تلحق بها، مما أدى الى ظهور المزارع قرب تلك الرباطات لتوفير الغذاء للمرابطين بها والباقي يوجه لسد حاجيات السكان.[2]

لقد ساهمت تلك الرباطات في توسع الحركة العمرانية، واستقرار السكان بجانبها وبالتالي زيادة المحاصيل الزراعية، كما ازدادت معها المراعي التي كانت تساهم بشكل مباشر في ظهور حرفة الرعي، فكثرت الماشية بأنواعها والخيل والإبل والأبقار، كل هذا بفضل خصوبة التربة ووفرة المياه الجوفية القريبة من سطح الأرض.

---

[1] Paul Lovejoy : Plantatioons in the Economy of the Sokoto Caliphate,Vol,19,No,3 Cambridge University Press,1978,p342.

[2] آداي آجايي: إفريقيا في مطلع القرن التاسع عشر قضايا وتوقعات،تاريخ إفريقيا العام،اليونسكو،مج6،1996،ص 37.

ومن بين المزروعات التي كانت تنتجها تلك الأراضي الخصبة نجد الذرة والقمح التي تعتبر أكثر الزراعات انتشارا بين السكان نظرا لكونها كانت تمثل غالب قوتهم اليومي، فالذرة لم تكن مجرد غذاء فحسب بل كانت تعطى حتى لمواشيهم وخيولهم، وعادة ما كان يتم زراعتها في فصل الصيف، يضاف لها زراعة الأرز والشعير والفول والبطاطا، التين والرمان والبطيخ، الفول السوداني، القطن،الكاكاو، ناهيك عن الفواكه الاستوائية كالما نقو وجوز الهند والموز، كما تميزت هذه المناطق بإنتاج الخشب بأنواعه وأحجامه المختلفة نظرا لقربها من الغابات الاستوائية والسفانا، حيث يتم استعماله في مجال الصناعة والحياة اليومية كالطهي وغيره.[1]

واستحدث الفوديون نظام ضريبي إسلامي من خلال فرض ضرائب على الأراضي الزراعية، أي ما يسمى بالخراج بالإضافة الى العشر والزكاة على المحاصيل الزراعية التي بلغت النصاب، ومن جهة أخرى سعوا نحوا محاولة لاستقرار الرعاة وتمدنهم باعتبار أن غالبيتهم كانوا من القبائل الفولانية، ليتحولوا من رعي البقر الى رعي الماعز والأغنام و تنظيم هاته الحرفة وفق قواعد الشريعة الاسلامية وما ينطبق عليها من أحكام فقهية في معاملاتها الاقتصادية من زكاة.[2]

2/ الاصلاحات الصناعية:

لم يقتصر اهتمام الفوديين بالمجال الزراعي فحسب بل تعداه الى المجال الصناعي، حيث كان هنالك احتكاك وطيد بين ما يجري مع الجوار ومع مناطق بلاد المغرب التي عرفت ازدهارا منقطع النظير على مدى العصور، الأمر الذي جعل الفوديين يحاولون السعي نحو تطوير المجال الصناعي بمختلف أنواعه، فعرفت المدن الكبرى مثل زاريا وكانو وكاتسينا وزنفرا، تطور ملحوظا في عديد الصناعات مثل النسيجية والجلدية وصناعة الحديد حيث اهتموا بصناعة الأسلحة ولأواني والألبسة[3] والمستلزمات اليومية للسكان.

وفي عهد حكم الخليفة مُحَمَّد بيللو ظهرت صناعات حرفية جديدة بسبب التوسع الكبير للنشاط الصناعي مثل مدينة بوكور وتاريا وكورا ورانو وغيرها من المدن مما جعل الضرورة الى وضع لكل حرفة

---

[1] Clapperton and Oters : Narrative Of Travels And Discoveries In Northern And Central Africa, 1822-1824,London ,1926.

[2] عبد الله عبد الماجد إبراهيم: الغرابة في أخبار الجماعات التي هاجرت من غرب إفريقيا واستوطنت السودان وادي النيل ودورهم في تكوين الهوية السودانية، دار الحاوي، دمكان،ط01,1998،ص 208.

[3] عومار عطية: الشيخ عثمان بن فودي وحركته الاصلاحية جذورها وتأثيراتها على غرب إفريقيا (1754م-1817م/1168هـ/1233هـ)،مرجع سابق،ص128.

معينة رئيس خاص بها، يقوم بمهمة الإشراف على تسيير شؤونها ومعرفة موادها الأولية والسهر على توسيعها من خلال تعليمها الى الأجيال قصد المحافظة على بقائها وبالتالي حمايتها من الزوال، مثل الصناعات الحرفية الجلدية وحياكة الأثواب والغزل والصياغة والحدادة، كما أن بعض الصناعات التقليدية كانت تعتمد على المواد الأولية المحلية التي تنتج من مواد فلاحيه، وأحيانا يتم اللجوء الى استيرادها من الأقاليم المجاورة مثل النحاس والفضة التي كان يتم جلبها من إقليم دارفور.[1]

إن ازدهار المجال الزراعي أدى بدوره الى وفرة الإنتاج وتنوعه وبالتالي تطور الصناعة هاته الأخيرة التي ساهمت بشكل كبير في ظهور حركية تجارية محلية وخارجية .

3 . الحركة التجارية:

كانت التجارة بمثابة متنفس واتصال الدولة بما يجري في العالم الخارجي، من خلال اتصال التجار المسلمون وبصفة خاصة تجار منطقة بلاد المغرب، حيث كانت هنالك علاقات تجارية وطيدة معهم، مبنية على أساس الشريعة الإسلامية وبالتالي فقد ساهمت بشكل واسع في انتشار الاسلام[2] وربط روافد التواصل الحضاري في منطقة إفريقيا جنوب الصحراء بصفة عامة، لتصبح المعاملات الاسلامية هي أساس العلاقات التجارية بين شعوب المنطقة.

كما كانت هنالك حركية تجارية بالمنطقة بحكم توسطها لمنطقة بلاد السودان جعلها تسيطر على الطرق التجارية البرية القادمة من مختلف المناطق مشكلة بذلك همزة وصل بينهم ومناطق تبادل لمختلف السلع، ولعل ابرز عامل ساعد على هذا الازدهار هو توفر الأمن والاستقرار حيث ساهم الخلفاء في توفير الحماية للقوافل التجارية.

ومن بين الطرق التجارية التي كانت تمر بالمنطقة نجد الطريق الذي يمر بنهر النيجر مارا بمختلف المدن مثل نوبي ويوري وصولا الى بلاد الهوسا، وهناك طريق أيلي وأيوا الذي يربط غرب كانو وباوتشي وزاريا، يضاف لهما الطريق الذي كان يصل المبادلات التجارية بالمحيط الأطلسي، قصد التزود بالسلع الأوروبية مثل الذخيرة الحربية والأقمشة[3].

حاول الفوديون بكل الطرق والوسائل تأمين الطرق والقوافل التجارية بالمنطقة قصد خلق أسواق كبيرة لتبادل السلع، باعتبار أن ازدهار التجارة الخارجية يساهم بشكل كبير بتواصل المنطقة حضاريا

---

[1] السر أحمد العراقي : نظام الحكم في الخلافة الصكتية ،المرجع السابق، ص 134.

[2] محمد باي بلعالم: قبيلة فلان في الماضي والحاضر وما لها من العلوم والمعرفة والمآثر، الجزائر،دار هومة، سنة 2004، ص 211.

[3] السر أحمد العراقي : نظام الحكم في الخلافة الصكتية ،المرجع السابق، ص143.

بمختلف الأقطار، وأصبحت المنطقة تستقطب التجارة والتجار من مختلف مناطق القارة وحتى خارجها، فنجد سلع أوربا ومنطقة بلاد المغرب مثل: الإبل و التمر و الورق والملح والسيوف والخيول، في مقابل ذلك كان يتم تصدير الجلود والذرة وجوز الهند وغيره.[1]

أن وفرة السلع وتنوعها أدى الى ظهور الأسواق سواء بشكل دوري أو يومي وأصبح السكان يقصدونها من مختلف المناطق قصد التزود بحاجياتهم اليومية، وتتحول الأسواق من مكان لتبضع الى ملتقى لتبادل الأخبار وممارسة الألعاب وكانت تشهد مراقبة صارمة من طرف المكلفين بها حتى لا يتعرض المواطنين الى الغش والاحتيال في السلع، والتطفيف في المكاييل والموازين.

[1] عومار عطية: الشيخ عثمان بن فودي وحركته الاصلاحية جذورها وتأثيراتها على غرب إفريقيا (1754م-1817م/1168هـ/1233هـ)، مرجع سابق،ص129.

خاتمة الباب الثاني

من خلال ما سبق ذكره في هذا الباب، نستنتج أن الإصلاحات التي قام بها الفوديون، كانت إصلاحات جذرية شملت كل المجالات، كما ارتكزت على عدة أسس، وكان الفضل في وضعها للشيخ عثمان بن فودي، من خلال تشخيص الأعراض والمشاكل التي كانت تعيشها المجتمعات في عصره، و محاولة الوقوف على أهم الحلول المناسبة لذلك، كما كان لتلك الإصلاحات التي شملت المجال الاجتماعي والديني والسياسي والثقافي وحتى الاقتصادي أثرا كبيرا على شعوب المنطقة، لا تزال الى يومنا هذا تسير على تلك المبادئ التي كان الفضل فيها يرجع بشكل كبير الى الفوديون وهو ما جعل الخلفاء الذين جاؤا بعدهم يقتفون أثرهم محاولين بذلك تحقيق وحدة سياسية متحدة تحت لواء الاسلام.

الخـاتمـة

الخاتمة

في ختام هاته الدراسة لموضوع العائلة الفودية ودورها الإصلاحي في السودان الأوسط خلال القرن 19م/13هـ، انطلاقا من المخطوطات والمصادر والمراجع التي توفرت لنا يمكن ان نصل الى جملة من الملاحظات والنتائج من أبرزها ما يلي:

ـ ان منطقة بلاد السودان الأوسط والغربي كانت عبارة عن إمارات تضم شعوب وقبائل متنافرة فيما بينها أغلبها وثنية لكنها بدأت تنصهر فيما بينها بدخول الاسلام وتسعى بذلك نحو الاتحاد تحت راية واحدة.

ـ أتضح لنا من خلال هاته الدراسة أنه كان لمنطقة بلاد المغرب الاسلامي دورا كبيرا وفعال في نشر الإسلام والحضارة العربية في بلاد السودان، انطلاقا من الفاتحين الأوائل وصولا لتجار المقايضة الذين كانوا يجولون في الفيافي وصولا الى المنطقة، ثم جاء دور الدعاة والعلماء الذين تكبدوا عناء السفر للوصول الى هاته المناطق قصد تنويرهم ونشر الاسلام الصحيح أمثال الشيخ مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي كما واصل من بعده تحمل مسؤولية الجهاد والحفاظ على مقومات الدين الاسلامي العديد من العلماء أمثال الشيخ عثمان بن فودي وأخوه عبد الله بن فودي.

ـ استطاع تجار وعلماء سكان بلاد المغرب التأثير بشكل مباشر على المجتمع الافريقي الوثني، فلم تكن تجارتهم وزيارتهم للمنطقة مجرد معاملات اقتصادية فحسب بل تعدت الأمور الى إبراز السلوكيات اليومية للفرد المسلم، وإظهار الخصال الحميدة كالصدق والأمانة وإعطاء المكاييل والموازين حقها، مما جعل السكان يقلدونهم قبل أن يتعرفوا على مفهوم الدين الاسلامي.ومنه اعتناقه على مذهب الإمام مالك والدفاع عنه ومحاولة نشره في باقي الأقاليم الإفريقية ليصبح الأفارقة ناشرون فاتحون للأمصار الوثنية.

ـ من خلال تتبع ودراسة مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي نستنج أنه كان عالما بليغا وشاعرا وفقيها وخطيبا فصيحا كريم الصحبة جميل العشرة مقطوعا بولايته وقدرته القيادية.

ـ كان الشيخ عثمان بن فودي أشد حرصا على تربية أتباعه ومريديه على النهج السلفي الصحيح الذي يرجع في مسائله الفقهية الى كتاب الله وسنةالرسول ﷺ، وأشد بسالة في محاربة البدع والخرافات التي انتشرت في مختلف الأقاليم، الإفريقية لتصبح عامة لدى المجتمع.

ـ لقد استطاع جهاد الفوديين للمالك الوثنية أن يقضي عليها، ويحل مكانها الممالك الاسلامية التي توحدت تحت راية الخلافة الاسلامية بعدما كانت متنافرة فيما بينها ويكاد ينعدم فيه الأمن والاستقرار الذي كانت تتوق إليه الشعوب في المنطقة.

ـ لم يكن الجهاد ضد الملوك وحدهم بل وصل حتى الى العلماء الذين كانوا تحت سلطان حكامهم فقضى بذلك على دابرهم.

ـ استطاع الفوديون أن يؤسسوا لنظام الدولة الإسلامية بمؤسساتها المستقلة كالخلافة والوزارة والقضاء والدواوين وبيت مال المسلمين وانتشرت الثقافة الاسلامية بفضل انتشار المساجد والمدارس التعليمية في أرجاء الدولة مما ساهم في وجود طبقة مثقفة ومتعلمة، متشبعة بروح الثقافة الاسلامية.

ـ من خلال كثرة تآليف العائلة الفودية وتنوعها وأسلوب الحجج المتمكن نستنج مدى إلمامهم واحتكاكهم بعلماء عصرهم ومن سبقوهم من خلال إطلاعهم على كتبهم أمثال الإمام السيوطي والإمام المغيلي والشيخ المختار الكنتي وأستاذهم وقدوتهم الشيخ جبريل بن عمر.

ـ تنوع تأليف العائلة الفودية وكثرتها بالرغم من كونهم لم يعمروا كثيرا مثلما تنوعت لغة التأليف حسب وجهة المتلقي.

ـ ساهمت كتابات الشيخ عثمان بن فودي في إثراء الفقه السياسي في مجال السياسة والإدارة من خلال الألقاب السياسية والتنظيمات الإدارية التي لم تشهدها المنطقة من قبل لتضم الى القاموس السياسي المحلي.

ـ كان الفوديون يهدفون الى إصلاح أحوال الأمة الاسلامية والعلم والعلماء وتطبيق الشريعة التي تدعو الى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله والابتعاد عن نواهيه.

. حرص الشيخ ومن جاء بعده على إتباع أثر الخلفاء الراشدون في أخلاقهم وزهدهم.

ـ كان عبد الله بن فودي شاعرا وأصوليا بامتياز حيث أستطاع بأشعاره أن يعالج العديد من القضايا.

. حارب الفوديون الوثنية والبدع والخرافات والمعتقدات الفاسدة في المجتمع كاعتقاد النفع والضرر في الأشجار والأحجار والتنجيم بالرغم من صعوبة البيئة التي شملت الحركة الإصلاحية.

. أقام الفوديون في كل قرية مسجدا تحت إشراف معلم وهذا يوضح مدى إدراكهم للعلم ودوره في بناء الحضارة وخاصة وأنهم ساهموا بشكل كبير في تعليم المرأة.

. أصبحت اللغة العربية هي اللغة الرسمية في الدولة وتم إلزام من يتزعم حركة الإصلاح على إتقانها وهو ما ساعد على انتشارها وتأثيرها على اللغات المحلية التي أصبحت تكتب بالحرف العربي خاصة لغة الهوسا.

تطور الحركة الفكرية في مجتمعات إفريقيا جنوب الصحراء حيث شملت مختلف فروع العلوم حتى أصبح يقال أن النصف الاول من القرن التاسع عشر يعتبر بمثابة العصر الذهبي بسبب الإنتاج الغزير للشيخ عثمان بن فودي وأخوه عبد الله بن فودي وابنه مُحَمَّد بيللو لتقتصر الجهود العلمية بعدهما بالشرح والتحليل والتعليق والترجمة من مختلف العلوم.

. ساهم الفوديون بوضع أسس قوية لدولتهم من خلال التنظيمات الإدارية المحكمة لدرجة أنها أدهشت البريطانيين لما احتلوا المنطقة سنة 1903م فاضطروا للإبقاء عليها ولم يحاولوا التدخل في شؤون المسلمين وإدارتهم.

. استطاعت هاته الحركة الإصلاحية ان تغير الحياة السياسية السائدة في المنطقة وأنتجت مجتمعا جديدا تحكمه طبقة من رجال الدين والعلماء ليست من أصول ملكية بل رفعهم الاسلام الى مرتبة الخلفاء والأمراء.

. تطورت فكرة المواطنة وتلاشى النظام القبلي تدريجيا وانضم الناس الى فكرةالدولة الاسلامية وصار الاسلام أساس النظام السياسي والاجتماعي وتقلد رجال الدين والعلماء مناصب التدريس والقضاء وانتشرت الثقافة الاسلامية وحضارتها عند القبائل الوثنية التي بدأت تتخلص من العادات السيئة وتحرر الزنوج من الرق.

. أزدهر الاقتصاد في عصرهم وتنوع بسب الإقبال الكبير للتجار على الحواضر الاسلامية لما تميزت به تلك المعاملات التجارية التي استمدوها من الاقتصاد الاسلامي.

. أحدثت الحركة الاصلاحية تغييرات على مستوى الأنظمة الاقتصادية من خلال صبغتها بالحلة الإسلامية مثل تعيين مفتشين للأسواق (المحتسبين) واستحداث نظام ضريبي إسلامي يعتمد على العشور والخراج والزكاة كموارد أساسية لبيت مال المسلمين.

. ظهور المدن وتخصصها منها الاقتصادية ومنها كمراكز إشعاع علمي لتصبح قبلة للعلماء تضاهي بذلك الأقطاب العلمية المنتشرة شرقا وغربا.

. ومن الناحية الاجتماعية ظهرت طفرت اجتماعية من خلال تحول المجتمع الفلاني من مجرد قبائل تمارس الرعي كنشاط اقتصادي رئيسي الى مجتمع متمدن يقوم ببناء سكنه وبالتالي الاستقرار.

. ركزت الحركة الفودية على عامل المرأة كأساس للمجتمع وبالتالي ضرورة تعليمها خصوصا ما يهم دينها وفروضها مستندين في ذلك الى الوعي الفكري والثقافي، فكثرت بذلك كتب وتآليف الفوديون في مختلف المجالات.

. كما أعتمد الفوديون بشكل كبير على أبناء جلدتهم من الفلانيين من أجل إرساء معالم دولتهم التي استطاعت أن تصمد لأكثر من 100 سنة.

. كانت حركة الإصلاح الفودية شبيهة بثورة اجتماعية في مختلف الميادين، مما جعل العديد من الدول تسعى نحوها للاستفادة من خبرتهم مثلما شهدت المنطقة وحدة سياسية قوامها العدل والمساواة المستمدة من الشريعة الاسلامية.

. لم يكن مؤسس الحركة الاصلاحية الفودية (عثمان بن فودي) يسعى الى تحقيق مكاسب سياسية واعتلاء كرسي السلطة، بدليل أنه بمجرد تحقيق مكاسب توسعية على أنقاض الوثنية سعى نحو تقسيم الحكم بين ابنه مُحَمَّد بيللو وأخوه عبد الله بن فودي، ويعتزل السياسة ليتفرغ للدعوة بواسطة تآليفه المتنوعة.

. أضحت حركت عثمان بن فودي قدوة يتأثر بها كل من يتشوق نحو الحرية والانعتاق، في إفريقيا بصفة خاصة والعالم الاسلامي بصفة عامة.

التوصيات

وفي ختام هذه الدراسة التي تناولنا فيها الدور الإصلاحي للعائلة الفودية في بلاد السودان الأوسط خلال القرن التاسع عشر، يمكننا أن نقترح مجموعة من التوصيات أضعها بين الدارسين والباحثين والمهتمين بالتاريخ الإفريقي ومنها:

. الاهتمام أكثر بمنطقة إفريقيا جنوب الصحراء، وإعطاءها حقها من في مجال البحث العلمي على غرار باقي مناطق افريقيا خاصة شمالها.

. نحن في أمس الحاجة الى إعادة كتابة تاريخ منطقة بلاد السودان، وإبراز مقوماتها الحضارية وعلاقتها الحضارة بالمنطقة، وتمحيص الكتابات الأجنبية ونقدها بالحجة البالغة.

. ضرورة الاهتمام بالموروث الحضاري الإفريقي بصفة عامة، والمخطوطات بصفة خاصة والحفاظ عليه من الزوال.

. محاولة توفير المصادر والمراجع الخاصة بالدراسات الإفريقية، خصوصا بلاد السودان الأوسط والغربي لما له من علاقات حضارية وطيدة بالجزائر.

. تشجيع الطلبة والباحثين على ضرورة، تناولهم للمواضيع التي تهتم بمنطقة بلاد السودان وحواضرها المختلفة.

. تقفي أثر الأسر العلمية بإفريقيا وإبراز الدور الحضاري لها من خلال تأثيرها على المجتمعات آلإفريقية والإطلاع على رصيدها المعرفي وإخراجه من طابع المخطوط الى التحقيق والدراسة والاستفادة منه في مختلف المجالات.

. السعي نحو إنشاء معهد للدراسات الإفريقية بجامعة أدرار على غرار باقي الدول العربية والإسلامية.

. ضرورة تبني مخابر البحث وطلبة الدراسات العليا، المخطوطات كمصادر هامة ومنطلق لتسليط الضوء على تاريخ المنطقة والسعي نحو كتابته بأقلام محلية تحت شعار إفريقيا للإفريقيين.

. إقامة ملتقيات دولية وأيام دراسية للتعريف بمنطقة السودان الأوسط والغربي وإبراز الدور الحضاري للصحراء الجزائرية ومكانتها في كتابة تاريخ المنطقة.

. إقامة اتفاقيات تعاون وشراكة بين طلبة جامعة أدرار وجامعات دول إفريقيا جنوب الصحراء، باعتبارها قريبة لدول الساحل وباقي الجامعات الإفريقية، ومنه السعي نحو بداية تطبيق اتفاقيات التعاون جنوب جنوب.

. التأكيد على حاجة بعض المخطوطات الفودية الى دراسة وتحقيق من طرف الطلبة والباحثين نظرا لما تحتويه من قيمة علمية وإضافة نوعية للجوانب الحضارية بالمنطقة.

. تفعيل دور المركز الوطني للمخطوطات بولاية أدرار، من خلال إقامة اتفاقية شراكة وتعاون من أجل دراسة وتحقيق مخطوطات الفوديين ومحاولة ترميمها وتصويرها وإتاحتها للطلبة والباحثين للدراسة والاستفادة.

. ومن المواضيع التي يمكن اقتراحها للدراسة والبحث مستقبلا: العلاقات الحضارية بين منطقة توات وبلاد السودان الأوسط من خلال المخطوطات.بالإضافة الى موضوع التأثير الثقافي للعائلات العلمية بإقليم توات على منطقة إفريقيا جنوب الصحراء.

ونأمل في الأخير أن تكون هذه الدراسة، نافذة لدراسات أكاديمية أخرى، تتناول جوانب أخرى لا زالت مجهولة حول العائلة الفودية بصفة خاصة، والبيوت العلمية في بلاد السودان الأوسط بصفة خاصة، مع تسليط الضوء على جميع الحركات الاصلاحية التي ظهرت في منطقة إفريقيا جنوب الصحراء، معتمدين في ذلك على الوثائق والمخطوطات التي لازال جلها حبيس الخزائن ومعرضة لمختلف عوامل الضياع سواء كانت أخطار بشرية أو طبيعية.

كما أجدد شكري في نهاية هذا العمل الى كل من ساعدني من قريب أو بعيد في إنجازه ولا أدعي أني قد أوفيته حقه، ونأمل أن نكون قد أسهمنا في وضعة لبنة لدراسات مستقبلية أخرى، ملتمسا من قارئ هذه الأطروحة الصفح والعذر عن النقائص والهفوات الموجودة ضمنها، فإن أصبت فمن الله عز وجل وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.

الملاحق

الملحق رقم 01. الطرق البرية التجارية العابرة لمنطقة السودان.

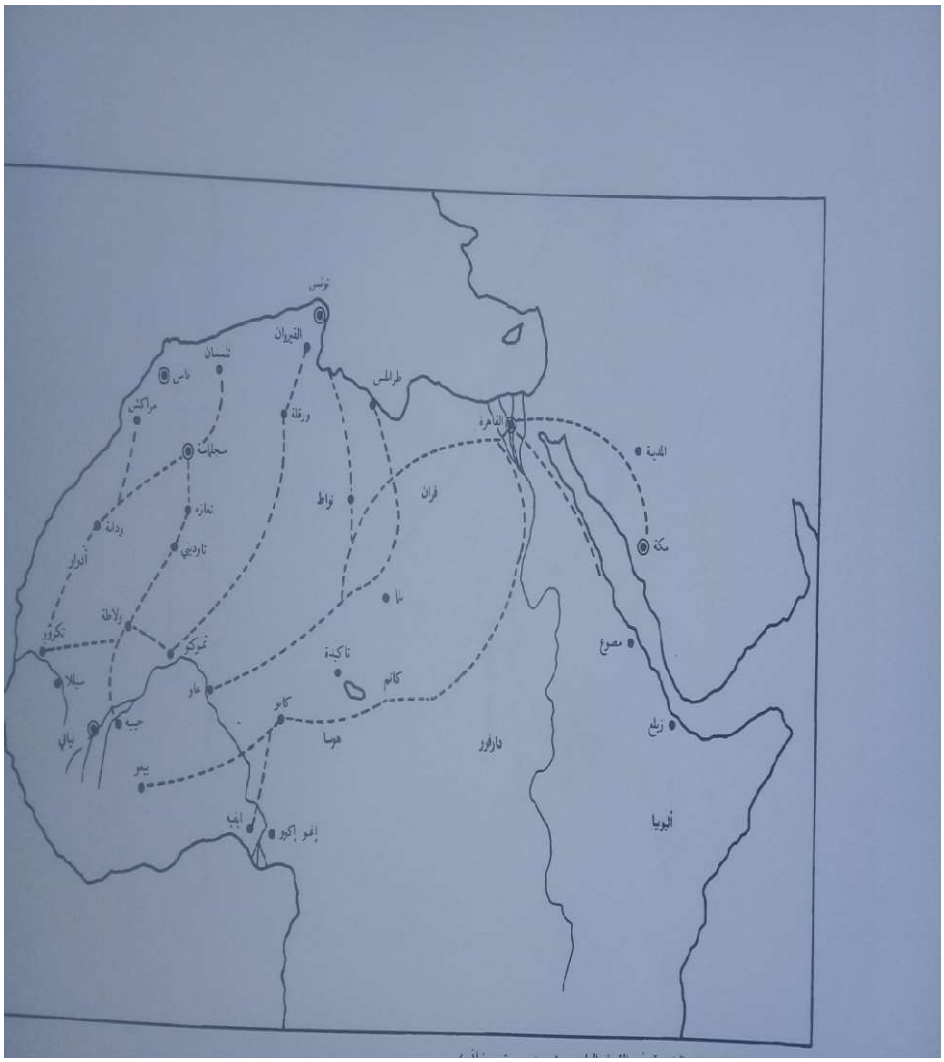

عن آدي آجابي ج. ف. وآخرون : تاريخ إفريقيا العام، المجلد الرابع، مرجع سابق2

ملحق رقم: (02). إمارات الهوسا قبل ظهور حركة عثمان بن فودي

الطيب عبدالرحيم مُحَمَّد الفلاتي:الفلاتة في افريقيا ومساهمتهم الإسلامية والتنموية في السودان، مرجع سابق،ص317.

ملحق رقم:(03).خريطة رباط الخلافة الفودية .

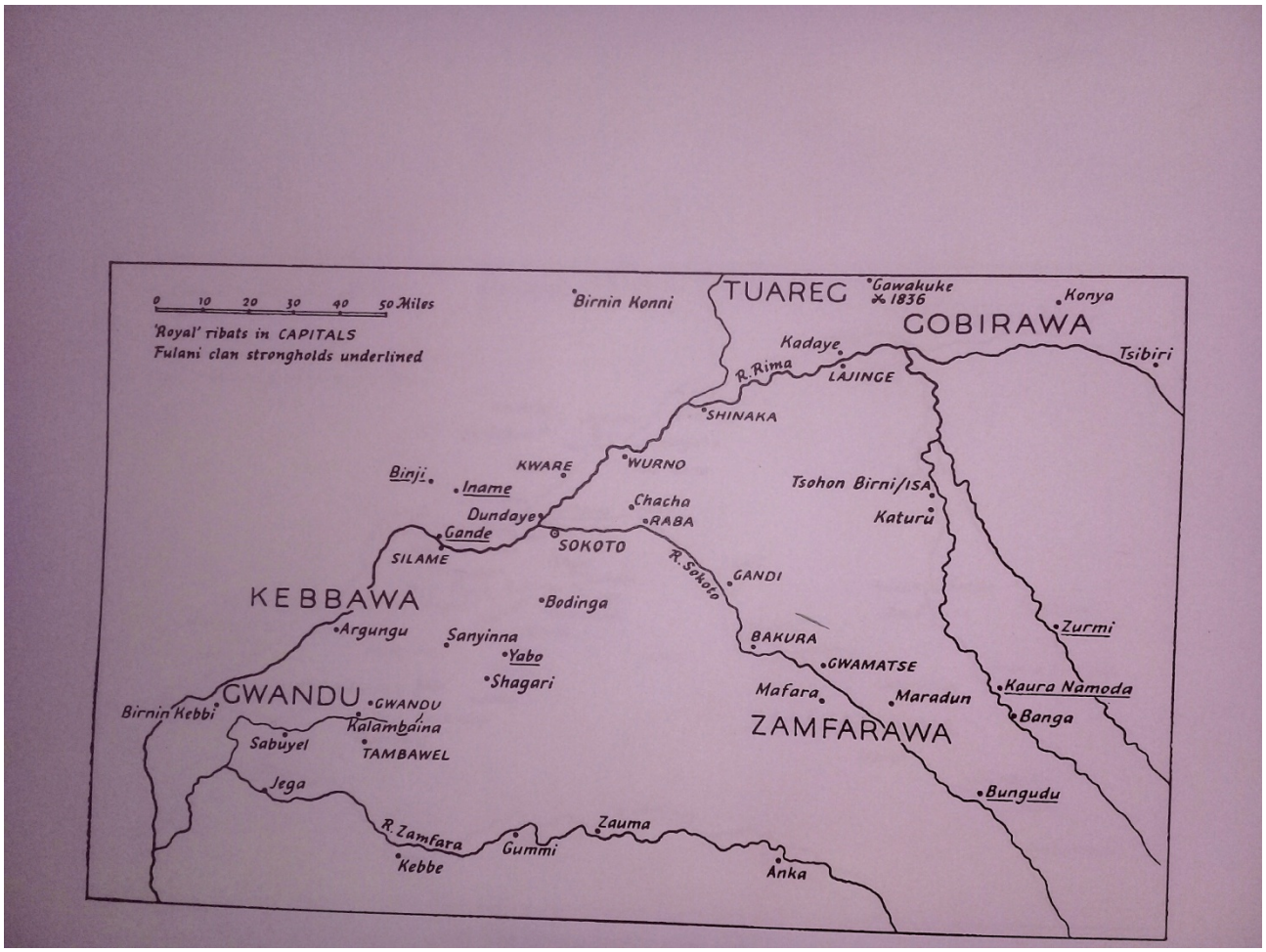

Murray Last :The Sokoto Caliphate,Op.CiT .p128.

ملحق رقم(04) الورقة2 من مخطوط أصول السياسة لمحمد بيللو

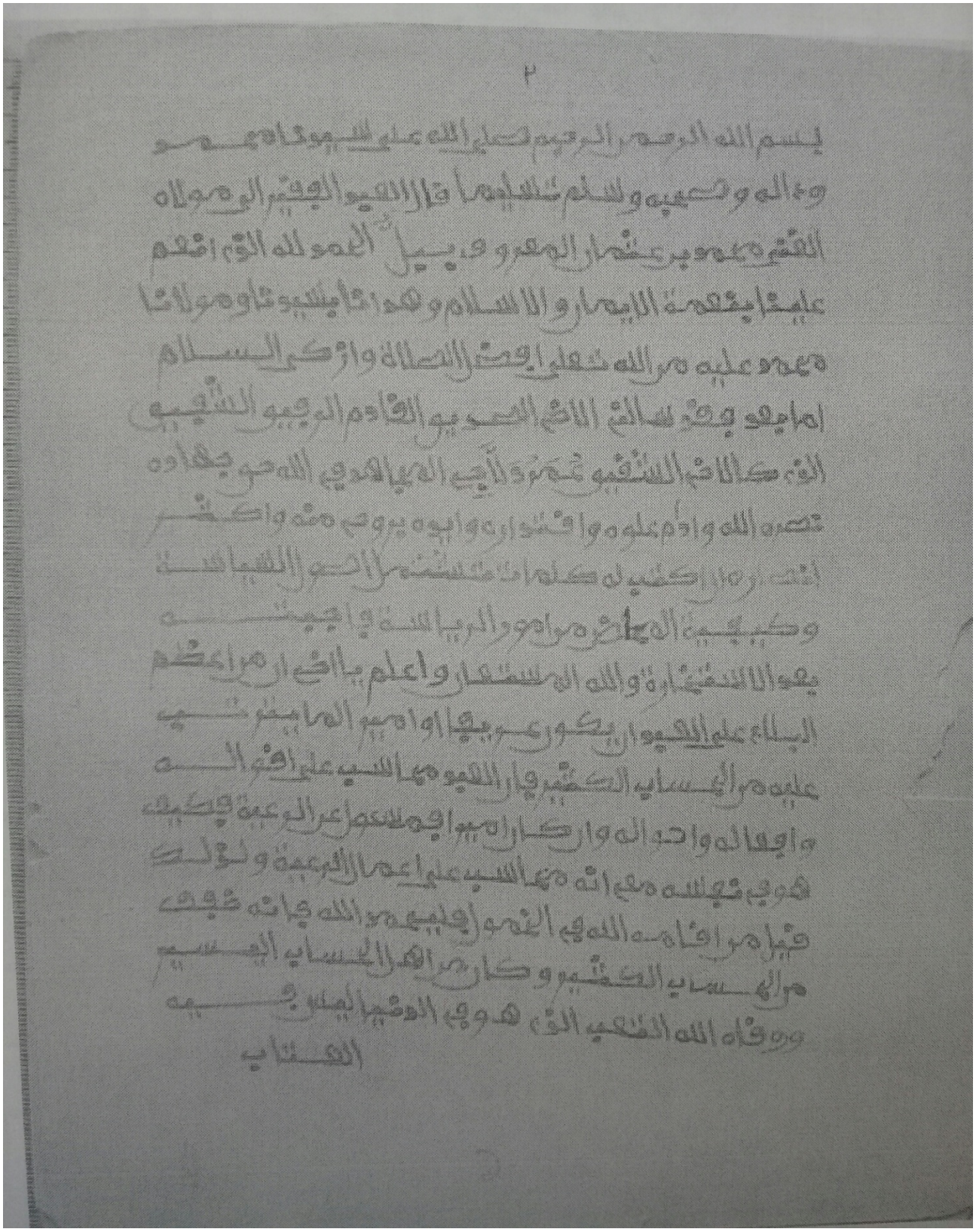

مُحَمَّد بيللو :أصول السياسة وكيفية المخلص من أمور الرياسة،ترجمة، أبو ألفا عمر مُحَمَّد بن شرف

الملحق رقم(05) الصفحة 2من مخطوط نجم الإخوان يستعينون به في أمور الزمان.

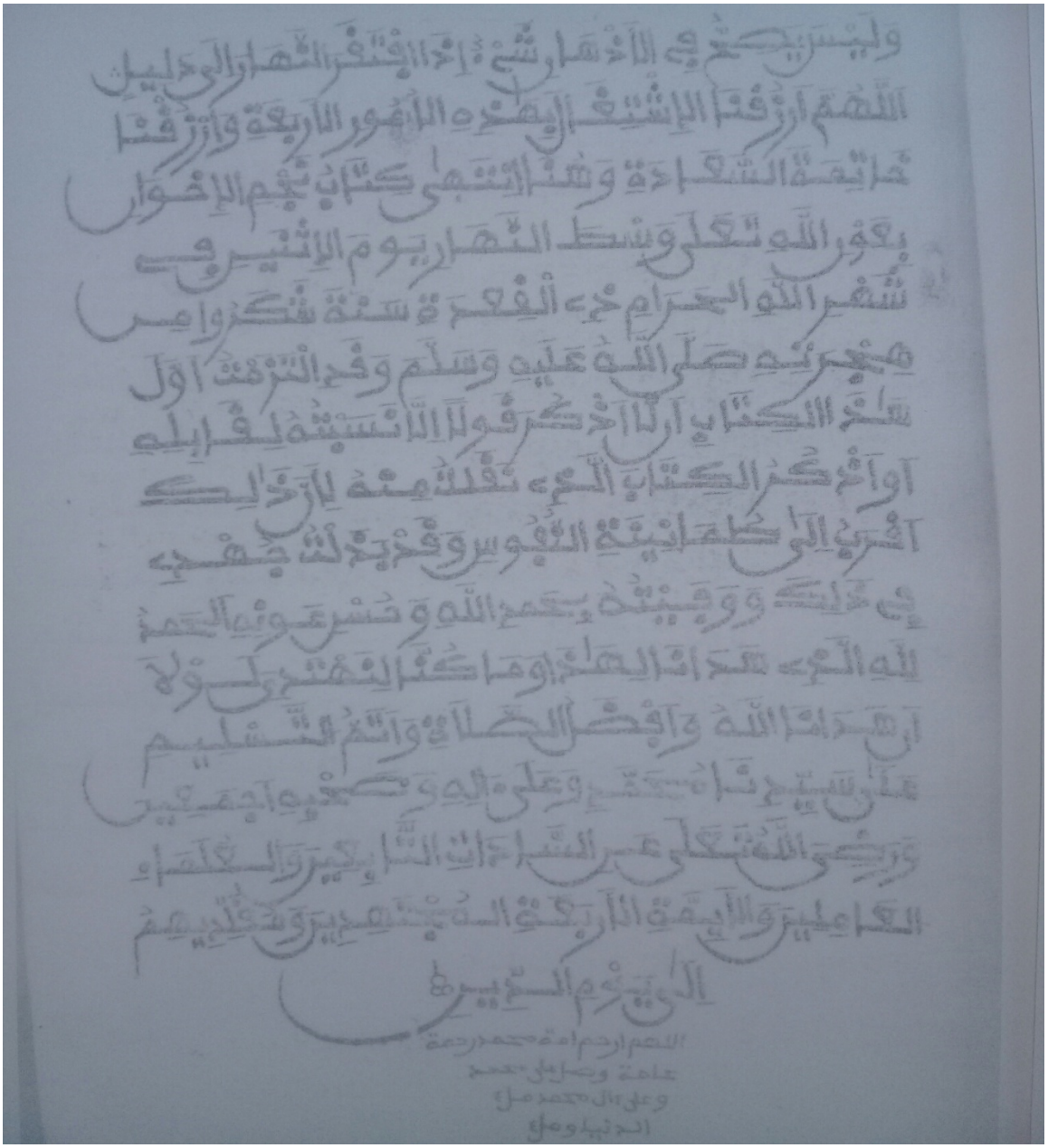

عثمان بن فودي:نجم الإخوان يستعينون به في أمور الزمان، تقديم وتعليق أحمد مصطفى أبوالخير، مركز أبحاث الوثائق والمخطوطات وتحقيق التراث،جامعة المنصورة،1990.

ملحق رقم6: الورقة الأولى من مخطوط إحياء السنة وإخماد البدعة

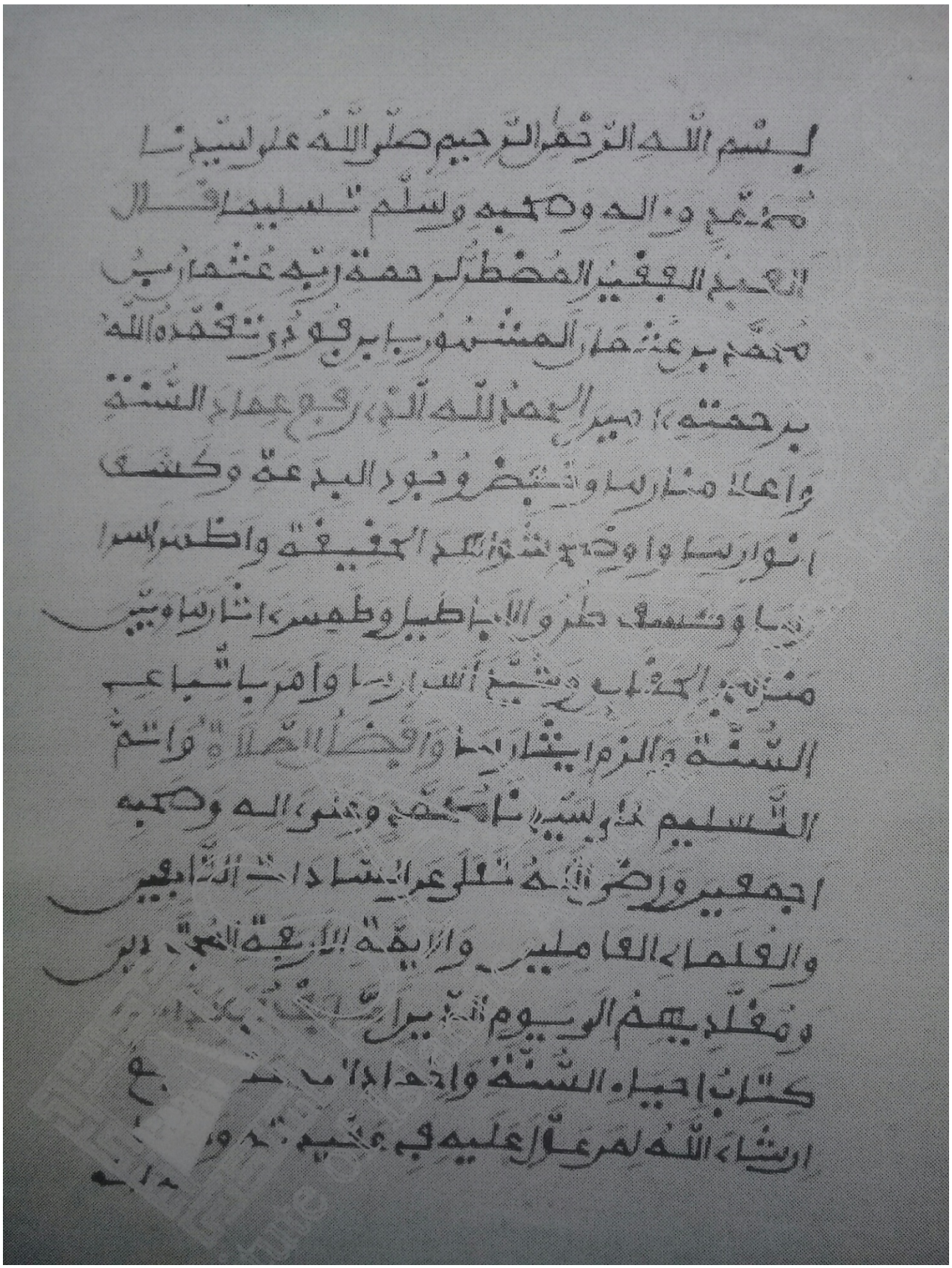

عثمان بن فودي :إحياء السنة وإخماد البدعةط02، المكتبة الإفريقية للطبع والنشر، القاهرة،ب.ت.

ملحق رقم7 مخطط لأهم المعارك التي قام به الفوديون.

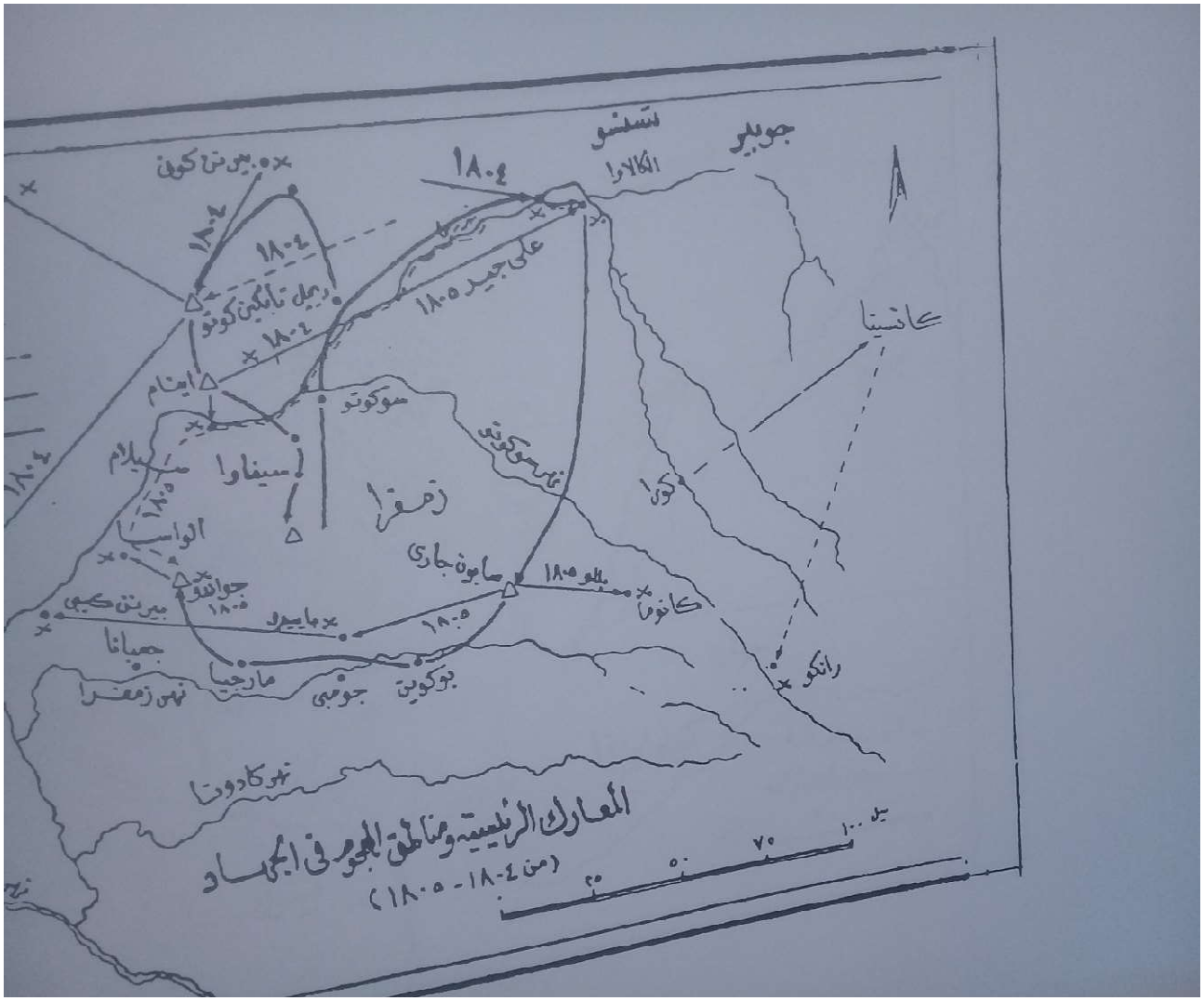

الطيب عبد الرحيم مُحَمَّد الفلاتي: الفلاته في إفريقيا ومساهمتهم الإسلامية والتنموية في السودان، مرجع سابق، ص327.

ملحق رقم:08 أهم الممالك الاسلامية قبل الفوديين.

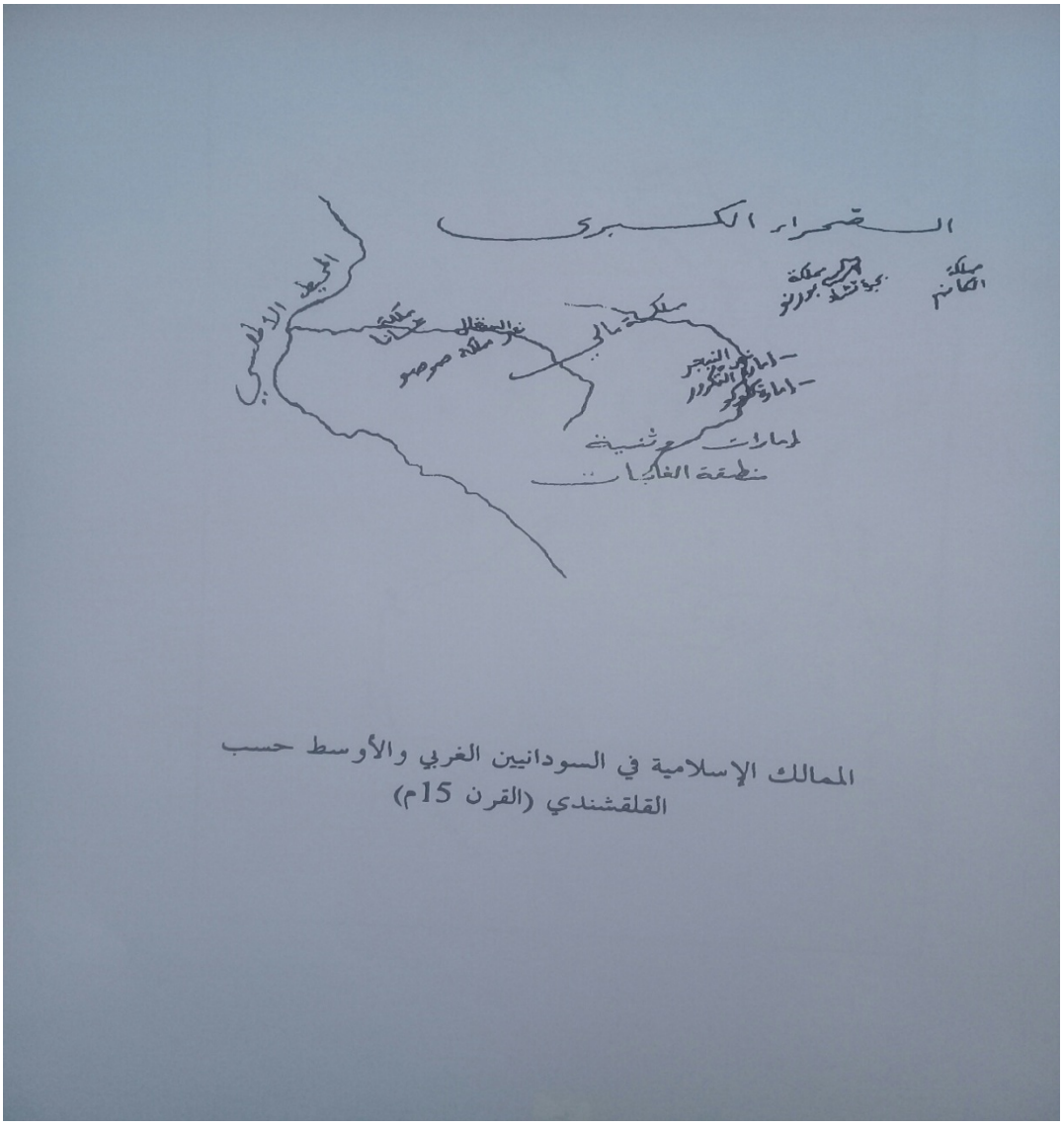

الممالك الإسلامية في السودانيين الغربي والأوسط حسب القلقشندي (القرن 15م)

عبد القادر زبادية: دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، مرجع سابق، ص 261.

ملحق رقم9 : الصفحة الثانية من مخطوط نجم الإخوان.

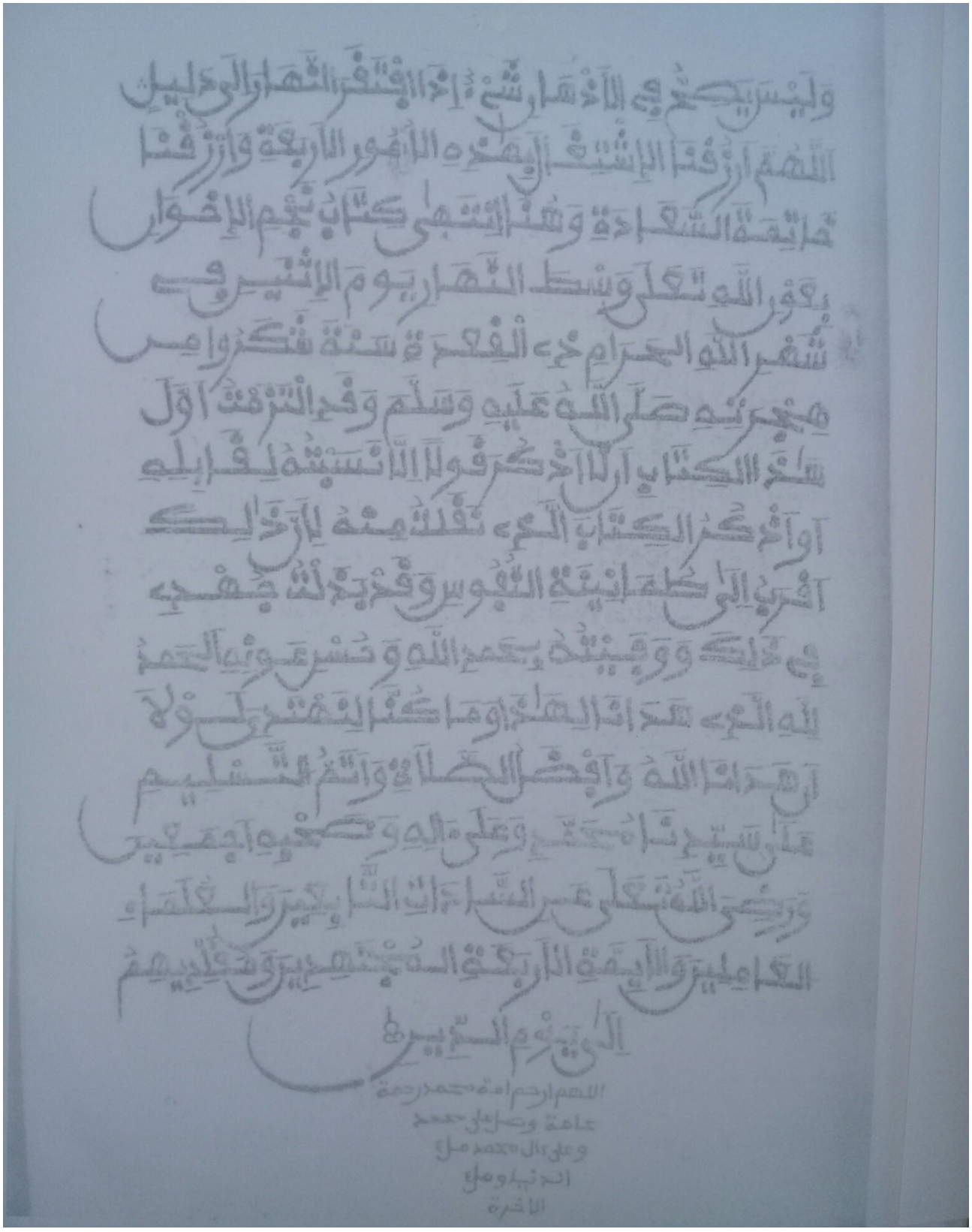

عثمان بن فودي: نجم الإخوان يستعينون به في أمور الزمان، تقديم وتعليق أحمد مصطفى أبو الخير، مصدر سابق، ص 13.

ملحق رقم10: الصفحة الأخيرة من مخطوط نيل السول من تفاسير الرسول لعبد الله بن فودي .

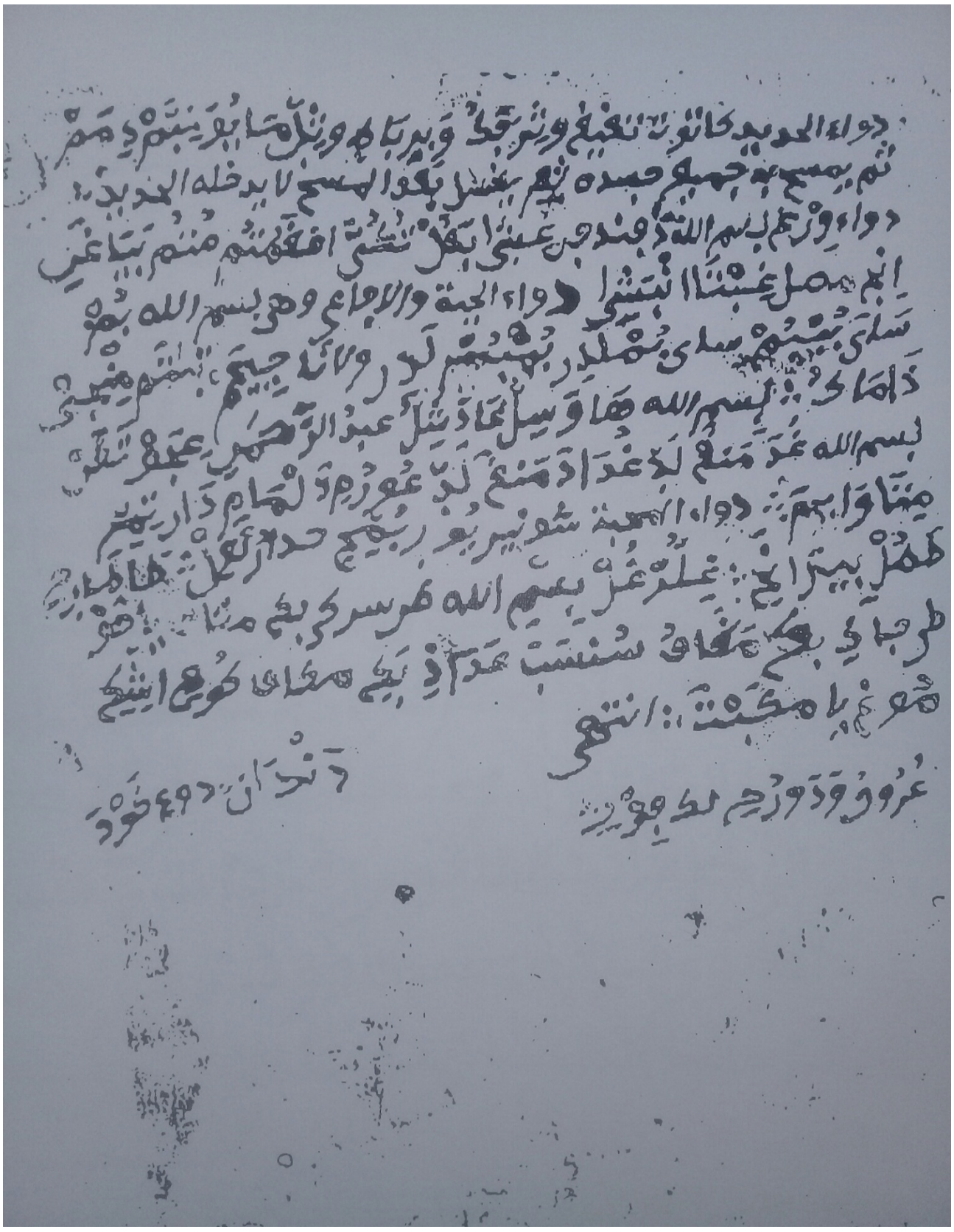

مُحَمَّد تاسع نمادي: منهج الشيخ عبد الله بن فودي في التفسير، مرجع سابق ص 321.

ملحق رقم11:الورقة الأولى من مخطوط إحياء السنة لعثمان بن فودي

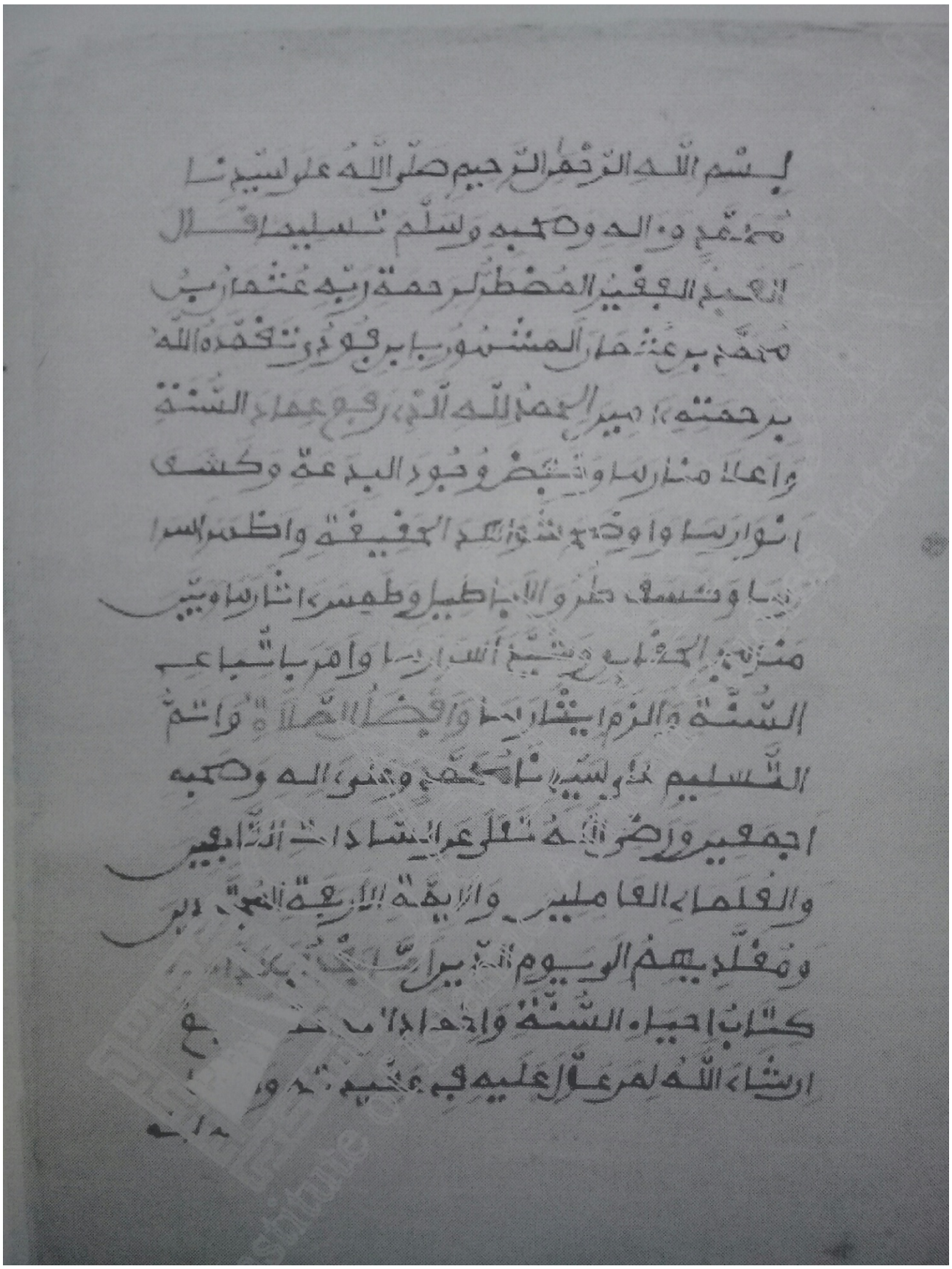

عثمان بن فودي : إحياء السنة وإخماد البدعة، مصدر سابق، ص05.

ملحق رقم 12: الورقة الأولى من مخطوط بستان الدعاء لعثمان بن فودي

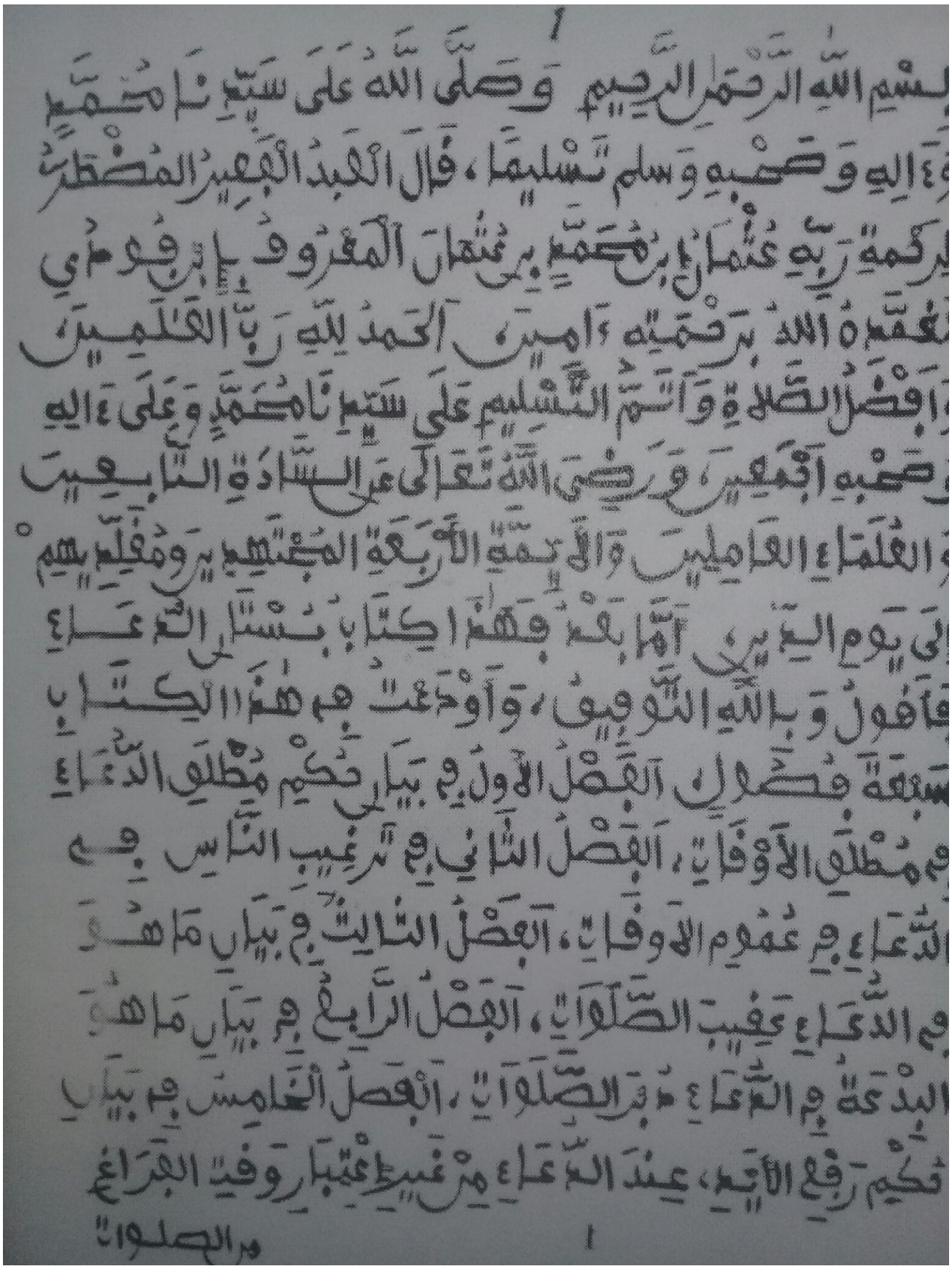

عثمان بن فودي : بستان الدعاء، مصدر سابق، ص 03.

ملحق رقم13:مخطط للخلافة الفودية في نهاية عهدها

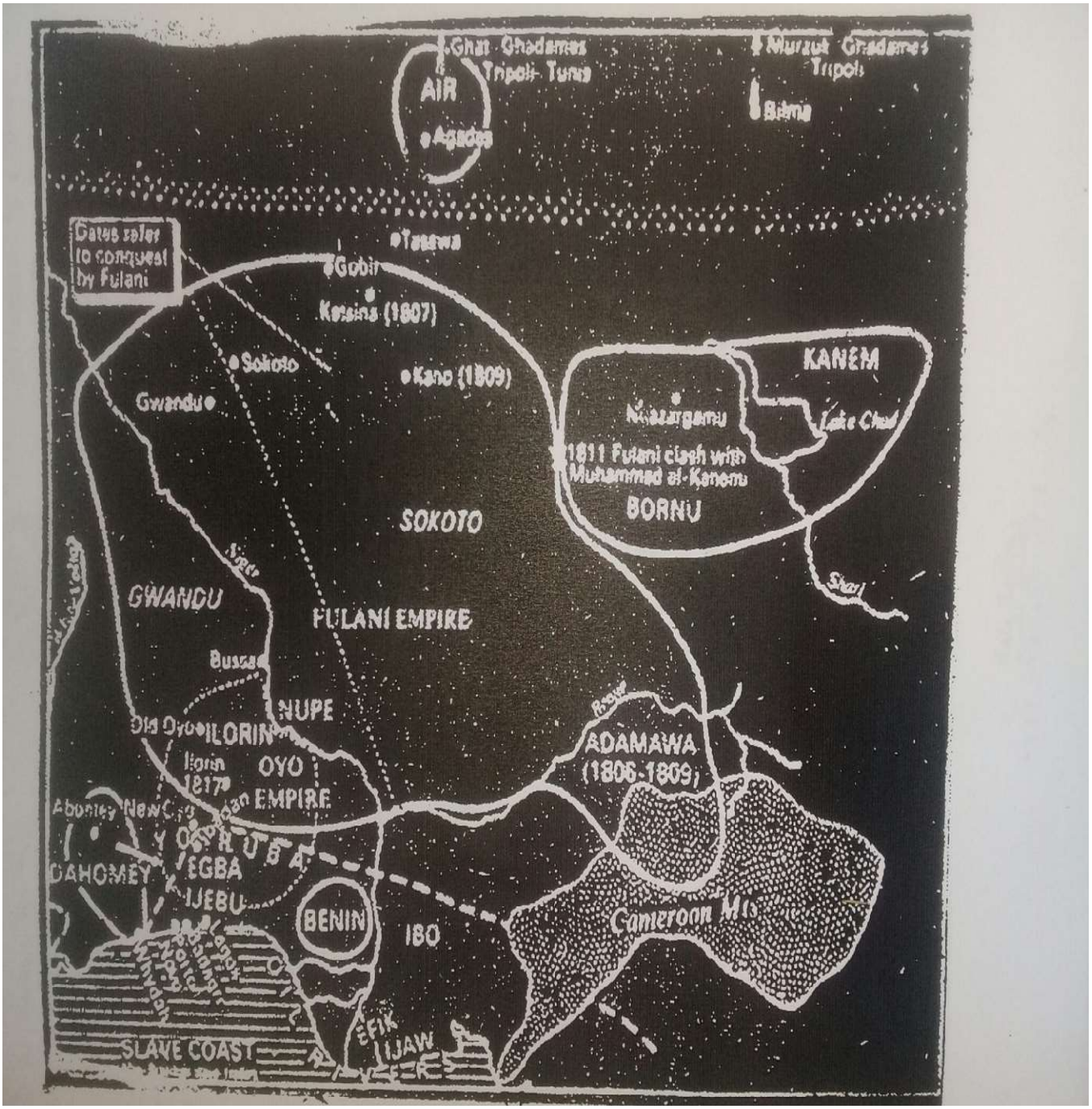

حمد فاضل علي باري و سعيد ابراهيم كريدية: المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، مرجع سابق، ص 123.

الملحق رقم:14الدولة الفودية في أوج إتساعها.

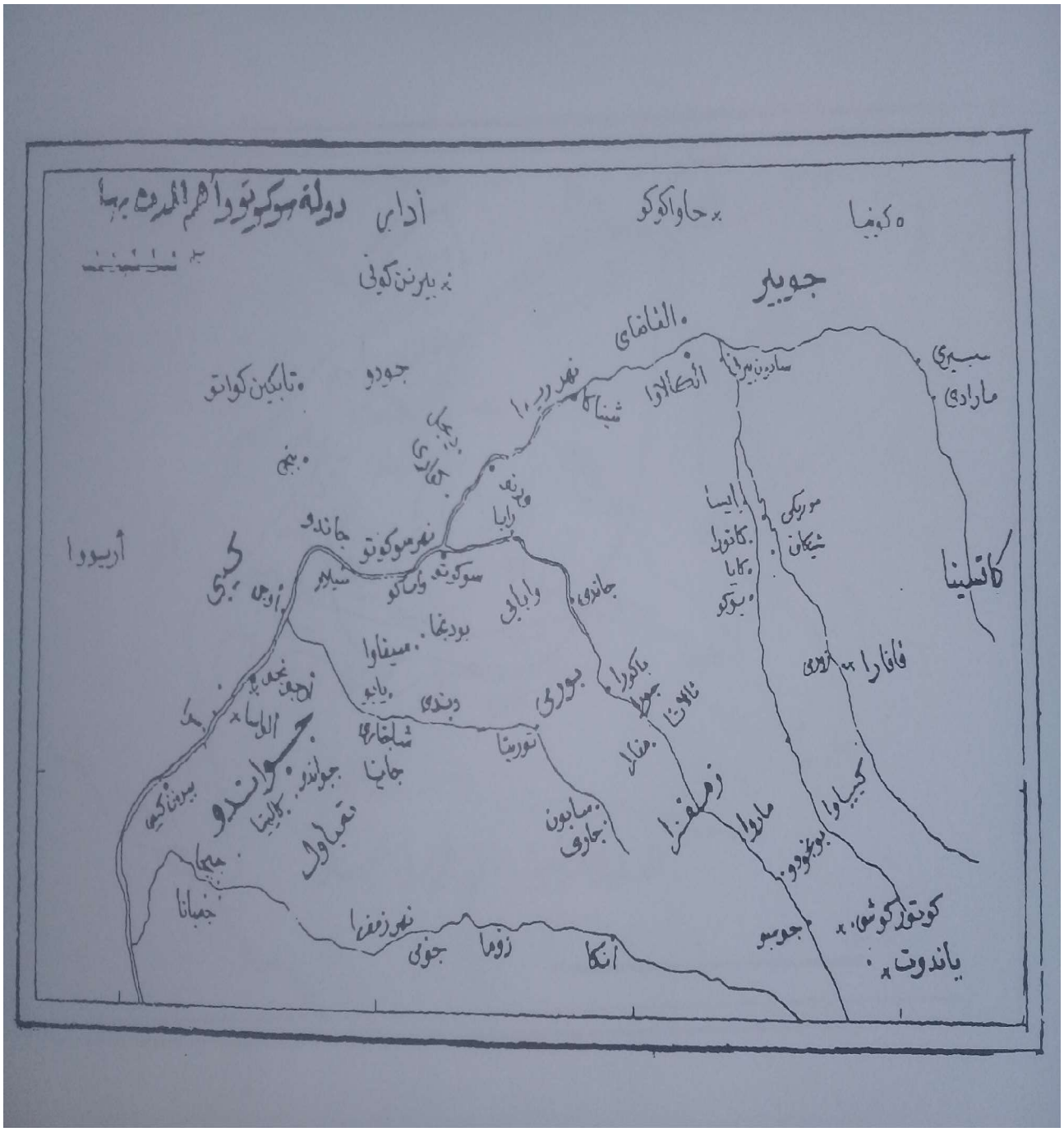

الطيب عبد الرحيم مُحَمَّد الفلاتي: الفلاته في إفريقيا ومساهمتهم الإسلامية والتنموية في السودان، مرجع سابق، ص 336.

الملحق رقم15طرق انتشار الاسلام في قارة إفريقيا

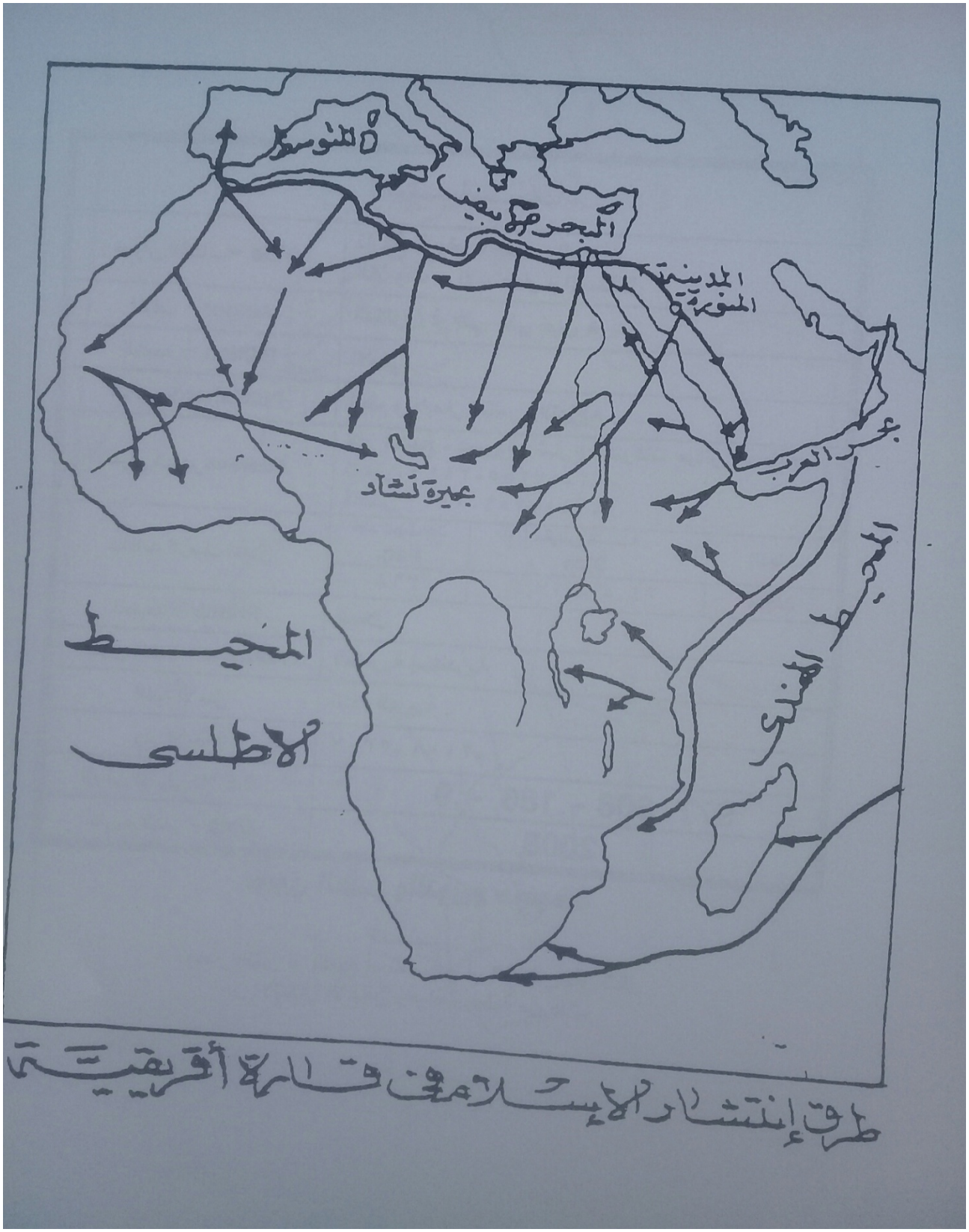

فرغلي علي تسن هريدي: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، ط01، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، الاسكندرية، سنة 2008، ص 357.

ملحق رقم: 16الورقة لأخير من مخطوط نجم الإخوان لعثمان بن فودي.

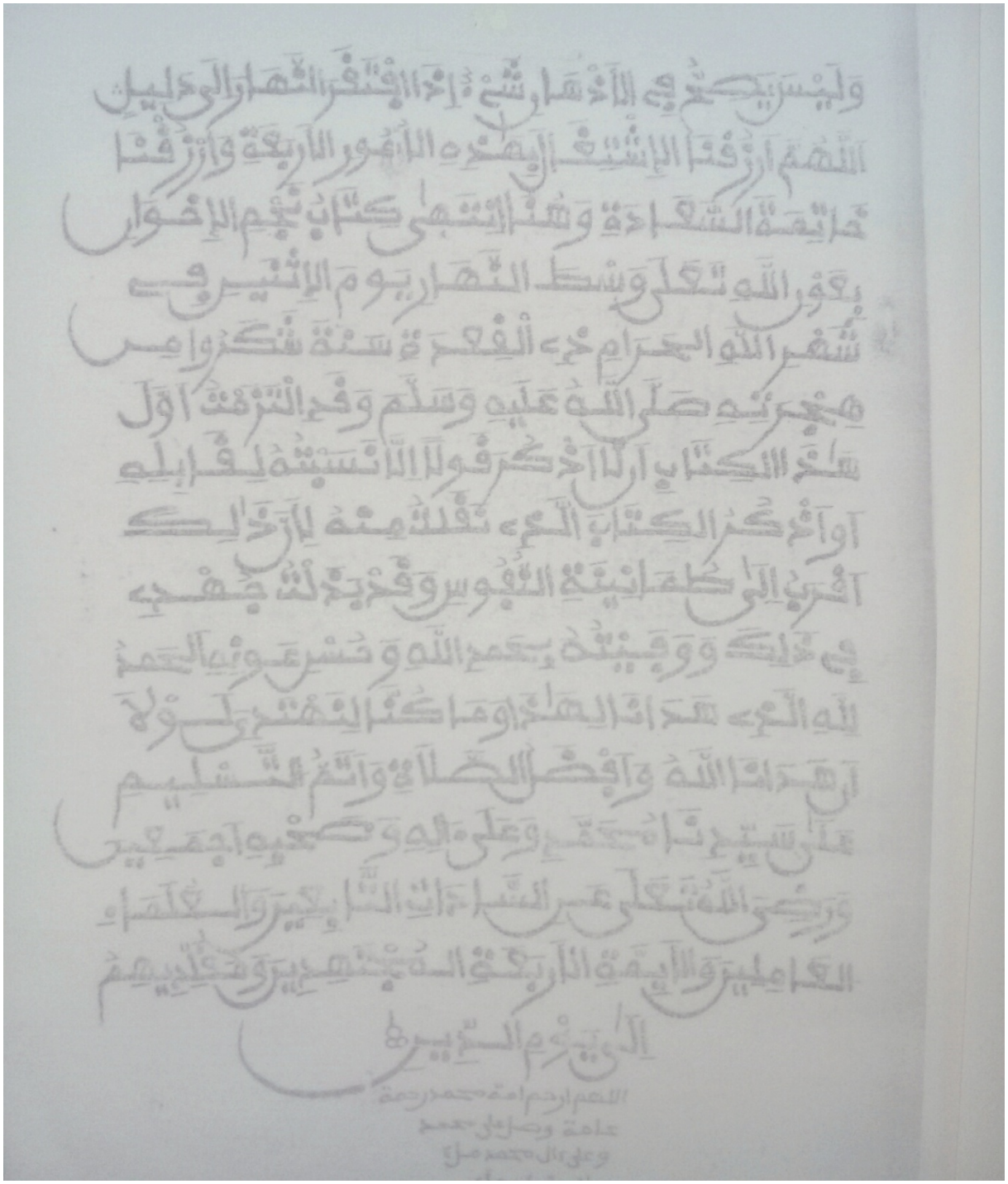

عثمان بن فودي : نجم الإخوان يستعينون به في أمور الزمان، تحقيق أحمد مصطفى أبو الخير، مصدر سابق، ص53.

الملحق رقم: 17 الورقة الأولى من كتاب فتح البصائر لتحقيق وضع علوم البواطن والظواهر لعثمان بن فودي.

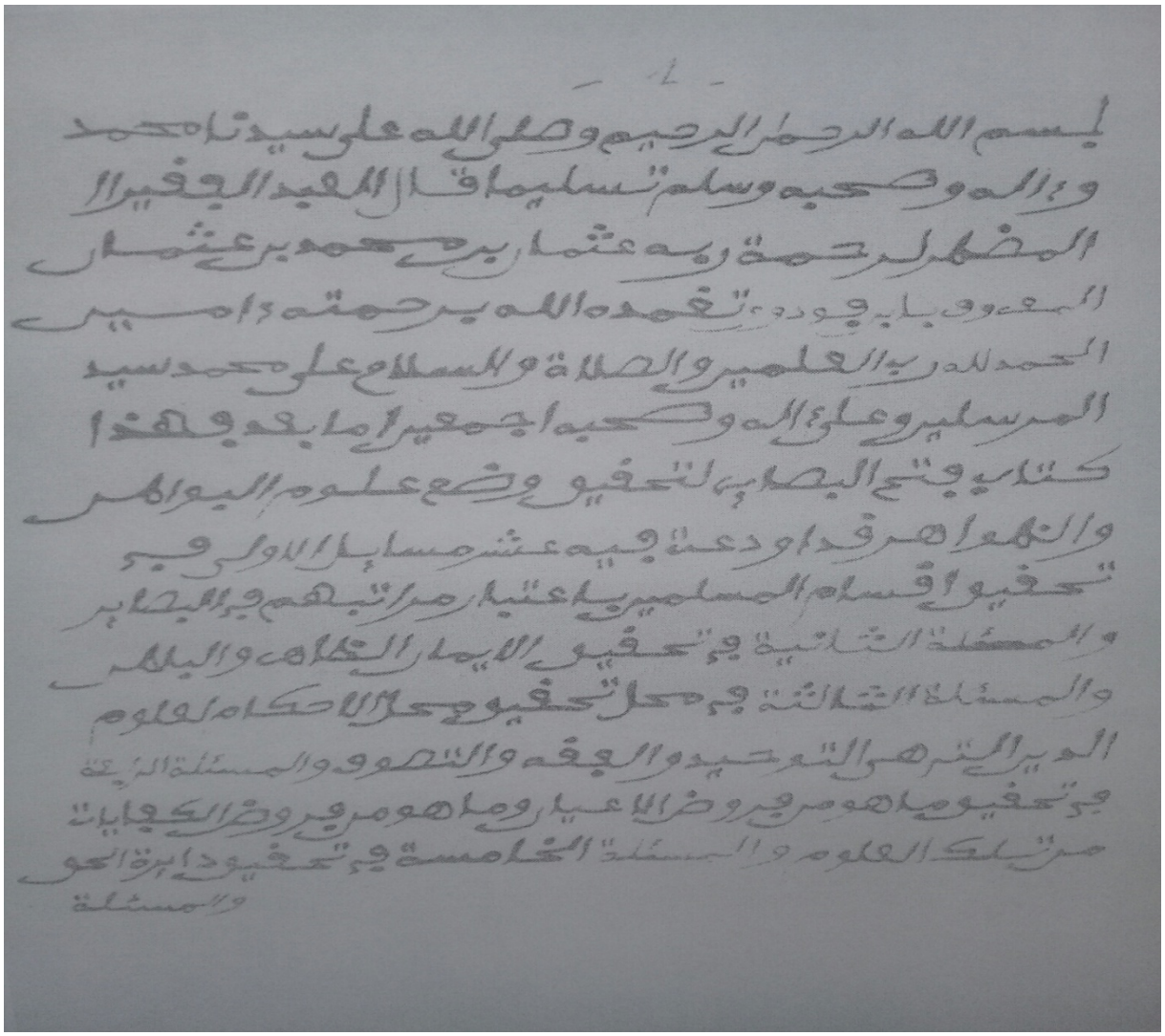

عثمان بن فودي: فتح البصائر لتحقيق وضع علوم البواطن والظواهر، تحقيق، سيني مومني و سالو الحسن، مصدر سابق، ص 15.

الملحق رقم :18الورقة الأولى من مخطوط ضياء التأويل من معاني التنزيل

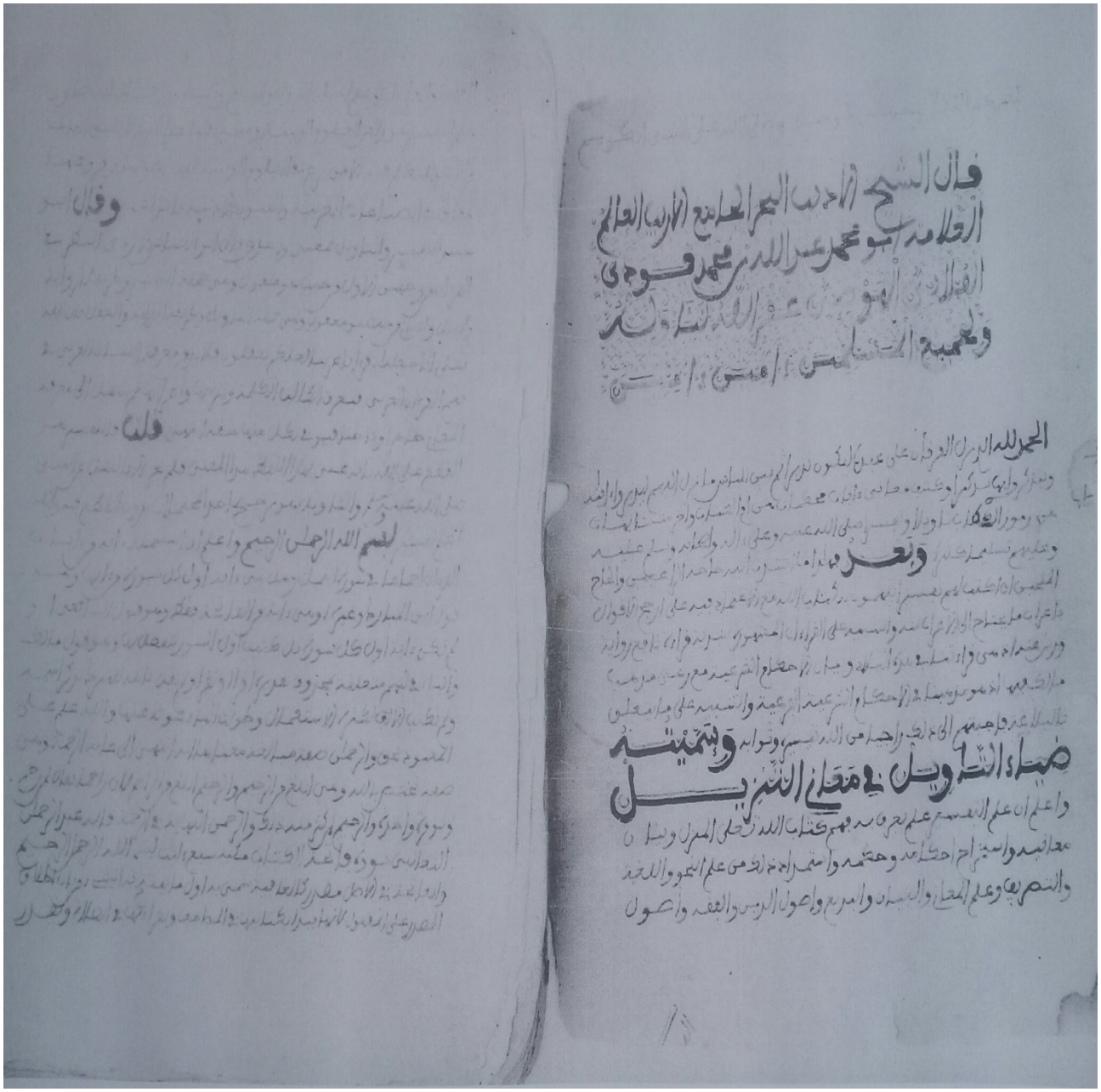

عبد الله بن فودي: ضياء التاويل في معاني التنزيل، مصدر سابق، ص04.

الملحق رقم:19 الورقة الأولى من مخطوط بستان الدعاء

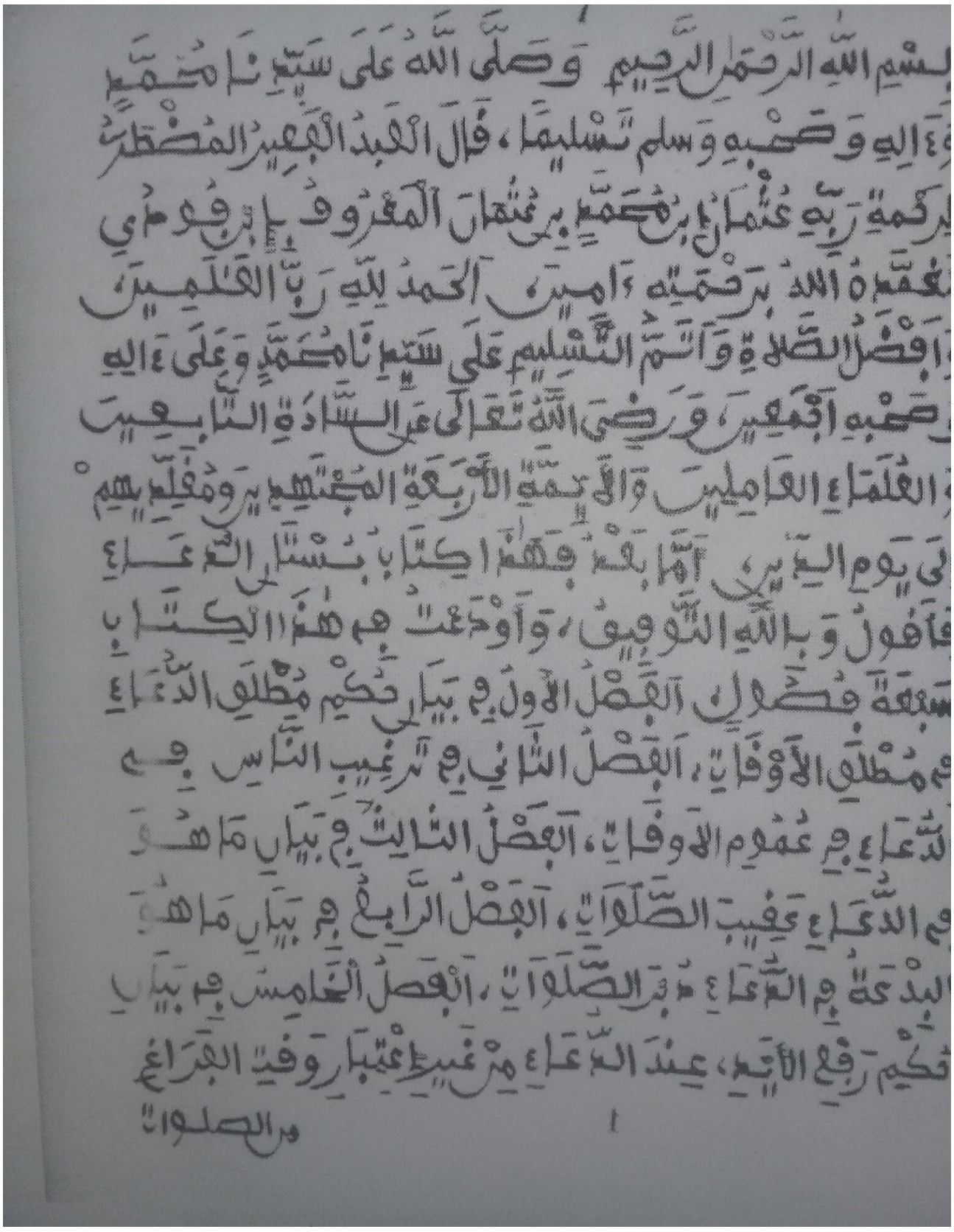

عثمان بن فودي: بستان الدعاء، تحقيق أبو ألفا عمر مُحَمَّد شريف بن فريد بروكس، مصدر سابق، ص 09.

الملحق رقم:20 شيوخ عبد الله بن فودي

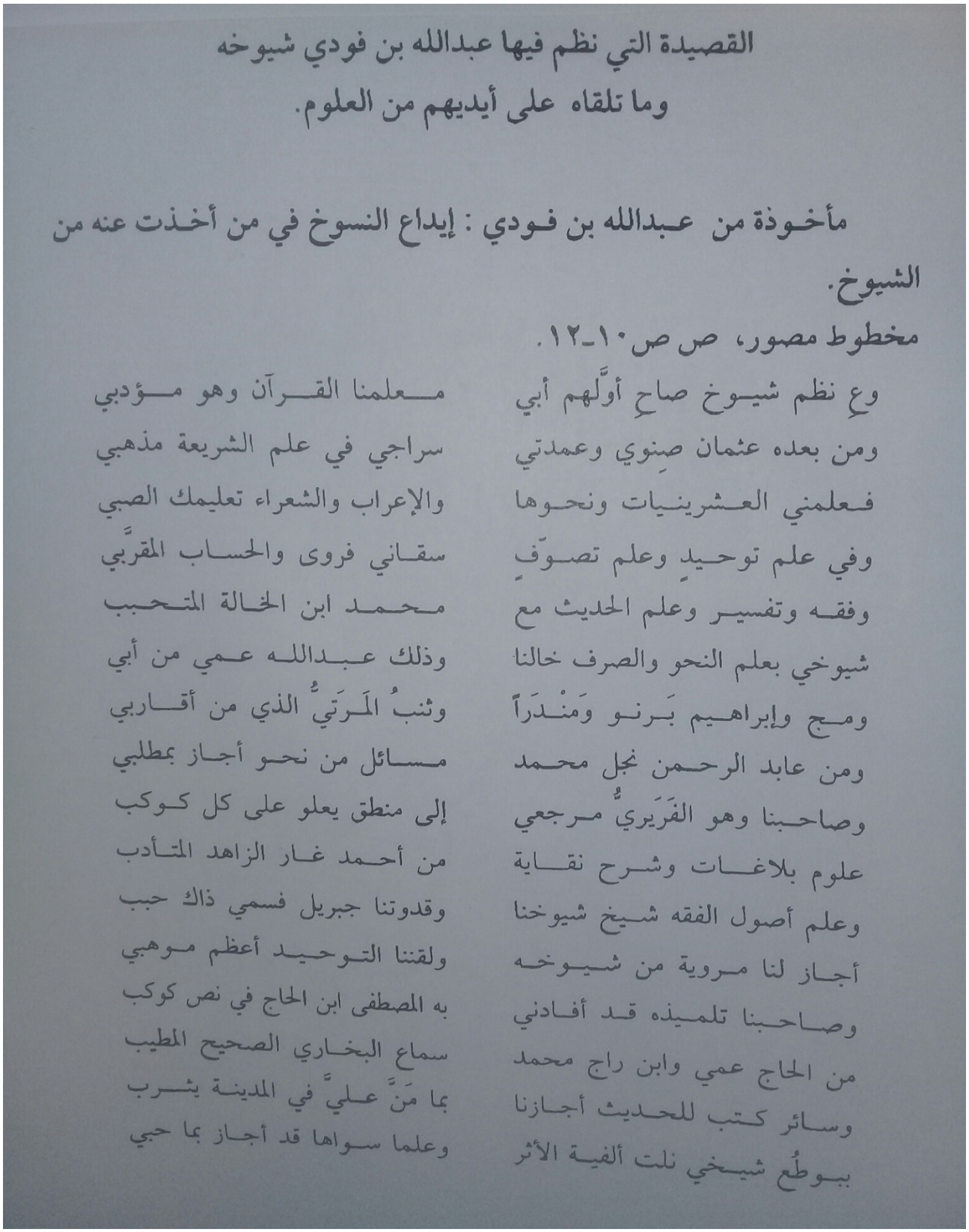

القصيدة التي نظم فيها عبدالله بن فودي شيوخه
وما تلقاه على أيديهم من العلوم.

مأخوذة من عبدالله بن فودي : إيداع النسوخ في من أخذت عنه من الشيوخ.
مخطوط مصور، ص ص١٠-١٢.

وعِ نظم شيوخ صاحِ أوَّلهم أبي ... معلمنا القرآن وهو مؤدبي
ومن بعده عثمان صِنوي وعمدتي ... سراجي في علم الشريعة مذهبي
فعلمني العشرينيات ونحوها ... والإعراب والشعراء تعليمك الصبي
وفي علم توحيدٍ وعلم تصوّفٍ ... سقاني فروى والحساب المقرَّبي
وفقه وتفسير وعلم الحديث مع ... محمد ابن الخالة المتحبب
شيوخي بعلم النحو والصرف خالنا ... وذلك عبدالله عمي من أبي
ومج وإبراهيم بَرنو وَمَنْدَراً ... وثنبُ المَرَتيُّ الذي من أقاربي
ومن عابد الرحمن نجل محمد ... مسائل من نحو أجاز بمطلبي
وصاحبنا وهو الفَرَيريُّ مرجعي ... إلى منطق يعلو على كل كوكب
علوم بلاغات وشرح نقاية ... من أحمد غار الزاهد المتأدب
وعلم أصول الفقه شيخ شيوخنا ... وقدوتنا جبريل فسمي ذاك حبب
أجاز لنا مروية من شيوخه ... ولقننا التوحيد أعظم موهبي
وصاحبنا تلميذه قد أفادني ... به المصطفى ابن الحاج في نص كوكب
من الحاج عمي وابن راج محمد ... سماع البخاري الصحيح المطيب
وسائر كتب للحديث أجازنا ... بما مَنَّ عليَّ في المدينة يثرب
ببوطُع شيخي نلت ألفية الأثر ... وعلما سواها قد أجاز بما حبي

مهدي رزق الله أحمد: حركة التجارة والإسلام والتعليم الاسلامي في غربي إفريقية قبل الاستعمار وآثارها الحضارية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، الرياض، ط01، سنة 1998، ص 795.

الملحق رقم :21 الدولة الفودية.

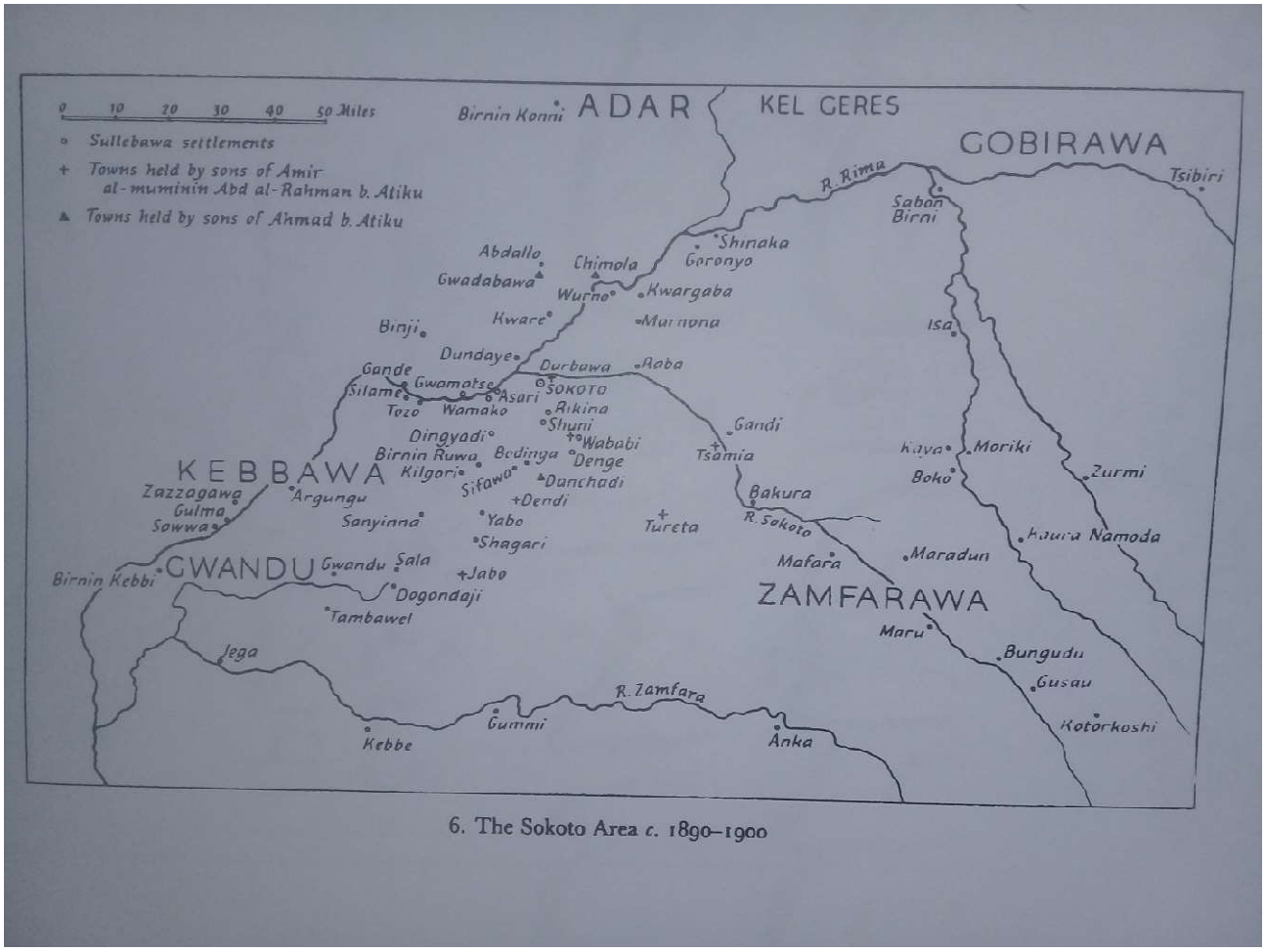

6. The Sokoto Area c. 1890–1900

Murray Last :The Sokoto Caliphate,Op.CiT .p143.

الملحق رقم :22 الورقة الأخيرة من مخطوط فتح البصائر.

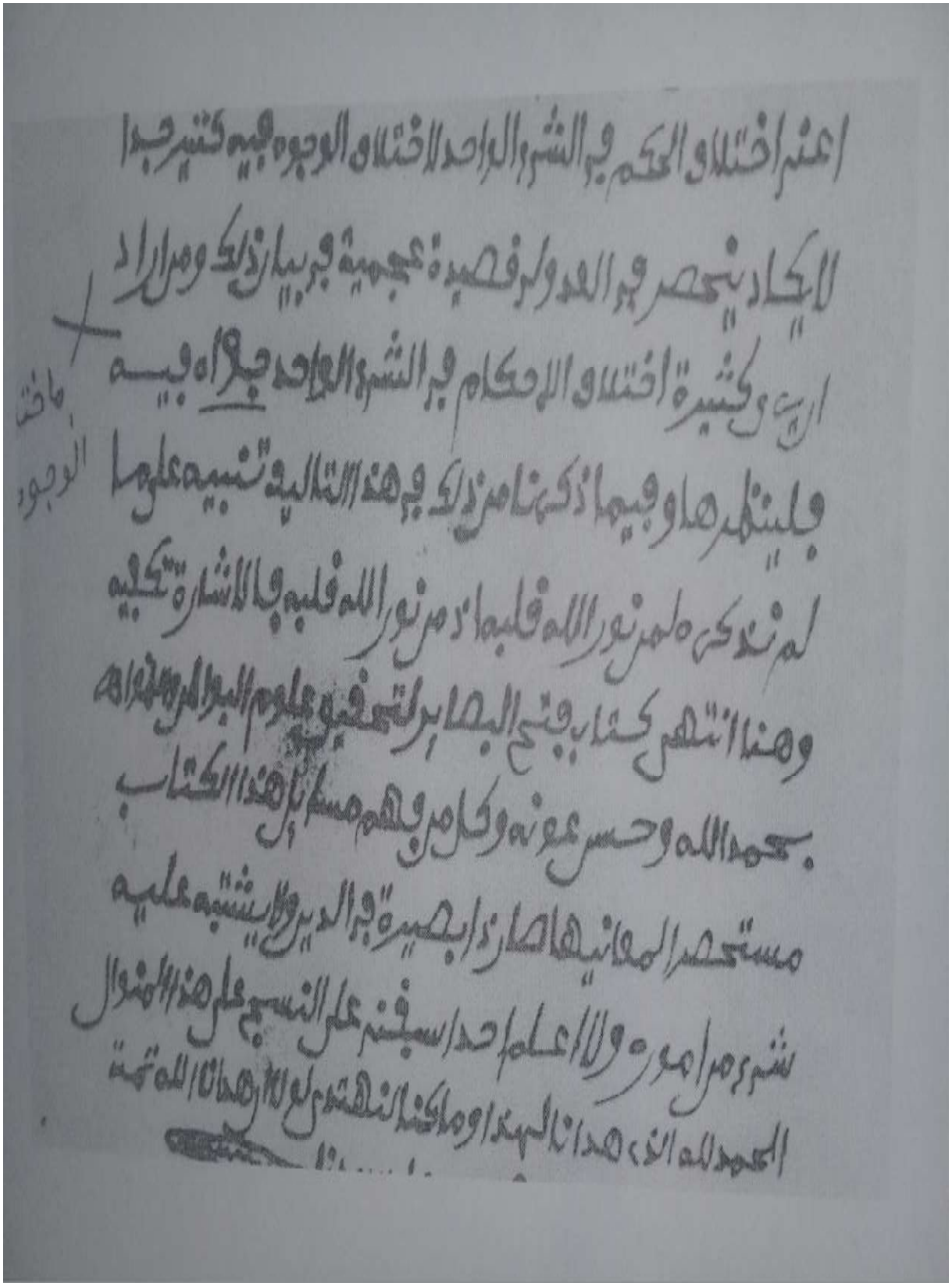

عثمان بن فودي: فتح البصائر لتحقيق وضع علوم البواطن والظواهر، تحقيق ةتعليق سيني مومني وسالو الحسن، مصدر سابق، ص 11.

الملحق رقم: 23 الورقة الأولى من مخطوط نجم الإخوان يستعينون به في أمور الزمان

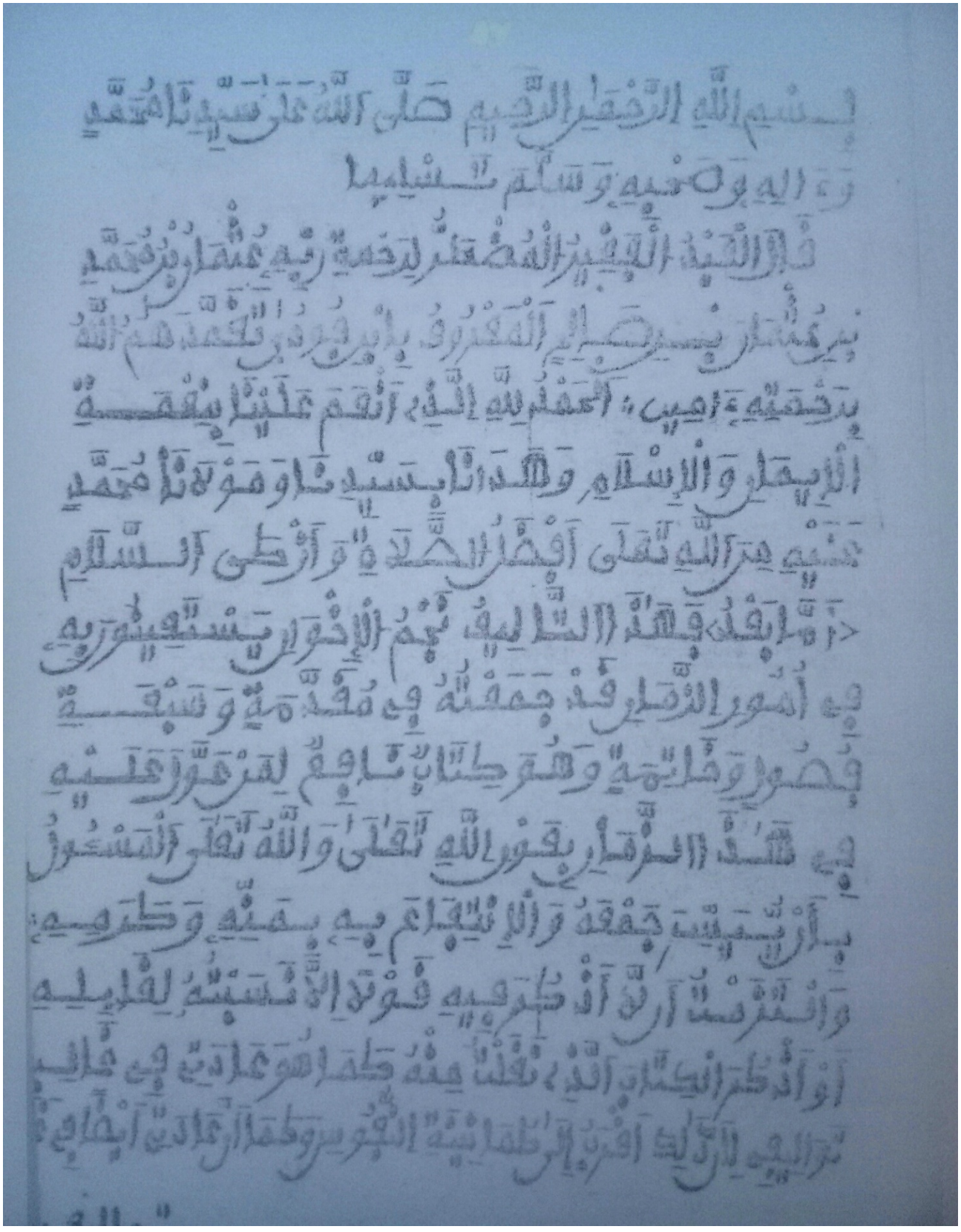

عثمان بن فودي: نجم الإخوان يستعينون به في أمر الزمان، تقديم وتعليق أحمد مصطفى أبو الخير، مركز أبحاث الوثائق والمخطوطات وتحقيق التراث، جامعة المنصورة، سنة 1990، ص21.

الملحق رقم:24 الورقة الأولى من مخطوط بستان الدعاء

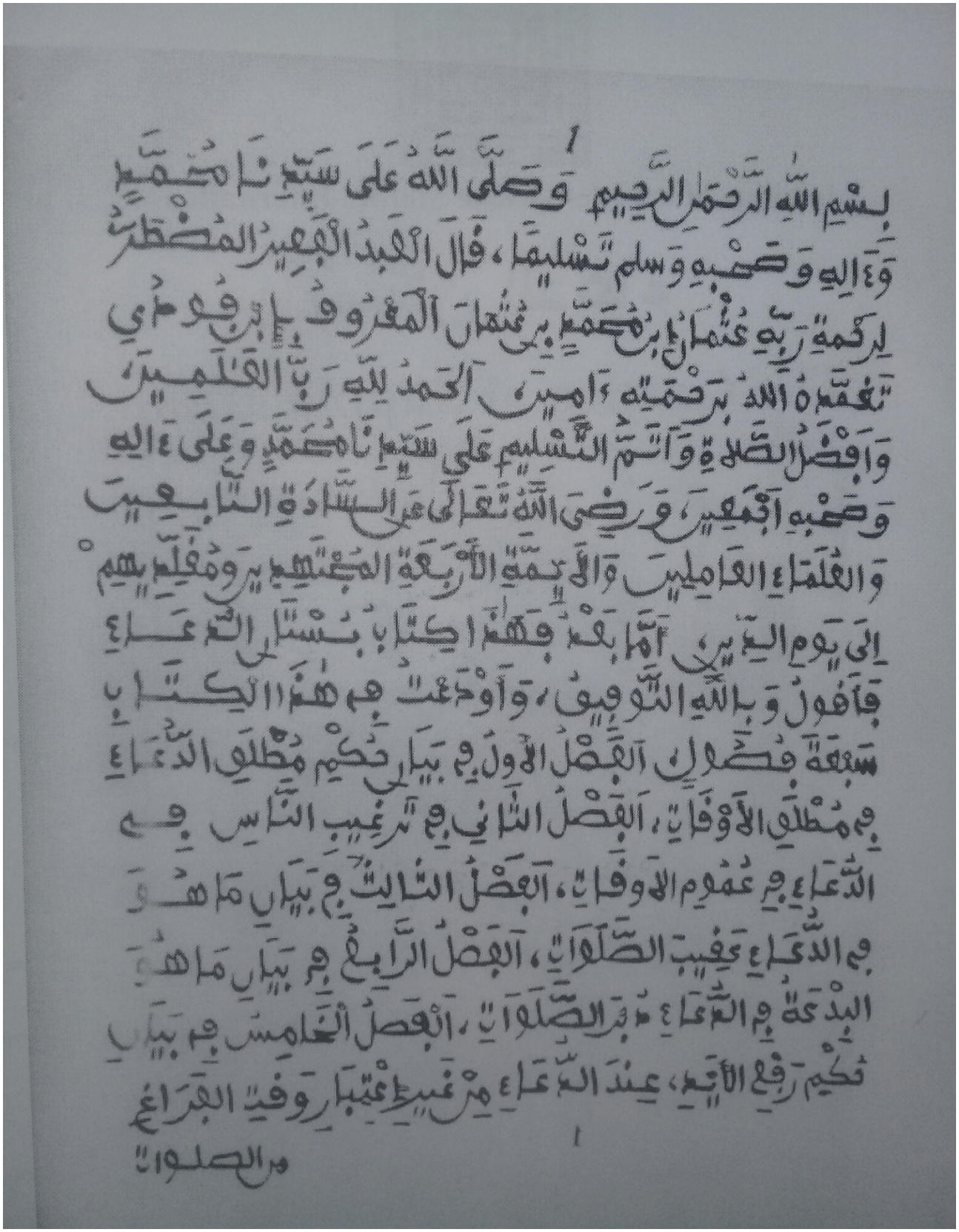

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد
وءاله وصحبه وسلم تسليما، قال العبد الفقير المضطر
لربه عثمان بن محمد بن عثمان المعروف بابن فودي
رحمه الله برحمته آمين الحمد لله رب العالمين
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى ءاله
وصحبه أجمعين، ورضي الله تعالى عن السادة التابعين
والعلماء العاملين والأئمة الأربعة المجتهدين ومقلديهم
إلى يوم الدين، أما بعد فهذا كتاب بستان الدعاء
فأقول وبالله التوفيق، وأودعت فيه هذا الكتاب
سبعة فصول، الفصل الأول في بيان حكم مطلق الدعاء
في مطلق الأوقات، الفصل الثاني في ترغيب الناس في
الدعاء في عموم الأوقات، الفصل الثالث في بيان ما هو
في الدعاء عقيب الصلوات، الفصل الرابع في بيان ما هو
البدعة في الدعاء عقب الصلوات، الفصل الخامس في بيان
حكم رفع الأيدي عند الدعاء من غير اعتبار وفي القراءة
في الصلوات

عثمان بن فودي: بستان الدعاء، تحيق وترجمة أبوالفا عمر مُحَمَّد شريف بن فريد بروكس، مصدر سابق، ص03.

الملحق رقم : 25

قصيدة التوحيد باللغة الفولآنية للشيخ عثمان بن فودي

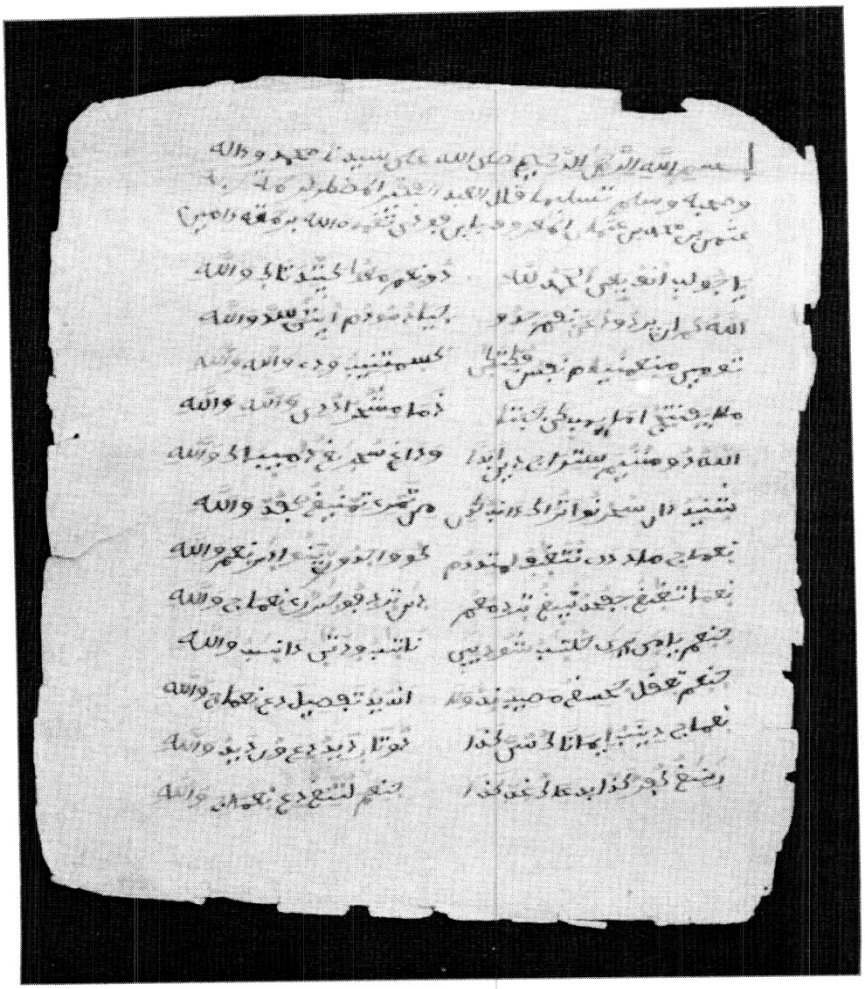

المصدر : عثمان بن فودي، مخطوط قصيدة والله والله، الأرشيف الوطني كادونا للمخطوطات العربية.

الملحق رقم: 26

الرّسائل المتبادلة بين الشّيخ عثمان بن فودي، وسلطان الكانم بورنو محمّد الأمين الكانمي

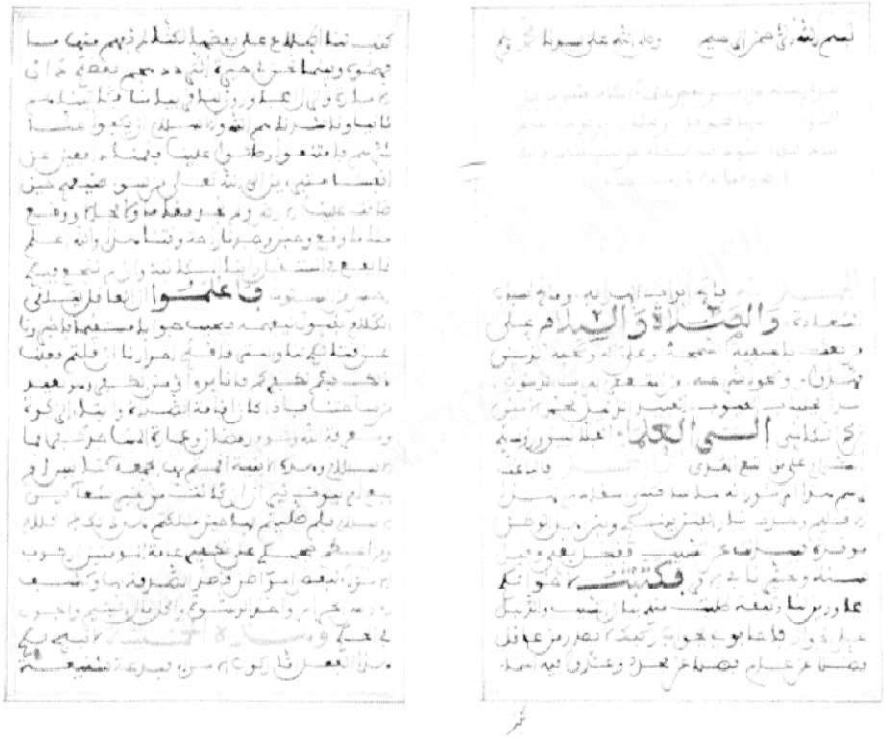

عومار عطية: الشيخ عثمان بن فودي وحركته الاصلاحية، مرجع سابق، ص 178.

الملحق رقم: 27 وثيقة أهل السودان

الورقة رقم واحد من مخطوط وثيقة أهل السّودان لعثمان بن فودي

المصدر: الأرشيف الوطني كادونا، المادة: 4، المرجع: **L/AR 23**

الملحق رقم 28 نماذج عن الاسلحة التي كانت تستخدم قبل شراء الاسلحة النارية

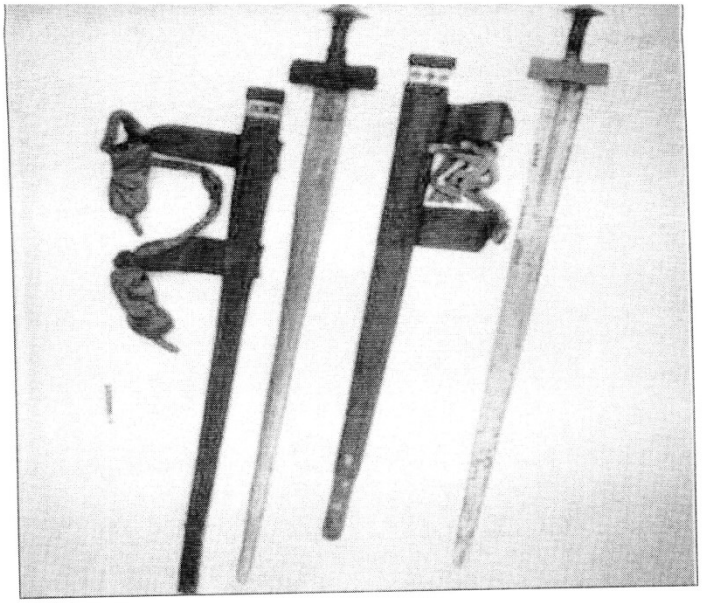

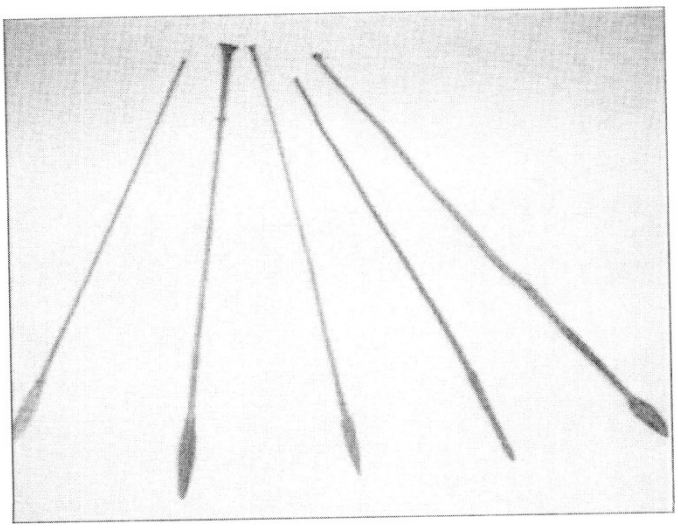

المصدر:

Josephp .S Maldone, Warfare In The Sokoto Caliphate, Cambridge University Press, London, 2008.pp43-44.

الملحق رقم29 سند الشيخ عثمان بن فودي في رواية الحديث

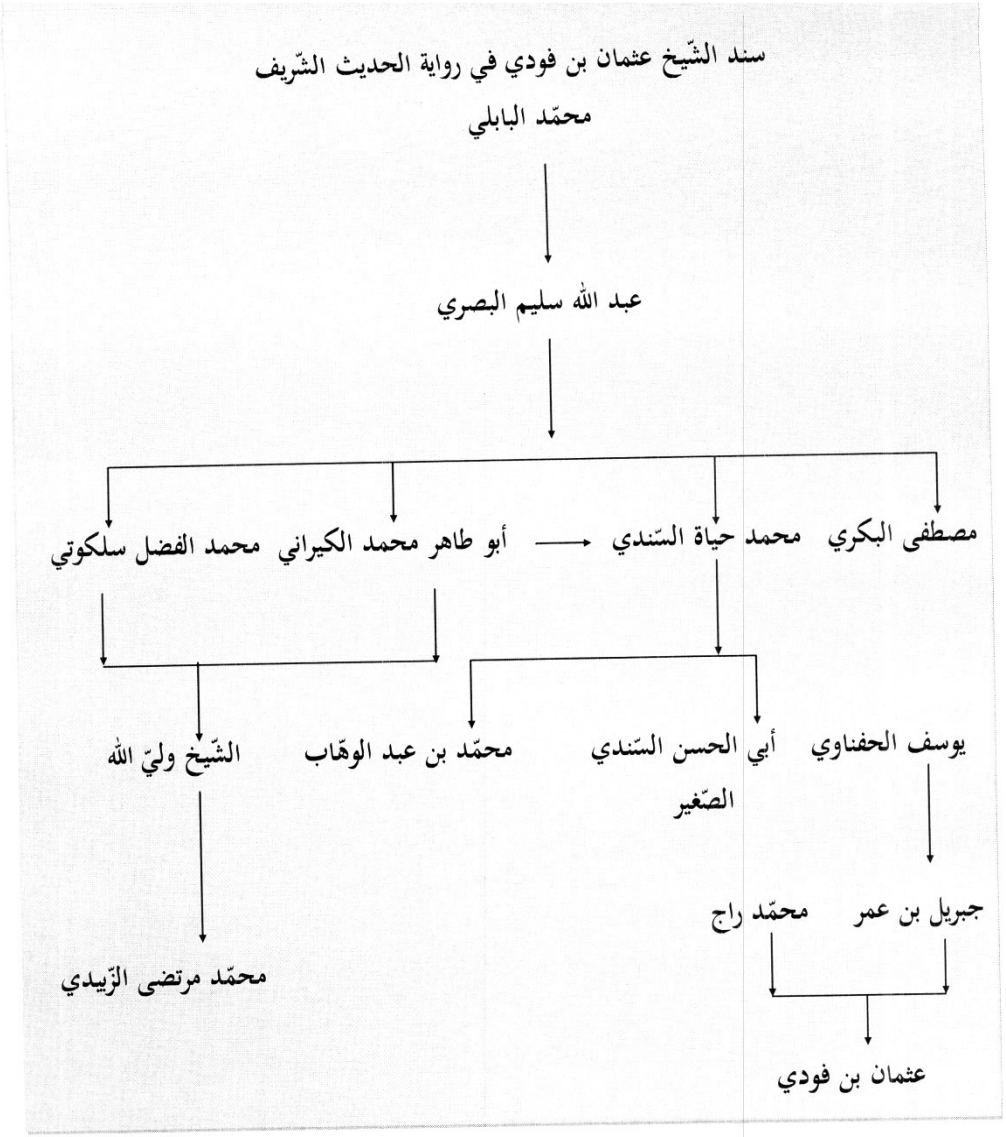

المصدر: John O. Voll, Uthmān B. Muhammad Fūdi's Sanad To Al-Bukhārī As Presented In Tazyīn Al-Waraqāt, Sudanic Africa, Vol. 13, Sudanic Africa: Texts And Sources 2. Fontes Historiae Africanae Bulletin Of Information: Selected Articles 1979-1987 (2002), P114.

الملحق رقم: 30 شجرة نسب العائلة الفودية

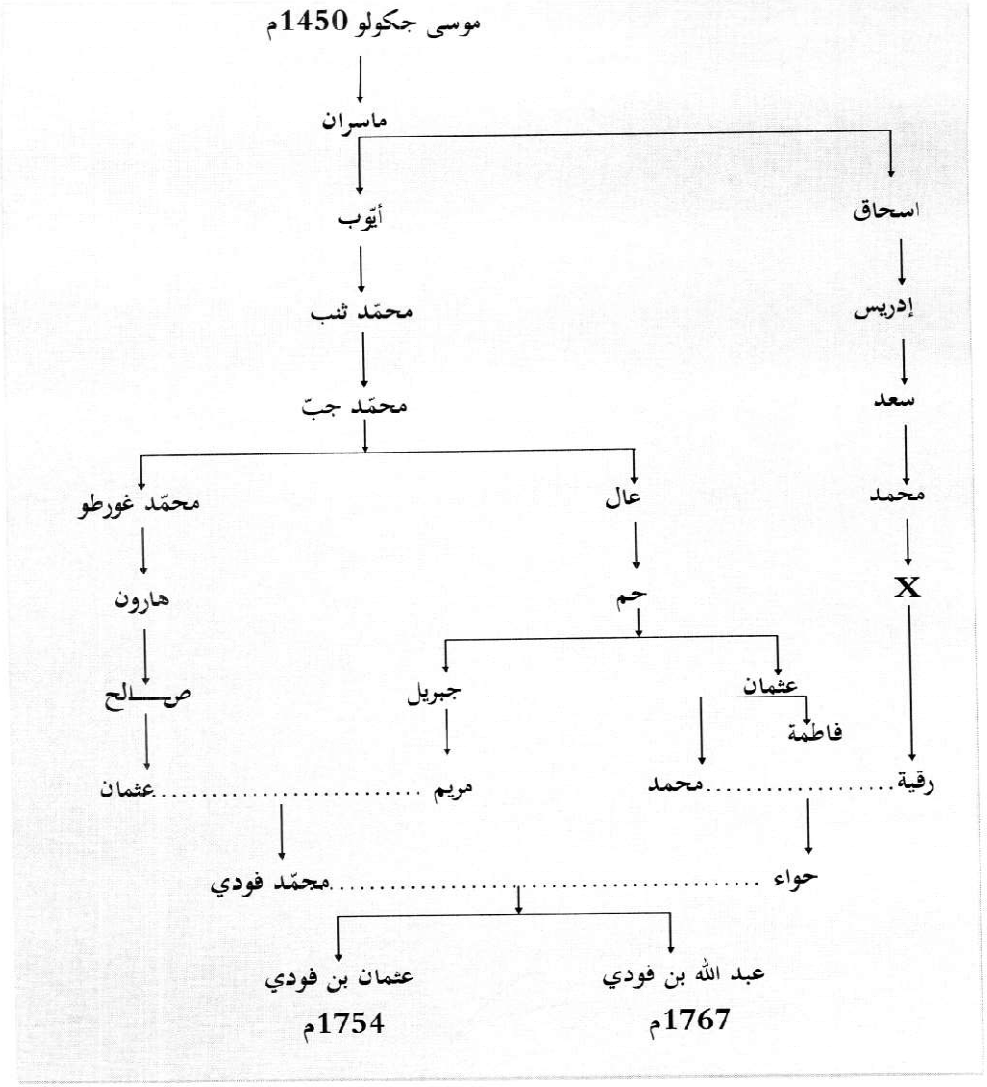

المصدر : Abdullah Ibn Muhammad Foduye, Tazyin Al-Waraqat, Edited With A Translation A Introductory Study Of The Author's Life And Times, Ibadan University Press, 1963, p5

الملحق رقم:31 ببليوغرافية لإنتاج الفكري للعائلة الفودية خلال القرن 19م

APENDIX A

قائمة منقحة لمخطوطات الموجودة بدار الوثائق التاريخية بصكتو – نيجيريـــا

الفصل الأول: مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي

1- مرآة الطلاب في مسند الأبواب لدين الله الوهاب
2- المسائل المهمة يحتاج إلى معرفتها أهل السودان ومن كان بلدهم كبلدهم في جميع الأقطار والبلدان
3- مدة الدنيا
4- نصيحة أهل الزمان
5- نجم الاخوان يهتنون به بإذن الله في أمور الزمان
6- خمسة قصائد الفلاتية
7- الفرق بين علم التصوّف للتخلق وعلم التصوّف للتحقق
8- حقيقة الإيمان والاسلام
9- حكم جهال بلد هوسا
10- جمع خصص فيه ذكر بعض أبيات
11- سلاسل القادرية
12- سراج الإخوان في أهم ما يحتاج إليه في هذا الزمان
13- السلاسل الذهبية للسادة الصوفية
14- سوق الأمة إلى اتباع السنة
15- كشف ما عليه العمل من الأقوال وما لا في مسائل عشرة مهمة
16- توقيف المسلمين على حكم مذاهب المجتهدين الذين كانوا من أهل السنة الموفصين
17- ترويح الأمة ببيان تيسير الملة

21

18- لما بلغت ست وثلاثين سنة

19- علوم المعاملة

20- إقتباس العلم

21- عمدة البيان في العلوم التي وجبت على الأعيان

22- أفحام المنكرين فيما آمر الناس به أو فيما أنهاهم عنه في دين الله تعالى

23- مصباح لأهل هذه الأزمان من أهل بلاد السودان ومن شاء الله من أهل البلدان

24- دعوات الشيخ عثمان رضي الله عنه

25- دلائل الشيخ عثمان بن فودى

26- حصن الأفهام من جيوش الأوهام

27- وثيقة ابن فودى إلى جميع أهل السودان وإلى من شاء الله من الإخوان في البدان

28- تعليم الإخوان بالأمور التي كفرنا بها ملوك السودان الذين كانوا من أهل هذه البلدان

29- أصول الولاية وشروطها

30- بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في أبواب الملة المحمدية

31- بركة بحدد الزمان

32- دواء الوسواس والفغلات في الصلاة وقراءة القرآن والدعوات

33- تحزير أهل الإيمان من التشبة بأهل الغرو والعصيان

34- تنبيه الغافلين وتنظيم الأخبار وبديع الآثار

35- نور الألباب

36- أصول الدين

37- عمدة العلماء

22

38- كتاب الفرق بين ولايات أهل الإسلام وبين ولايات أهل الكفر
39- أصول العدل لولاة الأمور
40- تمييز أهل السنة أنصار الرحمن
41- عمدة المتعبدين
42- الأمر بموالات المؤمنين والنهي عن موالات الكافرين
43- ترويح الأمة ببيان تيسير الملة
44- تحقيق العصمة لجميع طبقات هذه الأمة من الاجتماع على الضلال إلى قيام الساعة بنص صريح من السنة
45- الجواب على سنن دليل منع خروج النسوان
46- تمييز المسلمين من الكافرين
47- رجوع الشيخ السنوس عن التشديد على التقليد في عقائد التوحيد
48- تحذير أهل الإيمان
49- كفاية المهتدين
50- تعليم الإخوان بالأمور التي كفرنا بها ملوك السودان
51- أمر الساعة وأشراطها
52- المحذورات من علامات خروج المهدي
53- فتح البصائر لتحقيق وضع علوم البواطن والظواهر
54- دواء الوسواس والغفلات في الصلاة وقراءة القرآن والدعوات
55- الأصول التي في كتاب العلامة أحمد الزرّوق
56- معراج العوّام
57- عمدة البيان في العلوم التي وجبت على الأعيان

23

58- تحذير الإخوان من إدعاع المهدية الموعودة في آخر الزمان
59- إحياء السنة المحمدية وإخماد البدعة الشيطانية
60- شفاء الغليل من كل ما اشكل من كلام شيخنا خليل
61- إرشاد الإخوان إلى أحكام خروج النسوان
62- قصيدة "مأمآرى" بالفلاتية
63- الفرق بين ولايات أهل الاسلام
64- دالية الشيخ عثمان (هل لي مسير)
65- قصيدة "تبًّا حقيقًا" في الهوسا
66- أجوبة محررة عن أسئلة مقررة
67- عمدة المتعبدين والمحترفين
68- تنبيه الأمة على قرب هجوم الساعة
69- أجوبة محررة عن اسئلة متقررة
70- معراج العوام إلى سماع علم الكلام
71- تنبيه الحكام
72- تنزيه ربنا القدوس عن كل ما يخطر في النفوس
73- جمع خصص فيه ذكر بعض الأبيات المحصل لإبن ذكريا
74- بيان آداب العبادات والعادات
75- بيان وجوب الهجرة على العباد
76- تنبيه الأمة على قرب هجوم الساعة
77- نصيحة الشيخ عثمان
78- وثيقة الشيخ عثمان إلى رجل يدعى أنه عالم يفسر القرآن بدون إتقان قوانين

24

التفسير

79- تنبيه الفاهم على حكم تاريخ مدة الدنيا

80- وثيقة الإخوان لتبيين دلايلات وجوب اتباع السنة والاجماع

81- تنبيه الاخوان على أحوال أرض السودان

82- قصيدة "مأمآرى" بالفلاتية (المترجمة إلى هوسا)

83- الخبر الهادي إلى أمر الإمام المهدي

84- منظومة الشيخ عثمان بن فودى في صفات إبراهيم شرف الدين

85- عمدة العباد فيما يدان الله به

86- تبشير الأمة الأحمدية

87- لما بلغت ست وثلاثين سنة

88- قصيدة بالفلاتية

89- قصيدة بالفلاتية

90- قصيدة ميتيما الله يا سلام "بالفلاتية"

91- قصيدة تبًّا حقيقا "بالهوسا"

92- رياض السالكين

93- قصيدة "المحمدية" في الفلاتية

94- الأمر بالمعروف

95- قصيدة بالفلاتية "الحمد لله جذو السلام"

96- قصيدة باالفلاتية

97- قصيدة "أيا من أعلى العلا متبوء"

98- تعليم الإخوان على جواز اتخا المخالس لتعليم النسوان على فروض الأعيان

25

99- عشر ينيات الشيخ عثمان بن فودى

100- قصيدة في الفلاتية

101- فصيدة بالفلاتية "مفطر ينع"

102- فصيدة بالفلاتية "ميتني الله داندنام"

103- فصيدة بالفلاتية

104- قصيدة بالفلاتية "الحمد لله رب العالمين نعم"

105- عدد الداعي إلى دين الله

106- إرشاد الأمة إلى بيان تيسير الملة

107- قصيدة "ميتيم يا رحمن حوت مسلمنى"

108- موافقة فتو الطفيل كلام محمد بن يوسف السنوسي

109- قصيدة "النبي بن كرام" بالفلاتية

110- قصيدة ميتني الله، فلاتية

111- سوق الصادقين إلى خضرة القدس

112- قصيدة "الله غبتم" بالفلاتية

113- قصيدة "الحمد حنا دوبيك" بالفلاتية

114- قصيدة "ميتيم الله" بالفلاتية

115- قصيدة "الله غتّيم" بالفلاتية

116- قصيدة "الله لاميدو" فلاتية

117- تحذير الإخوان من أدعاء المهدية

118- أسانيد الفقير

119- شفاء النفوس

26

19- علامات للتبعين لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
20- ضياء الولايـــة
21- إيداع النسوخ من أخذت من الشيوخ
22- آداب العادات على سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
23- الطريق الجادة وما احتوت من الهادة
24- هبة الوهاب لمن أراد علم شعب الإيمان
25- كتاب الديات
26- قواعد الصلاح مع الفلاح
27- سبيل أهل الصلاح إلى الفلاح
28- النصيحة بتقريب ما يحب على عامة الامـــة
29- إيضاح زاد المعاد
30- كف الإخوان عن التعرض بالإنكار على أهل الإيمان
31- آداب المعاشرات
32- كتاب النسب
33- شفاء الناس
34- ضياء الحكام
35- لباب المدخل
36- نيل المأمول
37- فتح اللطيف الوافي بعلم العروض والقوافي
38- تخميس دالية الشيخ عبد الله
39- درر الحكم للرسول وأهل الكرم

28

40- النصيحة بتقريب ما يجب على كل مكلف
41- دالية الشيخ عبد الله بن فودى
42- الحصن الرصين
43- تلخيص الحصن الرصين
44- ضياء الخلفاء
45- ضياء السلطان
46- فرائد الجليلة
47- منن المنان
48- ضياء السياسات
49- دواء الوسواس
50- بيان الأركان والشروط للطريق الصوفية
51- مفتاح التفسير
52- سلالة المفتاح
53- ضياء السند
54- شكر الإحسان على منن المنان
55- كفاية الطلاب في النكاح
56- التبيان لحقوق الإخوان
57- ضياء الأمة في آداب الأئمة
58- مفتاح التفسير
59- البحر المحيط
60- ألفية الأصول

29

مُحَمَّد بيلو إدريس: حالة المخطوطات العربية والمكتوبة بالحرف العربي في دار الوثائق بولاية سوكوتو النيجيرية،الملتقى الدولي للمخطوطات،جامعة أدرار،من02الى03مارس2015.

قائمة

المصادر والمراجع

. القرآن الكريم ،رواية ورش.

أولا المصادر:

. ابن الجوزي: تنوير الغبش في فضل السودان والحبش، تحقيق مُحَمَّد بركات ،ط1، دار جامعة أم درمان الاسلامية، 1993.

. ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج03،ط 06، دار الكتاب العربي، بيروت،1986.

. ابن بطوطة مُحَمَّد بن عبد الله اللواتي شمس الدين أبي عبد الله الطنجي: تحفة النظار في غريب الأمصار وعجائب الأسفار، دار صادر، بيروت، 2001م.

. ابن حوقل أبوالقاسم النصيبي: صورة الأرض، ط02، بيروت ،ب.ت.

. ابن خلدون عبدالرحمن: مقدمة ابن خلدون، ط02،تحقيق حامد أحمد الطاهر، القاهرة، 2010.

. ابن عذاري المراكشي:البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،ج01،ط02، دار الثقافة،بيروت، 1980.

. ابن هشام: السيرة النبوية،ج01،تحقيق مُحَمَّد الهادي عابدين وابن عبدالحميد، دار المعارف، القاهرة،1964.

. أحمد بابا التنبكتي : نيل الابتهاج بتطريز الديباج، اشراف وتقديم عبدالحميد عبد الله الهرامة، ط01، مشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989.

. الإدريسي مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني أبي عبد الله الشريف :نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، المجلد الأول، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د ت ن.

. الإصطخري المعروف بالكرخي إبراهيم بن مُحَمَّد أبو إسحاق الفارسي، المسالك والممالك، تحقيق مُحَمَّد جابر عبد العال الحيني، مراجعة مُحَمَّد شفيق غربال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار القلم، القاهرة، 1961.

. البرتلي الولاتي مُحَمَّد بن أبي بكر الصديق أبي عبد الله : فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق مُحَمَّد إبراهيم الكتاني ومُحَمَّد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م.

. البكري عبد الله بن عبد العزيز بن مُحَمَّد أبي عبيد: المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، وهو جزء من المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د ت.

. البلاذري: فتوح البلدان،ج02، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار النهضة،القاهرة، 1958.

. التونسي مُحَمَّد بن عمر: تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق مُحَمَّد خليل عساكر ومصطفي مُحَمَّد مسعد ومراجعة مُحَمَّد مصطفى زيادة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر والدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1965م.

. الجاحظ عمر بن بحر: رسائل الجاحظ،ج01،تحقيق عبدالسلام مُحَمَّد هارون، مصر،1984.

. الحموي أبو عبد الله ياقوت: معجم البلدان ،تح فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتاب العربية، بيروت لبنان ، ط1990,01.

. السعدي عبد الرحمان ابن عبد الله: تاريخ السودان، طبع هوداس، باريس، 1981م.

. الطبري مُحَمَّد جرير: تاريخ الامم والملوك،ج02، القاهرة، 1979.

. القزويني مُحَمَّد بن زكرياء: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، 1983.

. المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين: مروج الذهب وعادن الجوهر، ج01، تحقيق سيد مُحَمَّد اللحام، دار الفكر، بيروت، 2005.

ـ عبد الله بن فودي: ضياء السياسات وفتاوى النوازل مما هو من فروع الدين من المسائل،ط01،تحقيق وتقديم أحمد مُحَمَّد كاني،الزهراء للإعلام العربي، 1988.

ـ عثمان ابن فودي: كتاب أصول الدين ،تحقيق نجف علي ميرزائي ،معهد أهل البيت للدراسات والعلوم الإسلامية ،كانو ،سنة 1998 .

ـ عثمان بن فودي: إحياء السنة وإخماد البدعة، ط2، المكتبة الإفريقية للطبع والنشر، القاهرة، ب ت.

. عثمان بن فودي: الوصية الرضية من الراعي الى الرعية،تقديم وتعليق أحمد مصطفى أبو الخير،جامعة المنصورة،1990.

. عثمان بن فودي: بستان الدعاء،تحقيق وترجمة أبو ألفا عمر شريف بروكس،

. عثمان بن فودي: بيان وجوب الهجرة على العباد وبيان نصب الإمام وإقامة الجهاد، تحقيق، فتحي حسن المصري، دار جامعة، الخرطوم،1977.

. عثمان بن فودي: أصول الولاية وشروطها، تحقيق عمر بلوم الم سراج، مختارات من مؤلفات عثمان بن فودي، مج3،دار اقرأ غوسو، نيجيريا، 2013.

. عثمان بن فودي: الفرق بين ولايات أهل الاسلام وولايات أهل الكفر، مخطوط، جامعة بايرو،كانو.

. عثمان بن فودي: بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في أبواب الملة المحمدية، تحم الم أنس مُحَمَّد يعقوب، دار أقرأ غوسو، نيجيري، 2013.

. عثمان بن فودي: نجم الإخوان يستعينون به في أمور الزمان، تقديم وتعليق أحمد مصطفى أبوالخير، مركز أبحاث الوثائق والمخطوطات وتحقيق التراث، جامعة المنصورة، 1990.

. مُحَمَّد بيلو بن عثمان فودي: إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، تحقيق بهيجة الشاذلي، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، جامعة مُحَمَّد الخامس، الرباط، المغرب، 1996م.

عثمان بن فودي :أصول العدل لولاة الأمور وأهل الفضل، تحقيق ثاني يوسف برنن تد،مج02، دار اقرأ، غوسو نيجيريا، 2013.

ثانيا المراجع:

- إبراهيم علي طرخان: إمبراطورية البرنو الإسلامية ،الهيئة العامة للكتاب القاهرة '(د.ط) سنة 1975.

- آداي آجايي: إفريقيا في مطلع القرن التاسع عشر قضايا وتوقعات، تاريخ إفريقيا العام،اليونسكو، مج1996,6.

- إسماعيل العربي: حاضر الدول الإسلامية في القارة الإفريقية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، سنة1984.

. بولم دنيس : الحضارات الإفريقية، ترجمة علي شاهين، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1974م.

. جمال زكرياء قاسم: الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، ط01، دار الفكر العربي، القاهرة،سنة1996.

. دونالدويدنر: تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، ترجمة راشد البراوي، مصر مكتبة الوعي العربي،2001.

. مادهو بانيكار : الوثنية والإسلام، ترجمة وتعليق أحمد فؤاد سابع، المجلس الأعلى للثقافة (د.ط) القاهرة 1995.

. مُحَمَّد أحمد عقلية عبد العالي الحقاف: جغرافية القارات، دار طارق للنشر، 1998.

. مُحَمَّد باي بلعالم : قبيلة فلان في الماضي والحاضر وما لها من العلوم والمعرفة والمآثر، الجزائر،سنة2004.

ـ مُحَمَّد لواء الدين أحمد: الاسلام في نيجيريا ودور الشيخ عثمان بن فودي في ترسيخه، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009.

ـ نبيلة حسن مُحَمَّد :في تاريخ إفريقية الإسلامية انتشار في السودان الغربي ، دار المعرفة الجامعية 2007.

ـ نعيم قداح: حضارة الاسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية، ط2، (ش.و.ن.ت) الجزائر، 1975.

ـ ابراهيم عبد الله الماجد: الغرابة الجماعات التي هاجرت من غرب إفريقيا واستوطنت السودان وادي النيل ودورهم في تكوين الهوية السودانية، دار الحاوي،ط1، 1998.

ـ أبو الحسن علي السماني: تطبيق نصوص الفكر السياسي في دولة سوكوتو ، دار هايل ، الخرطوم ، 1991 .

ـ أبو بكر إسماعيل ميقا: الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي من 400هـ إلى 1100هـ، ط1، مكتبة التوبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997م.

ـ أحمد بوعتروس : الحركات الإصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء إبان القرن 18م/19م ، دار الهدى ، الجزائر ، 2009 .

ـ أحمد سعيد عمر: عبد الله دان فودي رائد الأدب و العلوم في غرب إفريقيا،ب ط ،الخرطوم، جامعة إفريقيا العلمية، 2002.

ـ أحمد مُحَمَّد كاني: الجهاد الاسلامي في غرب افريقيا، ورقة ثقافية 7، الزهراء للإعلام العربي، مركز بحث تاريخ شمال نيجيريا زاريا، ط1986/08/2.

ـ أحمد مُحَمَّد كاني: ضياء السياسات وفتاوى النوازل،ط01، دار الزهراء للاعلام العربي، 1988.

ـ آدم عبد الله الألوري : الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا، ط1، مطبعة مصطفى البابي الجلبي، مصر 1974.

ـ آدم عبدالله الألوري: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني ،ط01، مكتبة الاسكندرية ، مصر ،2014.

ـ آدي آجابي ج. ف. وآخرون : تاريخ إفريقيا العام، المجلد السادس (القرن التاسع عشر في إفريقيا حتى ثمانينات، اليونسكو، مطبعة حسيب درغام وأولاده، المكلس، لبنان، 1996.

. اسبر أمين: إفريقيا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، ط1، دار دمشق، دمشق، 1985.

. الدالي الهادي المبروك : أدب إفريقيا فيما وراء الصحراء، ط1، دار صنين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1996.

. الدالي الهادي المبروك : التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1999م.

. الدالي الهادي المبروك : العلاقات بين مملكة مالي الإسلامية وأهم المراكز بالشمال الإفريقي من ق 13م إلى ق 15م، مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء، طرابلس، ليبيا، بدون تاريخ.

. السر أحمد العراقي : نظام الحكم في الخلافة الصكتية ،ط01، دار النشر كلية الدراسات العليا، الخرطوم، سنة 1983.

. السير توماس أرنو لد: الدعوة إلى الإسلام (بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية)، ترجمه إلى العربية وعلق عليه د حسن إبراهيم حسن ود عبد المجيد عابدين وإسماعيل النحراوي، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1957.

. الشكري أحمد : الذاكرة الإفريقية في أفق التدوين إلى غاية القرن 18م (نموذج بلاد السودان)، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، جامعة مُحَمَّد الخامس، الرباط، 2010.

. الطيب عبد الرحيم مُحَمَّد الفلاتي : الفلاته في أفريقيا ومساهمتهم الإسلامية والتنموية في السودان، ط1، دار الكتاب الحديث، الكويت، 1994.

. الكسنمي الطوبوي عبد القادر : كتاب البشرى شرح المرقاة الكبرى، مطبعة المنار، تونس، 1373هـ.

. المحيشي عبد القادر مصطفى والغريري عبد العباس فضيخ والصالحي سعدية : جغرافية القارة الإفريقية وجزرها، ط1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، 2000.

. أنور عبد العالي العقاد: الوجيز في القارة الإفريقية، الرياض، دار المريخ، (د.ت).

. بانيكار مادهو : الوثنية والإسلام تاريخ الإمبراطورية الزنجية في غرب إفريقية، ترجمه وعلق عليه وحققه على مراجعه العربية أحمد فؤاد بليغ، ط2، المجلس الأعلى للثقافة، طبع الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، د م ن ، 1998.

. بخاري حمودة إصلاح مُحَمَّد: انتشار الإسلام و الثقافة العربية في إفريقيا ما رواء الصحراء تنبكت غدامس نموذجا (7-11هـ)(13-17م)، ط1 مطابع الوحدة العربية، الزاوية، ليبيا، 2004.

. بشار الملاح: التحولات التي أحدثها الإسلام في المجتمع الإفريقي من القرن5-9هـ/11-15م دار المنهل،2003.

. بواهن آدو وآخرون: تاريخ أفريقيا العام، المجلد السابع، أفريقيا في ظل السيطرة الاستعمارية 1880/ 1935، (صدر عن اليونسكو)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، 1990.

. بوعزيز يحي : تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من القرن16 على القرن 20، دار هومه، الجزائر،2001م.

ـ بول مارتي :كنتة الشرقيون، ترجمة، مُحَّد محمود ولد دادي، مطبعة زيد بن ثابت (د.ط) دمشق،1985.

. جودة حسين جودة : جغرافية إفريقيا الإقليمية ،دار النهضة العربية ،بيروت ،1981.

. جوزيف كي زاربو، تاريخ أفريقيا السوداء، ترجمة يوسف شلب الشام، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1994.

. حسن ابراهيم حسن: اثر الفلاتي على انتشار الاسلام في إفريقيا، القاهرة، مطبعة النهضة المصرية، 1964.

ـ حسن ابراهيم حسن: انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، ط2، مكتبة النهضة العربية، القاهرة،1948.

. حسن عيسى عبد الظاهر: الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفولاني من مطلع القرن التاسع عشر ميلادي ، جامعة الإمام مُحَّد بن سعود الاسلامي ، المملكة العربية السعودية 1981م.

. حمد فاضل علي باري و سعيد ابراهيم كريدية: المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة ، دار الكتب العلمية ،بيروت،2007.

ـ خالد علي عبد القادر: انتشار الاسلام في إمارات الهوسا بالنيجر ونيجيريا وأثره على الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 2014.

. دنيس بولم: الحضارات الإفريقية، ترجمة علي شاهين، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1974.

. زاهر رياض: الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1968.

. زاهر رياض: الممالك الاسلامية لغرب إفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء، ب.ط، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1968.

. زبادية عبد القادر : الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا جنوب الصحراء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ت ن.

. زبادية عبد القادر : دراسات عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010.

. زبادية عبد القادر : مملكة سنغاي في عهد الأسقيين، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1971م.

. زكريا قاسم جمال : الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996.

. سعودي مُحَمَّد عبد الغني : قضايا إفريقيا، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1980.

. سعودي مُحَمَّد عبد الغني سعوديّ: افريقية، دراسة في شخصية القارة وشخصية الإقليم،مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة 1983.

. شقرون مُحَمَّد : الإسلام الأسود، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 2007.

. شلبي أحمد : المجتمع الإسلامي(أسس تكوينه . أسباب ضعفه . وسائل نهضته)، ط8، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1994م.

ـ شيخو أحمد سعيد بلادنت: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجريا ، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ.

. طاهر أحمد : أفريقيا فصول من الماضي والحاضر، دار المعارف، القاهرة، دت.

. عبد الرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا، مطبعة يوسف ،القاهرة،(ب.د.ت) .

. عبدالرحمن عمر الماحي : الدعوة الإسلامية في إفريقيا الواقع والمستقبل ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،سنة 1992.

. عبد الرحمن عمر الماحي: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال، الهيئة المصرية العامة للكتب، ط1، القاهرة 1982.

. عبد القادر زبادية : الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا جنوب الصحراء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

. عبد القادر زبادية: دراسات عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ب.ط، ب.س.

ـ عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الأسقيين، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1971.

ـ عبد الله الحمادي الإدريسي :الإمام مُحَّد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني المتدين وتصديه للخطر اليهودي بصحراء توات والصقع السوداني، دار الابتكار، تلمسان، 2011.

. عبد الله عبد الرزاق ابراهيم المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا، عالم المعرفة، الكويت، 1989.

. عبد الله عبدالرزاق إبراهيم: المسلمون والاستعمار الأوربي لأفريقيا، عالم المعرفة، سلسلة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989.

. عبد الله عبد الرزاق إبراهيم:الإسلام والحضارة الإسلامية في نيجيريا، ب ط، مكتبة الأنجلو المصرية، بدون تاريخ.

. عبد الله عبد الماجد إبراهيم: الغرابة في أخبار الجماعات التي هاجرت من غرب إفريقيا واستوطنت السودان وادي النيل ودورهم في تكوين الهوية السودانية، دار الحاوي، د مكان،ط01ط،1998.

.عبد المجيد إبراهيم عبد الله : الغرابة الجماعات التي هاجرت من غرب إفريقيا واستوطنت سودان وادي النيل ودورهم في تكوين الهوية السودانية، ط1، دار الحاوي للطباعة والتوزيع والنشر، 1998.

. علي أيوب ناجي: لمحات عن الاسلام في نيجيريا بين الأمس واليوم ،دار الكتاب الحديث، ب.ط، ب.ط.

. غيث أحمد مطير سعد : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي خلال القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة السادس عشر والسابع عشر للميلاد، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2004.

. فيج جي دي : تاريخ غرب إفريقيا، ترجمة يوسف نصر، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1982.

. فيصل مُحَّد موسي: موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ،بنغازي منشورات الجامعة المفتوحة،1997.

. قداح نعيم : حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربية، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975م.

. كام جوزيف : المكتشفون في إفريقيا، ترجمة يوسف نصر، دار المعارف، القاهرة، 1983م.

. كرفجال مارمول (ت ق 10هـ/16م) : إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية، مُحَمَّد حجي وآخرون، 3 أجزاء، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، 1984.

. كعت محمود (ت 1002هـ/1593م) : تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، نشر هوداس، باريس، 1964.

. لويد بيتر : إفريقيا في عصر التحول الاجتماعي، ترجمة شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، رقم 28، ابريل 1980.

. ليون الإفريقي الحسن ابن مُحَمَّد الوازان (ت957هـ/1550م): وصف إفريقيا، ترجمة مُحَمَّد حاجي، ومُحَمَّد الأخضر، جزآن، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م.

. مبارك جعفري: مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، دار الكتاب العربي،الجزائر، سنة 2016.

. مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد السكاكر: دعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن فودي ، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1998.

. مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد السكاكر: مُحَمَّد بل والدولة الصكتية في عهده 1232هـ-1235هـ/1817م-1837م، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود، الرياض،2000.

. مُحَمَّد علي ذهنى إلهام : جهاد المماليك الإسلامية في غرب أفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي (1850 . 1914م)، دار المريخ للشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1988م.

. منقة مُحَمَّد الأمين : اللغة العربية واللغات الإفريقية الأخرى، سلسلة محاضرات 30، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، جامعة مُحَمَّد الخامس، الرباط، 2006.

. مهدي رزق الله أحمد: حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقيا قبل الإستعمار وآثارها الحضارية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط01، سنة 1998.

. ميقا أبو بكر إسماعيل : الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي من 400هـ إلى 1100هـ، ط1، مكتبة التوبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997م.

. نبيلة حسن مُحَمَّد:في تاريخ إفريقية الإسلامية انتشار في السودان الغربي، دار المعرفة الجامعية،2007.

. نياني ج .ت وآخرون : تاريخ إفريقيا العام، المجلد الرابع (إفريقيا من ق 12 إلى ق 16) اليونسكو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1988م.

. هوبكنز أ. ج : التاريخ الاقتصادي لأفريقيا الغربية، ترجمة احمد فؤاد بليع، طبع الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، د م ن، 1998.

. يحي جلال : تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999م.

ثالثا: المصادر والمراجع باللغة الأجنبية

Basil Dvidson : L afrique ancienne ,Français maspero , Paris,1978

. H.De Schamps ,A History of Islam in west Africa ,London.. .

Paul Lovejoy : Plantatioons in the Economy of the Sokoto Caliphate,Vol,19,No,3 Cambridge University Press,1978 .

TRIMINGHAM.J.S :AHISTORY OF Islamic west africa London

. Hogben,S.J.Antruduction to history of the islamic states of noryherannigeria ,Oscford University ,press ,1967.

Abba Idris . Reinventing Islamic Civilization in the Sudanic . Belt ,The Role of sheikh Usman Dan Fodio ,Volum 4 ,No.6,Journal of Modern Educaction,Review,USA ,2014

. Hiskett :Material Relating to the state of learning among the fulani before thvire jichod.Bso ASXIX.1957

_AlfredLe Chatelier(1855-1929) **:** L'islam dans l'Afrique occidentale, G Steinheil éditeur, Paris, 1899.

_ Aziz A. Batran : The Qadiryya Brotherhood In West Africa and The Western Sahara, publication de L’institut des etudes African, Rabat, 2001.

_ Joseph ki-zerbo: histoire de l'Afrique noire d’hier à demain, Paris,1972.

_ Raymond Mauny: Tableau geographique de l'Ouest Africain au moyen-Ages, Dakar, 1961.

_Balogun.I.A.B :the life and works of ulthhmond an fodio ,Islamic pabication bureau ,Lagos,1975.

BroKel Mann Histoire des peuples et des état jslamique de puis les origines jusqu' anos jors.payot.paris 1949.

-Clapperton and Oters : Narrative Of Travels And Discoveries In Northern And Central Africa, 1822-1824,London ,1926

Harold Nelson : Chad a Country Study, First edition, Warchiongton,1972 .

Henribarth :Travelinnorthand Central Africa,3vol,london,1965.

Ibraheem Sulaiman Arevolution in History ,The Jihad of Usman Dan Fodio,Mansell Publishing limited,London.

Jean Cloud Zeltner: Pages d'histoire du Kanem pays Tchadien ; Edition l'Haomattan ;Paris ;1980.

Kami.A.M the political and soaal basis of thesokoto jihad. Seminor pobers of department of vistory.Ahmadu Bello university Zarid 1981

M.HisKett : the sword of Truth. The life and times of the shehu lisuman Dan Fodio.ocford lini press.Oscford.1973 .

public oxford.university press ,london,1970.

Robert Cornevin: Histoire de l'Afrique, Imprimerie Bussière (Cher), France,1962.

رابعا القواميس والأطالس والموسوعات والفهارس:

. بواهن آدو وآخرون : تاريخ إفريقيا العام مجلد 4،صدر عن اليونسكو، المطبعة الكاثوليكية ،بيروت ،لبنان ،1990.

. أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ج6، ط7، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، سنة 1986 م .

ـالحموي ياقوت بن عبد الله شهاب الدين أبو عبد الله الرومي البغدادي (ت626هـ /1228م): معجم البلدان، دار صادر بيروت، لبنان، 1977.

. الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي (المجلد الثاني عشر إقليم غرب إفريقيا أ)، ط1، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1999م.

. جودة حسن جودة: جغرافية إفريقيا الإقليمية، الإسكندرية، المكتب الجامعي، 1998.

. دافيد ليفنسكي : دور الصحراء الكبرى وأهل الصحراء في العلاقات بين الشمال والجنوب (موسوعة تاريخ افريقيا العالم اليونسكو، ج3.

. شوقي عطا الله الجمل، رجب مُحَمَّد عبد الحليم وآخرون: الموسوعة الإفريقية لمحات من تاريخ القارة الإفريقية، مج الثاني، جامعة القاهرة، ب.ط، 1997 .

. علي موسى: جغرافية العالم الإقليمية ، دار الفكر، دمشق،1971.

. ماكيقيدي كولين : أطلس التاريخ الإفريقي، ترجمة مختار السويفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987م.

. مؤنس حسين: أطلس تاريخ الإسلام، الطبعة الأولى، الزهراء للأعلام العربي، القاهرة 1987م.

خامسا الرسائل والأطاريح الجامعية:

. الخذراوي عبد العاطي أبو العيد : الناسخ و المنسوخ عند عبد الله بن فودي من خلال تفسيره ضياء التأويل و معاني التنزيل، رسالة ماجستير، أ ، عبد الرحيم مُحَمَّد ، قسم الشريعة الإسلامية، دار العلوم ، جامعة آلمينا 2012/2010م

. العربي حجيلة : مملكة كانم برنو في عهد السلطان إدريس ألوما،رسالة ماجستير، اشراف صابر خالد شريف،جامعة الجزائر 2،سنة 2014.

ـأموكي عبد السلام،: منهج عثمان بن فودي في التفسير، ماجستير في القرآن الكريم و علومه، خالد نبوي سليمان جحاح، قسم القرآن الكريم و علومه، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية ماليزيا، 2013م- 1434هـ.

. بوبكي سكينة: الحركة العلمية بالهوسا في السودان الغربي خلال القرن19م، رسالة ماجستير، إشراف د عبد المجيد نعيمة،قسم الحضارة الاسلامية،جامعة وهران،2010/2009.

. جاجوا حسين: حركة الحاج عمر الفوتي في السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر، رسالة ماجستير، إشراف الدكتور أبو القاسم سعد الله، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، السنة 1994.

. حسن علي ابراهيم الشيخي:تأثير الإسلام وثقافته في السودان الغربي منذ ق11م الى نهاية ق16م،أطروحة دكتوراه،إشراف مُحَمَّد علي مُحَمَّد الطيب، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية،كلية الآداب جامعة أم درمان الاسلامية،2009.

. عومار عطية: الشيخ عثمان بن فودي وحركته الاصلاحية جذورها وتأثيراتها على غرب إفريقيا (1754م-1817م/1168ه/1233ه) رسالة ماجستير،إشراف مُحَمَّد حوتيه،قسم العلوم الانسانية،جامعة غرداية،2016/2015م.

. مُحَمَّد المنصور ابراهيم: الجامع الحاوي لعثمان بن فودي،دراسة وتحقيق،أطروحة دكتوراة،اشراف د.مُحَمَّد مودي شوني،قسم الدراسات االاسلامية،جامعة عثمان بن فودي،سكوتو،2008.

. مختار عبد الرحمن : أثر ابن فودي في انتشار الاسلام في نيجيريا، رسالة ماجيستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 1977.

. مسعود خالدي: الجاليات العربية والبربرية في إفريقيا جنوب الصحراء بين ق11م و16م أطروحة دكتوراه علوم، غير منشورة إشراف مسعود مزهودي، جامعة الأمير عبد القادرسنة2008-2009.

. مسعود خالدي: وسائل انتشار الاسلام في السودان الأوسط من القرن 01ه الى القرن 05ه . 07م/11م،رسالة ماجستيركلية الاداب والحضارة الاسلامية،جامعة الأمير عبدالقادر قسنطينة،إشراف د يوسف مرهودي،2000م.

. مصباح الدين جنيد: الشيخ عثمان بن فودي وعقيدته على ضوء الكتاب والسنة،رسالة ماجستير،إشراف د.سليمان دنيا،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية،جامعة أم القرى، 1982م.

. مقاديم عبد الحميد: المدارس العلمية ودورها السياسي والثقافي في السودان الغربي (مالي ،سنغاي) ق7-10ه/13-16م، أطروحة دكتوراه،إشراف د.بن نعيمة عبد المجيد،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية،جامعة وهران،2018/2017.

بوسكين ناهد: الحركة العلمية في بلاد السودان الأوسط وأثرها في الحياة الإجتماعية من القرن 5ه-10ه/11م-16م،مذكرة ماجستير،إشراف د.عابد يوسف،كلية الأداب والحضارة الاسلامية، جامعة الأمير عبدالقادر،2012م/2013م.

سادسا المجلات والدوريات:

. سر الختم سيد أحمد: ملامح تطور الحضارة الاسلامية في بلاد السودان الأوسط والغربي، مجلة بيادر،دار المنظومة، ع 12،السعودية، 1994.

. مصطفى أنجاي: من كانم إلى صوكوتو موجز التاريخ السياسي للسودان الأوسط، مجلة قراءات تاريخية العدد35،يناير

. منيرة أبو منقة مُحَمَّد: الشيخ عبد الله بن فودي و وصفه لمعارك الجهاد في بلاد الهوسا، دراسات افريقية ، مجلة بحوث نصف سنوية، جامعة افريقيا العالمية، العدد الثامن و العشرون، 18 ديسمبر 2002 م، شوال 1423هـ.

ـ أحمد عمر عبيد الله: الاسلام في نيجيريا، مجلة رسالة الجهاد،العدد 89 ليبيا، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان،مارس 1990.

. أدم علي أبو البشر: الشيخ عبد الله بن فودي لمحات من أثره العلمية، دراسات افريقية ، مجلة بحوث نصف سنوية ،جامعة افريقيا العالمية ، العدد الرابع و العشرون، ديسمبر 2000م، رمضان 1421هـ .

. أسامة عبدالله مُحَمَّد الأمين:حركة الشيخ عثمان بن فودي الإصلاحية في غرب أفريقيا 1754-1817م،مجلة كان التاريخية ،العدد26،ديسمبر 2014.

. عبد العلي الودغيري : ملامح من التأثير المغربيّ في الحركة الإصلاحية للشيخ المجدّد عثمان بن فُودي،[مقال على الخط]، مجلة التاريخ العربي، مجلة علمية محكمة تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة، عدد 11، صيف 1999،

. علي يعقوبي: الفولانيين الشعب واللغة، مجلة قراءات إفريقيا، ع24، المنتدى الاسلامي، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2015.

. غانم بودن:حركة عثمان بن فوديو الإصلاحية في غرب إفريقيا، مجلة التراث، جامعة الجلفة،العدد24.

. فايزي عبد الكريم : الأعمال الإصلاحية للإمام المغيلي بالسودان الغربي وتأثيرها ،مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية ،مركز جيل البحث العلمي ،الجزائر ،العدد 25،نوفمبر 2016.

سابعا الملتقيات والندوات:

. أحمد عمر عبيد الله: الأسس التربوية لحركة التجديد عند الشيخ عثمان بن فودي، بحوث الندوة العالمية حول السيخ عثمان بن فودي، الخرطوم، جامعة إفريقيا العالمية، 1996.

. أحمد عمر سعيد و عبد القيوم عبد الحليم الحسن : البحوث الندوة العالمية شيخ عثمان بن فودي ، جامعة إفريقيا العالمية و ومنظمة الأسيسكو، 1996م.

. ادم مُحَمَّد عمر، الاستثمار في اللغة العربية و مستقبلها الوطني و العربي و الدولي ، المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية، كلية كدونا للفنون التطبيقية ، نيجيريا : قسم اللغات (شعبة اللغة العربية) ، 07-10 ماي 2014.

. الطيب عبد الرحيم مُحَمَّد الفلاتي: الفوديون ومقاومة الاستكبار في غرب إفريقيا والسودان، ، بحوث الندوة العالمية حول السيخ عثمان بن فودي، الخرطوم، جامعة إفريقيا العالمية،1996.

. بهيجة الشاذلى : مكونات الفكر السياسي عند عثمان بن فودي ،بحوث الندوة العالمية حول الشيخ عثمان بن فودي ،جامعة إفريقيا العالمية ،الخرطوم،1996.

ـ حاج أبا أدم الحاج: ورقة بعنوان أثار الثقافة الاسلامية على الثقافة الإفريقية، دراسة حالة مردود الثقافة الإفريقية غرب افريقيا، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، 2011.

ـ حسن مكي مُحَمَّد:مكانة الشيخ عثمان بن فودي بين رجال الفكر والدعوة، بحوث الندوة العالمية جامعة الخرطوم، سنة 1996.

. حمد أحمد الحاج :الشيخ عثمان بن فودي والحضارة الإسلامية في الإقليم الشمالي لجمهورية نيجيريا الإتحادية ،ندوة العلماء الأفارقة.

. مُحَمَّد بيلو إدريس: حالة المخطوطات العربية والمكتوبة بالحرف العربي في دار الوثائق بولاية سوكوتو النيجيرية،الملتقى الدولي للمخطوطات،جامعة أدرار،من02الى03مارس2015.

. مُحَمَّد مي أبو بكر: أثر اللغة العربية في شعوب شمالي نيجيريا دراسة مسحية نحو اكتشاف آفاق جديدة للاستثمار،المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية، دبي، من 07الى10ماي 2014.

الفهارس

1/ فهرس القبائل والأعلام.

أبابكر132 ,

أبالحامد132 ,

ابراهيم ,57 ,56 ,55 ,54 ,38 ,35 ,34 ,33 ,32 ,28 ,17 ,11 ,8 ,
59, 70, 73, 75, 76, 80, 85, 86, 87, 88, 89, 95, 111,
113, 121, 124, 126, 127, 131, 132, 133, 134, 136,
138, 144, 145, 148, 149, 154, 161, 163, 164, 213,
215, 216, 217, 218, 219, 220, 225

إبراهيم البرنوي95 ,

إبراهيم المنداري95 ,

إبراهيم زاكي132 ,

أبرهة الحبشي34 ,

ابلال31 ,

ابن أجروم161 ,

ابن الجوزي213 ,16 ,

ابن بطوطة213 ,55 ,17 ,

ابن حوقل213 ,40 ,27 ,17 ,16 ,

ابن خلدون213 ,126 ,75 ,27 ,18 ,17 ,16 ,

ابن خلكان46 ,

ابن عبد الحكم37 ,

ابن عبد الكريم36 ,

ابن عذاري213 ,35 ,

ابن منظور49 ,29 ,17 ,

ابن هشام213 ,34 ,
أبو المهاجر دينار35 ,
أبو بكر بن الحاج عثمان96 ,
أبو بكر بن عمر اللمتوني92 ,
أبو بكر عمر91 ,
أبو عبد الرحمان مصطفى التوردي98 ,
أبوبكر العتيق150 ,
أبوبكر فلات54 ,
أبي الحسن علي58 ,47 ,
أبي علي الحسن بن مسعود64 ,
أحمد أبن حنبل97 ,
أحمد بن أبي بكر بن عمر95 ,
أحمد بن سعد97 ,
احمد بن علي بن دونمتى89 ,
أحمد بن مُحَمَّد بن الأمين58 ,
أداما132 ,
إدريس ألوما225 ,48 ,27 ,
إدريس بن عائشة48 ,
إرفوي26 ,
إسحاق213 ,132 ,94 ,
أسكيا مُحَمَّد37 ,
أسماء98 ,65 ,30 ,
الإبالة31 ,

الأخشيديون36 ,
الإدريسي220 ,213 ,56 ,27 ,10 ,
الأسكيا مُحَمَّد بن أبي بكر121 ,70 ,
الأفارقة ,81 ,75 ,73 ,51 ,45 ,41 ,40 ,39 ,38 ,35 ,34 ,18 ,17 ,
84, 124, 126, 169, 228
الأمازيغ35 ,
الإمام مالك169 ,136 ,63 ,36 ,
الأمويين37 ,
الإنكليز18 ,
الأوربيون36 ,18 ,4 ,
الأوروبيون128 ,77 ,32 ,19 ,
البربر115 ,49 ,32 ,
البرتلي213 ,18 ,17 ,
البكري213 ,42 ,37 ,27 ,17 ,10 ,
البلاذري213 ,35 ,
البولالا89 ,48 ,32 ,31 ,
البيزنطيين35 ,
التبو40 ,28 ,24 ,
التنبو32 ,
التور54 ,
التوردب92 ,90 ,
التونسي214 ,27 ,
التيدا40 ,29 ,28 ,

التيو20 ,
الجاحظ214 ,16 ,
الجعفريون55 ,
الحاج مُحَمَّد بن رابح95 ,58 ,
الحاميين30 ,
الحريري161 ,95 ,
الحسن الوزان42 ,37 ,10 ,
الحموي214 ,27 ,18 ,
الدانكمالي146 ,
الدكاكير31 ,
الرسول صلى الله عليه160 ,137 ,134 ,113 ,79 ,34 ,
الروم55 ,54 ,30 ,
الرومان35 ,
الزغاوة47 ,37 ,27 ,
الزنجية218 ,124 ,73 ,27 ,26 ,11 ,
الزنوج124 ,73 ,18 ,
السامي30 ,
الساو28 ,26 ,
الساوة26 ,
السلامات31 ,
السلطان جيمي45 ,
السنغاي20 ,19 ,
السيفيين48 ,37 ,

الشامخي43 ,

الشوا31 ,

الشيخ أحمد الكنتي الكبير127 ,76 ,

الشيخ المختار الكنتي الكبير127 ,76 ,

الشيخ جبريل170 ,97 ,96 ,81 ,58 ,

الشيخ عمرو112 ,

الشيخ مُحَمَّد المقروري97 ,

الصو48 ,26 ,

الطبري214 ,34 ,16 ,

الطوارق148 ,140 ,136 ,133 ,115 ,114 ,31 ,20 ,

العباسين37 ,

العرب ,39 ,34 ,33 ,32 ,29 ,28 ,27 ,26 ,19 ,18 ,17 ,12 ,10 ,
40, 41, 42, 46, 49, 55, 59, 83, 137, 214, 219, 220

العمانيون33 ,

الفاطميون36 ,

الفلاتة176 ,153 ,151 ,54 ,31 ,30 ,

الفلاني217 ,172 ,156 ,63 ,61 ,60 ,59 ,57 ,55 ,54 ,30 ,

الفولا53 ,30 ,

الفولاني ,125 ,122 ,108 ,74 ,71 ,53 ,51 ,40 ,30 ,22 ,18 ,1 ,
136, 148, 157, 161, 218

الفولانيين227 ,160 ,76 ,30 ,

الفولب30 ,

القزويني214 ,18 ,17 ,

القلقشندى17 ,
القلقشندي40 ,36 ,11 ,
الكانبمو31 ,
الكانمبو29 ,28 ,
الكانوري136 ,47 ,28 ,
الكتشر32 ,
الكفار129 ,118 ,115 ,105 ,87 ,86 ,81 ,68 ,65 ,17 ,
الكوتوكو27 ,
المانغا27 ,
الماي أو مي عبد الجليل43 ,
المرتضى59 ,
المسعودي214 ,47 ,46 ,17 ,16 ,
المسلمين ,67 ,66 ,60 ,55 ,53 ,45 ,42 ,37 ,35 ,34 ,33 ,16 ,9 ,
73, 86, 87, 88, 113, 115, 117, 124, 134, 135, 139,
141, 142, 143, 144, 147, 154, 170, 171
المشارقة18 ,
المصريين42 ,
المنصور الذهبي121 ,70 ,
المؤرخين227 ,136 ,46 ,38 ,29 ,27 ,18 ,12 ,
النجاشي34 ,
الهكسوس26 ,
الهلالية40 ,

الهوسا ,62 ,59 ,56 ,55 ,49 ,42 ,37 ,29 ,28 ,21 ,20 ,9 ,3 ,1 ,
65, 70, 71, 72, 74, 77, 89, 91, 92, 102, 109, 110,
111, 118, 121, 122, 123, 125, 128, 131, 136, 144,
156, 158, 166, 171, 176, 219, 226
الوندال35 ,
الونغريين37 ,
اليعقوبي27 ,
اليهود90 ,
أم هاني79 ,
آمنة بنت زكزك121 ,70 ,
أولاد راشد31 ,
أويس القرني115 ,
باجي سركين37 ,
بارث55 ,
بازل دافيد سون36 ,
باوا155 ,84 ,83 ,61 ,
بج منقو54 ,
بدور82 ,
بربرية32 ,27 ,
برمندانا54 ,
بنو عال56 ,
بنو موسى56 ,
بني إسرائيل30 ,

بوبابرو132 ,
بول مارتي218 ,30 ,
بيدو الكبوى57 ,
ترمنجهام30 ,19 ,12 ,
ترمينقهام38 ,
تميم54 ,
توردب92 ,
تورو56 ,54 ,
توماس أرنو لد217 ,124 ,
توماس أرنولد73 ,43 ,42 ,11 ,
توماس أورنولد35 ,
ثنب بن الشيخ عبد الله58 ,
جاتاو125 ,74 ,
جبريل بن عمر170 ,97 ,95 ,58 ,
جذام40 ,
جعفر بن أبي طالب55 ,
جليل سكويتمي32 ,
جهينة53 ,31 ,
حامية26 ,1 ,
حسن ابراهيم حسن ,124 ,121 ,113 ,80 ,76 ,75 ,70 ,59 ,35 ,11 ,
126, 127, 217, 218
حسين مؤنس29 ,27 ,19 ,
خزام31 ,

خليل214 ,161 ,112 ,58 ,30 ,27 ,
داجما132 ,
دوناما بن هومه39 ,37 ,
دوناماويلا32 ,
دونما بن سلما48 ,
دونمة بن أوم48 ,47 ,
دونمة بن هيوم48 ,
زنجية26 ,
زواغة27 ,
سامية26 ,
سجلمان30 ,
سعد بن عبد الرحمان98 ,
سليمان بن أبجم132 ,
سنغاي226 ,220 ,219 ,125 ,121 ,74 ,70 ,43 ,20 ,19 ,
عال159 ,95 ,91 ,90 ,58 ,56 ,
عبد الرحمان بن مُحَمَّد95 ,
عبد السلام225 ,144 ,85 ,16 ,
عبد القادر بن مصطفى104 ,
عبد الله بن الحاج الحسن95 ,
عبد الله بن فودي 90, 89, 88, 87, 82, 80, 64, 57, 9, 8, 7, 2, ,
92, 93, 94, 95, 96, 97, 98, 101, 103, 105, 106, 107,
108, 117, 119, 132, 136, 137, 138, 139, 141, 144,

147, 148, 152, 161, 169, 170, 171, 172, 225, 226,
227, 238, 240
عبدا لقادر الجيلاني127 ,76 ,
عبدالرحمان بن حمدا58 ,
عثمان بن عفان35 ,34 ,
عثمان بن فودي ,51 ,49 ,37 ,16 ,11 ,10 ,9 ,8 ,7 ,6 ,5 ,2 ,1 ,
53, 54, 56, 57, 59, 60, 61, 62, 63, 64, 65, 66, 67, 68,
69, 70, 71, 74, 76, 77, 78, 80, 81, 82, 83, 84, 85, 86,
87, 88, 89, 90, 92, 95, 96, 97, 98, 105, 106, 107,
108, 110, 113, 115, 118, 119, 122, 125, 127, 128,
129, 130, 131, 133, 134, 135, 136, 137, 139, 140,
141, 142, 144, 145, 146, 148, 150, 151, 152, 153,
154, 155, 156, 157, 158, 159, 160, 161, 162, 165,
166, 169, 170, 171, 172, 176, 179, 214, 215, 216,
217, 221, 225, 226, 227, 228, 238, 240
عقبة بن نافع92 ,55 ,54 ,39 ,35 ,30 ,
عقبة بن نافع الفهري92 ,35 ,30 ,
على غردو54 ,
علي بن يخلف النفوسي43 ,
علي تجبو96 ,
عمر الكامو141 ,
عمر بن الخطاب123 ,105 ,73 ,35 ,
عمر دردو54 ,

عمر دلاج132 ,
عمرو بن العاص123 ,92 ,73 ,35 ,
غداد بن ليم147 ,145 ,
فاطمة شلفو55 ,54 ,
قبائل ,43 ,40 ,32 ,31 ,30 ,29 ,28 ,27 ,26 ,24 ,22 ,20 ,1 ,
47, 48, 49, 55, 56, 71, 89, 90, 111, 122, 136, 148,
151, 172
قريش34 ,
كاناجم132 ,
كسيلة36 ,
كلابارتون113 ,12 ,
كنتة218 ,30 ,
كوتوكو26 ,
كوش بن كنعان46 ,
كويلاند بالجبران33 ,
لعبد الله بن أبي سرح35 ,
لمحي الدين ابن العربي64 ,
لوبيف26 ,
مالم مصطفى147 ,
مبيجوه148 ,
مُحَمَّد الأمين الكانمي89 ,
مُحَمَّد الباقري140 ,114 ,
مُحَمَّد البخاري98 ,

مُحَمَّد الحاج أمين132 ,
مُحَمَّد بن جبل بن عبد الله39 ,37 ,
مُحَمَّد بن سعد56 ,
مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي ,169 ,123 ,81 ,76 ,72 ,64 ,59 ,56 ,1 ,
220
مُحَمَّد بن عبد الوهاب ,127 ,125 ,76 ,74 ,68 ,66 ,65 ,64 ,60 ,8 ,
129, 221
مُحَمَّد بن عثمان92 ,91 ,63 ,56 ,
مُحَمَّد بن ماني43 ,
مُحَمَّد بن مُحَمَّد213 ,95 ,93 ,
مُحَمَّد بيلو ,79 ,71 ,70 ,69 ,67 ,64 ,63 ,62 ,61 ,30 ,7 ,5 ,2 ,
88, 89, 92, 107, 108, 109, 110, 111, 112, 113, 114,
118, 119, 121, 122, 129, 137, 138, 139, 140, 141,
144, 145, 146, 147, 148, 150, 151, 152, 154, 155,
159, 161, 162, 163, 165, 171, 215, 238, 240
مُحَمَّد جال147 ,
مُحَمَّد دمك56 ,
مُحَمَّد سعد98 ,
مُحَمَّد سمبو الكلوى53 ,
مُحَمَّد سنب بن عبد الرحمان95 ,
مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم64 ,
مُحَمَّد فلان54 ,
مُحَمَّد ماجنا132 ,

مُحَمَّد مرتضى الحسيني96 ,
مُحَمَّد موجي بن عبد الرحمان95 ,
مُحَمَّد نيما132 ,
مُحَمَّد وابي132 ,
محمود الزنفري الطوي95 ,
مرتضي الزبيدي97 ,
مريم بنت جبريل91 ,
مصطفى القوني106 ,
مصطفي بن الحاج عثمان95 ,
موسى132 ,131 ,91 ,56 ,55 ,49 ,35 ,28 ,24 ,
موسى بن نصير35 ,
موسى جوكلو56 ,55 ,
مولاي سليمان113 ,
مويوجو132 ,
نافاتا85 ,84 ,
نفاتا61 ,
نوح47 ,46 ,
هاشم الونفري58 ,
هنري بارث28 ,12 ,
هوبير ديشان38 ,
هومة جيلمه39 ,
هومية جيلمة47 ,
وسلي31 ,

ياقوت الحموي18 ,
يعقوب215 ,153 ,144 ,132 ,131 ,50 ,10 ,
يونفا150 ,89 ,87 ,86 ,85 ,62 ,

2/ فهرس الأماكن والبلدان:

أدغاغ18 ,
أدماوا139 ,
أغادس59 ,
أغدس58 ,
إفريقيا 23, 22, 21, 20, 19, 18, 17, 11, 10, 8, 4, 3, 2, 1,
24, 26, 27, 28, 29, 30, 31, 32, 33, 34, 35, 36, 37, 38,
39, 40, 41, 42, 45, 46, 47, 48, 49, 50, 53, 54, 55, 56,
57, 58, 59, 60, 63, 67, 68, 71, 72, 73, 74, 75, 76, 77,
78, 79, 80, 81, 82, 83, 84, 85, 86,님87, 89, 90, 91,
92, 97, 100, 119, 123, 124, 125, 126, 127, 128, 129,
131, 134, 135, 136, 138, 139, 140, 141, 142, 143,
144, 147, 151, 157, 158, 159, 160, 161, 162, 163,
164, 165, 167, 168, 170, 171, 172, 173, 177, 178,
179, 180, 181, 182, 195, 221, 222, 223, 224, 225,
226, 227, 228, 230, 231, 232, 233, 234, 257
إفريقيا الغربية18 ,
اقليم برنو138 ,48 ,
الإمارات الوثنية53 ,
البجة16 ,

البحر الأحمر41 ,33 ,19 ,
البلاد العربية35 ,
التكرور ,80 ,71 ,70 ,69 ,67 ,63 ,61 ,56 ,43 ,30 ,18 ,17 ,9 ,
82, 116, 118, 119, 122, 131, 135, 137, 144, 147,
148, 158, 161, 166, 168, 219, 221
الحبشة34 ,30 ,17 ,1 ,
الحجاز249 ,97 ,59 ,31 ,
الدار فور27 ,
الزغاوة47 ,37 ,27 ,
الزنج177 ,16 ,
السند144 ,98 ,59 ,16 ,
السودان ,21 ,20 ,19 ,18 ,17 ,16 ,11 ,10 ,8 ,6 ,5 ,3 ,2 ,1 ,
22, 23, 24, 26, 27, 29, 30, 31, 32, 33, 36, 37, 40, 42,
43, 45, 46, 48, 49, 51, 54, 55, 60, 62, 63, 64, 66, 67,
70, 71, 72, 73, 75, 76, 77, 78, 79, 81, 82, 87, 89, 96,
100, 102, 105, 107, 119, 122, 123, 124, 125, 127,
128, 129, 130, 131, 133, 135, 139, 145, 158, 160,
163, 167, 171, 172, 175, 179, 180, 182, 219, 220,
222, 223, 226, 227, 228, 231, 232, 234, 255, 257
السودان الأوسط ,26 ,24 ,23 ,22 ,21 ,20 ,19 ,16 ,8 ,6 ,5 ,3 ,2 ,
29, 30, 32, 33, 36, 37, 40, 43, 45, 46, 48, 70, 71, 72,
76, 79, 89, 120, 122, 123, 124, 127, 158, 163, 175,
179, 180, 232, 255, 257

السودان الشرقي51 ,19 ,3 ,
السيفاوا139 ,
الصحاري الإفريقية21 ,
الصحراء ,41 ,38 ,37 ,30 ,29 ,24 ,22 ,21 ,18 ,17 ,8 ,2 ,1 ,
42, 45, 46, 48, 50, 54, 57, 58, 60, 74, 76, 77, 79, 84,
86, 90, 92, 125, 128, 129, 140, 141, 143, 144, 172,
177, 179, 180, 221, 222, 223, 224, 225, 226, 230,
232, 257
الصحراء الإفريقية125 ,74 ,22 ,21 ,17 ,
الغابات الاستوائية171 ,90 ,
الغوبير115 ,
القاهرة ,35 ,34 ,33 ,32 ,30 ,28 ,27 ,26 ,23 ,22 ,20 ,19 ,16 ,
38, 40, 45, 46, 54, 56, 65, 70, 75, 77, 92, 94, 97,
122, 125, 127, 129, 132, 138, 142, 143, 146, 149,
163, 165, 219, 220, 221, 223, 224, 225, 226, 227,
230, 231, 232
القرن الأفريقي34 ,33 ,
الكفرة41 ,
المحيط الأطلسي40 ,30 ,21 ,17 ,
المحيط الهندي34 ,
المشرق148 ,142 ,59 ,53 ,47 ,
المغرب ,119 ,118 ,115 ,46 ,42 ,36 ,35 ,30 ,28 ,27 ,10 ,
219, 221, 227, 251

المماليك الهوساوية50 ,
النوبة47 ,30 ,27 ,
النيجر172 ,113 ,97 ,91 ,47 ,37 ,32 ,21 ,20 ,19 ,
الهند173 ,171 ,17 ,16 ,
ألورين139 ,
اليمن122 ,70 ,31 ,30 ,28 ,
إمارة غوبر50 ,
أنجيمي48 ,
اهير123 ,115 ,71 ,
أوجلة41 ,
أوغندا18 ,
باب المندب30 ,
باجرمي139 ,
باغرمى31 ,
بالعراق29 ,
بانزا باكواي74 ,
بحر بني الزناقية18 ,
بحيرة تابكين كوتو88 ,
بحيرة تشاد113 ,51 ,47 ,37 ,32 ,27 ,26 ,24 ,22 ,19 ,
برغ126 ,74 ,
برغو139 ,
برنو139 ,126 ,116 ,96 ,91 ,89 ,75 ,54 ,47 ,43 ,29 ,
برنو مارمار139 ,"

برنو هاديجيا139 ,
بغداد29 ,
بلاد المغرب 10, 18, 40, 42, 54, 64, 74, 93, 126, 131, 162, 171, 172, 173, 175 ,
بلاد الهوسا 9, 37, 42, 49, 57, 59, 71, 92, 103, 110, 123, 138, 172, 232 ,
بلاد بوش70, 122 ,
بورنوة47 ,
بوشي29, 138, 139 ,
بيرام74, 126 ,
بيط18 ,
تسونسون89 ,
تمبكتو74, 75, 126, 168 ,
تيستي32 ,
جازان74, 126 ,
جاماري139 ,
جايا74, 126 ,
جبال الأطلس20, 21 ,
جبال البرقو20 ,
جبال التبيستي20 ,
جبال العير20 ,
جبل الكمرون20 ,
جبل نفوسة41 ,

جبل نفوسه43 ,
جمهورية السودان19 ,
جمهورية تشاد19 ,
جوبر57 ,49 ,
جوبير84 ,82 ,57 ,
جومبي139 ,
حوض تشاد19 ,
حوض سوكوتو22 ,
خليج عدن33 ,
دار فور19 ,
دارفور172 ,40 ,20 ,19 ,
دورا ,56 ,53 ,49 ,45 ,43 ,42 ,40 ,39 ,30 ,29 ,22 ,5 ,3 ,1 ,
73, 76, 89, 104, 124, 128, 134, 139, 156, 175
ديجل80 ,
ديغل57 ,
ديندي139 ,
زاريا222 ,171 ,139 ,49 ,
زاريه89 ,
زانفرا60 ,
زكزك138 ,126 ,122 ,74 ,70 ,
زندرة29 ,
زنفرا139 ,126 ,123 ,98 ,85 ,74 ,71 ,49 ,
زنفرة107 ,61 ,

زويلة37 ,
سوكوتو ,139 ,116 ,115 ,114 ,113 ,112 ,111 ,91 ,90 ,57 ,
140, 146, 147, 151, 222
شبه الجزيرة العربية34 ,33 ,18 ,
شبه جزيرة العربية33 ,
شمال نيجريا19 ,
طرابلس223 ,147 ,128 ,115 ,76 ,40 ,
غانة250 ,53 ,
غرم126 ,74 ,
غندو151 ,98 ,
غواندو139 ,
غواي49 ,
غوبر ,137 ,126 ,123 ,92 ,91 ,88 ,74 ,72 ,71 ,69 ,62 ,60 ,
144
فاس163 ,128 ,76 ,
فتري27 ,
فزان47 ,37 ,32 ,
فوتاتورو55 ,30 ,
فيترى32 ,
قلب168 ,132 ,65 ,56 ,
كاتسنا50 ,
كاتسينا139 ,126 ,75 ,74 ,71 ,61 ,49 ,41 ,29 ,
كاشنة122 ,70 ,

كانم ,48 ,47 ,46 ,45 ,43 ,41 ,40 ,39 ,37 ,36 ,28 ,27 ,20 ,
89, 91, 231, 232, 251
كانم برنو231 ,48 ,47 ,46 ,43 ,27 ,20 ,
كانو ,90 ,74 ,72 ,71 ,70 ,50 ,49 ,41 ,40 ,37 ,29 ,10 ,4 ,
103, 122, 123, 124, 126, 139, 145, 158, 220, 221
كب139 ,126 ,74 ,
كبي144 ,89 ,85 ,49 ,
كتشنا138 ,
كتشينة126 ,74 ,
كردفان251 ,31 ,
كررفا49 ,
كن56 ,55 ,
كوار41 ,27 ,
كواردو37 ,
لنهر النيجر29 ,19 ,
لنهر فولتا19 ,
ليبتاكو139 ,
ليبيا ,227 ,224 ,223 ,222 ,124 ,115 ,72 ,54 ,32 ,27 ,19 ,
232
مالي ,124 ,122 ,102 ,74 ,72 ,70 ,59 ,53 ,50 ,43 ,39 ,37 ,
126, 223, 232
مصر ,89 ,73 ,62 ,46 ,40 ,37 ,35 ,32 ,31 ,21 ,18 ,17 ,16 ,
100, 124, 139, 220, 221, 223

مكة128 ,86 ,76 ,34 ,
ممالك الهوسا138 ,129 ,126 ,122 ,90 ,77 ,74 ,70 ,49 ,29 ,
مملكة" كاب123 ,71 ,
مملكة" كب60 ,
مملكة السنغاي20 ,
مملكة برنو126 ,124 ,123 ,74 ,72 ,
مملكة زاريا126 ,74 ,50 ,
مملكة زازيا124 ,72 ,
مملكة صنغاي122 ,70 ,53 ,
مملكة نيب124 ,72 ,
مملكه"غوبير86 ,
ميسو139 ,
نفي126 ,74 ,
نهر السنغال92 ,54 ,21 ,19 ,
نهر النيجر21 ,
نهر النيل90 ,47 ,21 ,
نوبي172 ,139 ,49 ,
نيجيريا ,84 ,82 ,72 ,71 ,63 ,62 ,57 ,53 ,22 ,21 ,11 ,8 ,3 ,
85, 86, 88, 91, 92, 99, 106, 123, 124, 130, 138, 139,
147, 148, 149, 151, 152, 153, 155, 156, 163, 165,
166, 168, 220, 221, 222, 223, 226, 232, 233, 234,
257
هضبة حوس21 ,

هوسا باكواي49 ,29 ,
والتيدا32 ,
والكوتوكو31 ,
ودان37 ,
وداي41 ,19 ,
وشبه الجزيرة العربية31 ,
وشط ملغيغ21 ,
وفوتاجالو57 ,
وليبيا32 ,
ياور126 ,74 ,
ياوري49 ,
يرب126 ,74 ,
يربا4 ,

فهرس الموضوعات

الإهداء .....

التشكرات .....

المختصرات.....

المقدمة.....01

مدخل للدراسة:السودان الأوسط المفاهيم والدلالة 15

الفصل الاول:السودان الأوسط طبيعيا وبشريا 16

مصطلح السودان الدلالة والأثر.....16

الدراسة الطبيعية لإقليم السودان.....20

الدراسة البشرية.....26

الفصل الثاني:الاسلام في السودان الأوسط 33

انتشار الإسلام في إفريقيا.....33

العوامل التي ساعدت في انتشاره بإفريقيا.....38

الفصل الثالث:نتائج انتشار الاسلام في السودان الأوسط.....45

نتائج انتشار الاسلام في السودان الأوسط.....45

الممالك الاسلامية في السودان الاوسط.....46

الباب الاول:العائلة الفودية النشأة والأثر.....52

الفصل الأول: عثمان بن فودي النشأة والشخصية.....54

عثمان بن فودي قبل الحركة الإصلاحية.....51

مولده ونشأته.....57

أسس الدعوة الاصلاحية.....63

أسباب الحركة الاصلاحية.....71

مراحل الدعوة الإصلاحية.....80

الفصل الثاني:عبد الله بن فودي ودوره الإصلاحي.....92
. عبد الله بن فودي ومسيرته الإصلاحية.....92
. منجزاته الفكرية.....102
دوره في الحركة الإصلاحية.....109
الفصل الثالث:مُحَمَّد بيلو مجدد الحركة الفودية.....113
. السيرة النضالية لمحمد بيلو.....113
. تأثير مُحَمَّد بيلو على حركة الإصلاح الفودية.....144
أبرز مؤلفاته.....119
الباب الثاني:مظاهر إصلاحات العائلة الفودية.....126
الفصل الأول: أسباب وأسس الحركة الإصلاحية.....127
. أسباب الإصلاحات.....127
طرق الإصلاح عند الفوديون.....136
الفصل الثاني: مظاهر الإصلاحات السياسية والإدارية.....
. الإصلاحات السياسية.....138
. الإصلاحات الإدارية.....147
التنظيم العسكري.....155
الفصل الثالث:الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية
. الإصلاحات الاجتماعية.....158
المنظومة التعليمية عند الفوديون.....163
الإصلاحات الاقتصادية.....171
الخاتمة 174
الملاحق.....180
قائمة المصادر والمراجع.....220

الفهارس 236

فهرس الموضوعات.....256

العائلة الفودية ودورها الإصلاحي في السودان الأوسط خلال القرن13هـ/19م.

الملخص:

تتناول هذه الدراسة واحدة من بين أبرز العائلات السودانية العلمية العريقة والتي كان لها تأثير كبير على المجتمع في إفريقيا جنوب الصحراء، ونعني بذلك الأسرة الفودية، حيث تناولنا التعريف بمنطقة السودان الأوسط ثم قمنا بالتعرف على أعلام الأسرة الفودية ورصيدها الفكري خلال القرن 19م واقتصرنا على الشيخ عثمان بن فودي ثم أخاه عبد الله بن فودي وابنه مُحَمَّد بيلو، ثم عرجنا على الإصلاحات التي قامت بها الأسرة ومعرفة أسباب الإصلاحات ومظاهرها في المجال الدين والثقافي والاجتماعي والجانب السياسي والاقتصادي وأخيرا النتائج التي أفرزتها على المستوى المحلي والإفريقي وربطها بالتأثير الحضاري في الوقت المعاصر.

الكلمات المفتاحية:

العائلة الفودية، عثمان بن فودي، عبد الله بن فودي، مُحَمَّد بيلو، السودان الأوسط، نيجيريا، الفولان.

The Family of Ben Fodiyo and Its Reformative Role in Central Sudan during the 19th C AD/13th C HE

Abstract

The study deals with, the family of Ben Fodiyo, one of the most prominent ancient Sudanese scientific families that had a great impact on society in Sub-Saharan Africa. The study begins by identifying the region of central Sudan. Then, it sheds light on the prominent figures of Ben Fodiyo's family and its intellectual legacy during the 19th century. The study is limited to Shaykh Usman Ben Fodiyo, his brother Abdullah and his son Muhamad Bello. Then, we examine the reforms introduced by these figures and explore their reasons and aspects in the religious, cultural and social fields. We are also going to discuss the political and social reforms and their impact on the local and African levels in an attempt to link them to the civilizational influence in contemporary time.

Keywords: Ben Fodiyo's family, Usman Ben Fodiyo, Abdullah Ben Fodiyo, Mohamad Bello, Central Sudan